تفسير القرآن

تأليف

حجة الإسلام والمسلمين

الشيخ السيد محمد تقي المدرسي

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

معهد الخوئی
www.alkhoei.net
info@alkhoei.net

الكتاب

قبس من تفسير القرآن

المؤلف

حجة الاسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد تقي الخوئي

الناشر: التوحيد للنشر.

عدد النسخ: ٢٠٠٠

الطبعة: الاولىٰ ١٤١٧ - ١٩٩٦م.

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المقدمة بقلم العلامة سيد مرتضى الحكمي في رحاب الكتاب

حالفني الفخر والاعتزاز حين وفقت الى تقديم مقدمة لكتاب (البيان في تفسير القرآن) للإمام الأكبر سيّدنا الخوئي، بما كان يصلح للتعريف بمدخل الكتاب وبميزان تفسيره. وقد حالفني التوفيق -مرة أخرى- أن أقدم لهذا الكتاب (قبس من تفسير القرآن) للشهيد السعيد الحجة المجاهد السيد محمد تقي الخوئي -نجله الكريم- يفصح عما يمتاز به هذا التفسير من نهج تفسيري الى القراء الكرام. بدأ هذا التفسير بفاتحة الكتاب، وانتهى به الى الآية(78) من سورة البقرة، تفسيرا قرانيا، راعى فيه أصول التفسير، والتعمق فيها. واتبع في تنظيم الكتاب طريقة المفسرين، من ذكر وجه تسمية السورة، ومحل نزولها، وفضلها، ولغتها، وإعرابها، ثم تفسيرها. ولم يتركز في ذلك على الابحاث اللغوية، واختيار ما هو الأصح منها، بل ركز على التفسير القرآني -لغة ومعنى- الى جانب نقل الاقوال التي ملأت كتب التفسير: عن عكرمة، والسدي، وقتادة، ومجاهد، واضرابهم، إلاّ انه لم يركز على أقوالهم، باعتبارها المعنى التوقيفي

والمحدد للقران، وهي الأقوال التي لم تستند الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يقتصرون في أقوالهم على مصاديق معينة، يغلقون بها أبواب القرآن وآفاقه على تفتحها، وذلك حسبب مبلغهم من العلم، ومعرفتهم بتطبيق آيات القرآن على مصاديقها. قال الإمام علي عليها السّلام -وهو مع القرآن والقرآن معه- : (ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه، وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا لا يدرك قعره...)1. وقال الإمام الصادق عليه السّلام: (وان القرآن حيّ لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، يجري على آخرنا كما يجري على أوّلنا...ولو أن الآية ان نزلت في قوم ثم مات اولئك ماتت الآية، ولما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره، ما دامت السماوات والارض، ولكل قوم آية يتلوها هم منها خير أو شر)2. سئل أبو عبد الله ما بال القرآن لا يزداد عند البشر والدرس إلاّ غضاضة، فقال: لان الله لم ينزله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو حي في كل زمان، جديد عند كل قوم، غض الى يوم القيامة3. فالجمود على المصاديق والأمثلة التي أتى بها هؤلاء لا يمكن أن يحدّد القرآن، ويغلق آياته، ويقف دون تجدد حقائقها ومعانيها في كل عصر.

)1 -(نهج البلاغة: الخطبة 198. (2)- البيان للإمام الخوئي ص 31، نقلا عن أحاديث (مرآة الأنوار) ص 403. (3)- عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ج 2 ص 85.

بطلان التفسير بالرأي

ولا يختلف ذلك عن التفسير بالرأي المنهى عنه، للنهي عن إتباع الظن (وانّ الظن لا يغني من الحق شيئا) 1، وهو إسناد شيء الى الله، ما أنزل به من سلطان، وضرب إعجاز القرآن في حقائقه ودلالاته، وإفراغ ألفاظه من محتويات الوحي المودع فيها، حيث لا يتم إعجاز القرآن إلاّ بلفظ ومعناه، ولن يفترقا أو يختلفا عن الآخر، وان التصرف في معاني القرآن تصرف في الوحي الالهي المنزل، وتحريف له، والهبوط به الى مستوى الفكر البشري القاصر، وإزالة المسحة السماوية عنه، وكيف يكون اللفظ من الله والمعنى من الإنسان، إلاّ أن يكون القرآن-والعياذ بالله -مشتركا بينه وبين الله، ولملأ فيه الاختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) 2 ولذلك كله نهى عن التفسير بالرأي، كما قال الإمام علي: (يعطف الهوى على الهدى اذا عطفوا الهدى على الهوى، ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي)3، ومؤلف هذا التفسير قد تجنب ذلك أشد الاجتناب.

ضرورة عاصمية القرآن

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يمتاز الوحي الإلهي بثلاث مراحل محفوفة بالعصمة والصيانة عن احتمال التحريف والتأوّل: الأولى: مرحلة النزول: (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) 4، وقد وصف الله تعالى عاصميته في هذه المرحلة أيضا بقوله تعالى (لا يأتيه(

)1 -(النجم/28. (2)- النساء/82. (3)- نهج البلاغة/الخطبة 138. (4)- الاسراء/15.

)الباطل من بين يديه ولا من خلفه) 1، ويقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا نحن له لحافظون) 2. الثانية: مرحلة البلاغ: (وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين) 3، وقال تعالى: (ولا تعجل بالقرآن قبل أن يقضي إليك وحيه) 4، وقال تعالى: (ولا تحرك به لسانك لتعجل به) 5، وقال تعالى: (كذلك لنثبت به فؤادك) 6، بمعنى عصمة النبي، تلك التي حصنت الوحي من الغفلة والنسيان. الثالثة: مرحلة الاستيداع: أن جعل للقرآن ظواهر، كما جعل له بواطن واعماق ووجوه، لا يكاد بفقه ذلك، إلاّ الذين حق لهم أن يستنبطوه: (ولو ردوه الى الرسول والى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) 7، وهذه المرحل من العاصمية هي التي اقتضت أن يكون للقرآن عدول، كما قال الرسول: (في كل خلف من امتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وتأويل الجاهلين)8، وهم أعدال الكتاب، وحفظته، وشركاؤه في الهداية، اذ من الضرورة أن تكون لهم العصمة لئلا تبطل عاصمية الوحي في هذه المرحلة من صيانته، وحفظه على حقيقته. ولذا ينبغي أن يفسر القرآن بما اثر عن اعدال القرآن من استنباط، ضرورة عصمة القرآن، وصيانته من التحريف والتأويل. وعلى نهج التحرر والخروج على أقوال غير المعصومين جاء هذا التفسير متفتح الآفاق. وكذلك لم يحدد معنى الآية باقوال اللغويين، لما كان يدركه من مزايا لغة القرآن على المعاني اللغوية المحددة.

)1 -(فصلت/42. (2)- الحجر/9. (3)- النور/54. (4)- طه/114. (5)- القيامة/16. (6)- الفرقان/32. (7)- النساء/83. (8)- الصواعق المحرقة ص 90، المراجعات للإمام شرف الدين ص 81.

ميزة لغة القرآن

وبقول أوضح: ان لغة القرآن: هي التي جعلت اللغة العربيد أقدر اللغات وأدقها على التعبير عن معان تفوق الفكر البشري، وهي لغة الوحي وأسراره وكوامنه. ومن المكابرة: انكار أصلحية اللغة العربية في خصائصها اللغوية وغزارتها البلاغية، عندما اختارها الله للتعبير عن وحيه، واسراره السماوية فيما وراء هذا العالم المحسوس. وهذه اللغة: هي التي استطاعت أن توسط بين لغة الوحي، ولغة التخاطب في اطار ما اقتبس القرآن من لغة العرب ومداليله، انسجاما بين علم الله، ومدى إمكان معرفة الناس به. فكانت اللغة العربية هي اللغة المختارة من الله لبلاغ (الوحي) وسرد حقائقه اللامتناهية، بما طعمها من تجريد وتحليق. والحق: أن اللغة العربية كانت قبل نزول القرآن لغة جامدة تنحو نحو الاتجاه المادي والحسي في جميع أبنيتها ومفرداتها اللغوية، وأساليبها البلاغية التي كانت تتلخص في مجانسة الألفاظ، لانها لم يكن لها من الثقافة الغيبية التي تعطي الروح المعنوية والحضارية لألفاظها، تلك التي عرفتها اللغة العربية بعد نزول القرآن. وحتى أن ثقافتها الأدبية لم تأخذ مما حولها من مظاهر الطبيعة فضلا عن أسرارها، إلاّ التشبيه بالشمس والقمر في مجال الغزل والتشبيب. وإذ أنزل الله وحيه في نطاق هذه اللغة: طوّر مبانيها الى الاتجاه الروحي والبنية المعنوية، وأفعمها بمعاني التجرد، والحقائق النوريّة، بينما كانت تعبر العرب -على سبيل المثال- عن الهداية بما يعني إرائة الطريق، وعن الضلالة بما يعني التيه فيها.

Al-Khoei Institute

واما الهداية القرآنية، فهي الهداية المستقيمة الى الله أو الى النعيم المقيم، والسلوك الإنساني السوي في الحياة، والتمتع بنور الايمان، وكذلك الضلالة القرآنية، هي الابتعاد عن الله، والعيش في ظلمات الجهل، حتى ينتهي أمره الى نار الجحيم، والهداية والضلالة بمعناهما اللغوي قد يتفقان لأحد وقد لا يتفقان وأما معناهما القرآني فهو عام لكل انسان، فان لم تشمله الهداية الالهية لما نجا أحد من الضلالة والله هو الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور، وهذه هي الخصائص التي طرأت على اللغة العربية واوجدت فيها لغة القرآن، في تجردها، ويعدها، وتحررها عن الابنية البيئية والمفاهيم المادية العمياء. وميزة لغة القرآن، انها لغة الفطرة الانسانية التي تجعل الإنسان مدركا لخفايا البراهين، بما أثقلها الوحي من معارف، وأوسعها من أسرار عقلية. ولم تكن لغة القرآن بدعا من اللغات، لا في صيغها، ولا في مفرداتها، وإنما هي بدع في تحرر مبانيها الجامدة المحددة، الى التجرد والعقلانية. وبذلك تحدّى بلغاء العرب الى معارضتها، ودعاهم الى التحايل على محاكاة القرآن، حتى في زخرف القول ومغرياته، وذلك بعد أن عرض عليهم صنعا من الآيات، ونماذج من أساليبها وفنونها البلاغية تيسيرا لمعارضتها، إلاّ انهم كلّما قلبوا مهاراتهم -ظهرا لبطن- وسبروا قدارتهم -بكل جد وجهد- ظهر عجزهم، وتراجعوا أمام القرآن شكلا ومحتوى، ورموا القرآن بالسحر (سحر يؤثر) 1 لما أثّر في نفوسهم، ووصفوا بلاغتهم ببلاغة العرب، ليبقوها على مكانتها، وليحطوا من قيمة القرآن واعجازه.

)1 -(المدثر/24.

وبالرغم مما يوصف به لغة العرب من غنىً وغزارة زادتها لغة القرآن فهي -مع ذلك- أضيق سعة من المعارف الالهية، وأقصر استيعابا بها، ولذلك ظهرت في القرآن آيات محكمات هن أمالكتاب أو آيات متشابهات نشأت من ضيق اللغة، وسعة معاني القرآن، كما في قوله تعالى: (الرحمن على العرش الستوى) 1 و (يد الله فوق أيديهم) 2 لو لا أن يراد بذلك الاستيلاء والقدرة، وإلاّ لأوهمت التجسيم في ظاهر الآية. وعلى ذكر لغة الهداية في تفسير قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) 3 ينتقل المفسر الشهيد من المعنى اللغوي الى المعنى القرآني بقوله: فان الهداية من الله على أقسام. 4 الاولى: الهداية العامة التكوينية، وهي التي يعبر عنها بالفطرة، والتي يمنحها الله العبد بعد خلقه. ومنها قوله تعالى: (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه قم هدى) 5. الثانية: الهداية العامة التشريعية، بارسال الرسل، وبعث الأنبياء، وإبلاغ العبد بالأوامر والنواهي، ومنها قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) 6. الثالثة: الهداية الخاصة، التي يمنحها الله لبعض عبيده، وبها يفضلهم على غيرهم. ومنها قوله تعالى: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) 7. وهكذا لم يركز على المعنى اللغوي، من أمثال ما نص عليه اللغويون: (هداه الطريق وهداه الى الطريق وللطريق أي بيّنه له، وعرّفه به) لانه يعبر عن مجرد الطريق المنشود. بل اعتمد في تفسيره على لغة القرآن في هذه الكلمة القرآنية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)1 -(طه/5. (2)- الفتح/10. (3)- الفاتحة/6. (4)- راجع ص 38-39. (5)- طه/50. (6)- لقمان/3. (7)- الكهف/13.

من هو المفسر للقرآن

يقول المعنيون بعلوم القرآن، انه لا بد للمفسرين من أن يأتي على فهم اللغة ويعرف مزاياها اللغوية وتصاريفها، وان يحسن شيئا من العلوم العربية والبلاغية: بديعها، وجناسها، وبيانها، واستعارتها. أما الشرط الأساس: وهو ان يكون للمفسر حَظ وافر من الايمان بالقرآن ونصيب من تقوى القلوب، وأن يكون من المهتدين بالقرآن، وبالتالي يكون مصداقا حقيقيا لآيات القرآن، ويكون سلوكه قرآنيا، مؤمنا بالمبدأ والمعاد يعتبر بآياتها، يرقب الله ويخشى أهوال القيامة ومشاهدها، حين يفسر آيات المبدأ والمعاد فلم يكن ذلك في حسبانهم، والمفسر الذي لا يتحرق بنار الخوف من الله، ولا يطمع برجائه لا يستطيع أن يكون من المبشرين بالقرآن، والمجاهدين في سبيله. ولا يسعنا إلاّ أن نقول: أما مفسرنا الشهيد فكان له من الايمان بالقرآن، ما بلغ به درجة الاستشهاد في سبيله.

قيمة الكتاب ومزاياه

اتبع المؤلف الشهيد في أبحاثه التفسيرية وتحليلها: الطريقة الاجتهادية في اختيار الرأي حول ما اختلف فيه المفسرون، والاخذ بالموازنة العلمية بين الأدلة المطروحة واعتبار دليليتها، ثم البت في رفضها أو قبولها، في جميع الموضوعات التي تتعلق بعلوم القرآن، وقراءاته، ومناهج تفسيره، مع ملاحظة الأسانيد والرواة، وتمحيص الروايات، وما هو الضعيف منها أو الشاذ. كما نلمس ذلك في موضوع: (هل أن البسملة آية أو جزء من كل سورة، إلاّ سورة البراءة) أو يجب الجهر بها في الصلاة أو الاخفات، بعد استقصاء جميع المذاهب

التفسيرية والفقهية في مختلف المذاهب العامة والخاصة(1.(

وهو إذ ترك في مقدمة تفسيره أبحاثا قرآنية مستقلة إلاّ أنه أورد في عامة تفسيره هذه البحوث، كل بما يناسبها من الآيات التي تعرض الى تفسيرها.

وميزة اخرى أشاعها في هذا التفسير هو أن حاول تفسير القرآن بالقرآن، والاستدلال بذاته على ذاته، وبالمأثور من المعصوم.

ومن المفسرين من يستعين على فهم القرآن وتفسيره بعلوم اخرى، كالفلسفة والعرفان، والعلوم الحديثة.

على ان القرآن لم تفتقر حقائقه الفذّة الى معارف اخرى، وهي غنية عنها، بل هو الذي جاء بالافضل منها.

ونلمس هذا الاتجاه ذاته في هذا التفسير.

وقد أوضحنا في مقدمة (البيان في تفسير القرآن) ذلك بهذا التقريب: (وعالج هذا الكتاب نقطة خامسة وهي ان وضع منهجا فذا في تفسير القرآن كفاه الاستعانة بكثير من المبادئ والعلوم، اذ هو مصدر الإشعاع لمختلف حقول المعرفة...وهو تفسير القرآن بالقرآن، وفهم الآية من اختها.

بل فهم الكلمة القرآنية الواحدة من مختلف مواقعها في هذه الآيات)2 إلاّ ما هو موضوع عقلي وفلسفي في القرآن الكريم.

أمثال موضوع (البداء) في آية المحو والاثبات، وموضوع الأمر بين الأمرين في بحث حسنات العباد وسيئاتهم، وتلك ما يحكى عن فلسفة القرآن نفسه3.

وكان هذا المنهج المتميز المتخذ -أيضا- في هذا التفسير، على ان هذا التفسير لم يكن تفسيرا موضوعيا إلاّ انه حين يستعين بالقرآن على القرآن، أو آثار المعصومين يجلي للقارئ معاني كلتا الآيتين، أو كل

)1 -(راجع ص 8-15.

)2 -(على أعتاب الكتاب ص 12.

)3 -(راجع كتاب البيان في تفسير القرآن للإمام الخوئي ص 407-408 و513.

ما يستهدي به من الآيات، واحدة الى الاخرى:

وقد سار في نهجه التفسيري على رعاية اصول التفسير والتركيز عليها، كما خططها الامام الخوئي في كتابه الخالد (البيان في تفسير القرآن) حيث قال:

1 -ولا بد للمفسر أن يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح، وقد بينا لك حجية الظواهر.

2 -أن يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح، فانه حجة من الداخل، كما ان النبي حجة من الخارج.

3 -أن يتبع ما ثبت عن المعصومين عليهم لاسلام بوجوب التمسك بهم، فقال: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا)(1.(

شخصيته العلمية والجهادية

تابع والده العظيم في تعشق العلوم الحوزوية، حتى انتهى الى الاقتدار على تقرير الأبحاث الاجتهادية في الفقه والاصول، والتفسير وكتب عدة تقريرات:

1 -كتاب النكاح في جزءين، تقريرات بحوث والده.

2 -كتاب المساقاة -جزء واحد- تقريرات بحوث والده.

3 -كتاب المضربة -جزء واحد- تقريرات بحوث والده.

4 -الشروط أو الالتزامات التبعية في العقود -ثلاثة أجزاء- بحث مقارن.

5 -كتاب قبس من تفسير القرآن.

)1 -(البيان في تفسير القرآن ص 422.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

6 -وله عدة كتب مخطوطة لم تطبع بعد(1.(

وكتب والده تقريظا لا بحاثه الفقهية دلت على مكانته العلمى والدينية، وهذا نصه:

)بسم الله الرحمن الرحيم -الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعترته الطيبين الطاهرين.

وبعد: فقد لا حظت شطرا وافرا مما كتبه ولدي وقرة عيني العزيز السيد محمد تقي - حفظه الله- وبلّغه مناه تقريرا لأبحاثي الفقهية، فوجدته حسن الاسلوب، وجميل التعبير، وسطا ين الايجاز والاطناب، كافيا ووافيا للمراد، واني اسأل المولى -جل شأنه- أن يبلغ به مقصده، ويتم له مرامه.

وأن يجعله علما من أعلام الدين، وحافظا لشريعة سيد المرسلين، فانه ولي التوفيق)(2.(

ولم تثنه المرجعية العليا لوالده عنها.

على انه وقف الى جانبه في جهاده وصبره على النوائب، وتحمل المسؤولية الكبرى.

وكان عونا له وعينا، حتى باء الظالمون بقتله، لتصلبه في الدين، وصموده على حراسة الحوزة من ان يقلّبها الاعداء، كما تعهد رعاية مؤسسات الإمام الخوئي في أنحاء العالم، حاملا روح والده العلمية وحسن اولئك رفيقا.

وأحسن من صور استشهاده في سبيل العلم والدين هو القائل (أخي المجاهد، ولما يندمل الجرح بفاجعة والدنا العظيم، حتى فجعت بفقدك، وقد نهشتك أنياب الظلم والعدوان، وافترسك ذئاب الحكم الكافر وبراثن الاستعمار...وكنت تسعى جاهدا في اقامة معالم الدين، وإحياء تراث الاسلام، وقد قامت معضلات المرجعية العليا في عهد المرجع الأعلى، الإمام الوالد -طاب ثراه- على أكتافك، فحقد عليك

)1 -(نبذة عن حياة الشهيد ص 21.

)2 -(نبذة عن حياة الشهيد ص 21.

أعداء الدين، وتربصوا بك الدوائر، لينالوا منك بغيتهم، حتى طحنوك بكلاكل ظلمهم، فاردوك صريعا بين كربلاء والنجف(1) تسبح في دمائك، وتعاني جراحاتك تنزف دما، بقيت تجود بنفسك في ظلمة الليل، وقد منعوا عنك الإسعاف والإنقاذ، حتى يستنفذوا دمك الطاهر الى آخر قطرة.

وقد روعتهم صلابتك في الجهاد، ووقوفك دون النيل من قدسية العتبات المقدسة، إطفاء لنور الإسلام، حتى يموت العلم والدين في حاضرة النجف الأشرف والحوزة العلمية العتيدة)(2.(

ومن الوفاء أن نسدي الشكر الى نجل الشهيد(3) على هذا الاهتمام بطبع هذا القبس من التفسير، ونشره، خدمة للعلم، وتخليدا لذكراه.

عودا على بدء

وحقا يمتاز هذا التفسير بسلاسة التعبير، وحسن البيان وسعة الاداء وتيسيرا المعنى.

وهو وان لم يقدّر له أن يستوعب القرآن كله إلاّ ان منهجه ونموذجيته جعلته في مصاف التفاسير الكبرى، ذات الاهمية البالغة في عالم التفسير.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

مرتضى الحكمي

طهران: 4 جمادى الاولى

سنة 1417 هـ ق

28/6/75 هـ ش

)1 -(اغتيل يوم الجمعة 12 صفر عام 1415 هجرية، بحادثة مفتعلة.

)2 -(الاستاذ السيد عبد الصاحب الخوئي اخوه الأكبر- نبذة عن حياة الشهيد/107.

)3 -(فضيلة السيد جواد الخوئي.

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

)بسم الله الرّحمن الرّحيم(١) الحمد لله ربّ العالمين(٢) الرّحمن الرّحيم(٣) مالك يوم الدّين(٤) إيّاك نعبد وإيّاك نستعين(٥) اهدنا الصّراط المستقيم(٦) صراط الّذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين(٧((

وجه التسمية:

سميت بذلك لا فتتاح المصاحف بكتابتها، أو لكونها فاتحة ما يقرأ في الصلاة، أو لكونها أول سورة نزلت من السماء -على ما قيل.-

وتسمّى بالحمد لتصدّر السورة به، كما تسمى بالسبع المثاني لكون آياتها سبعا -بلا خلاف فيه بين المسلمين عدا شاذ منهم- وتقرأ في الصلاة مرتين، وقد وردت تسميتها بهذا الاسم في بعض النصوص، وتسمى بأسماء أخر يطول الكلام بذكرها.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

عدد آياتها:

المعروف بين المسلمين قاطبة -بل كاد أن يكون إجماعا- أن آياتها سبع، وإن وقع الخلاف في تقسيمها، فمن يرى البسلمة آية يجعل قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضّالين) آية واحدة، ومن يرى أنها ليس بآية يجعل قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضّالين) آية مستقلة.

نعم، نسب الى الحسين الجعفي: أنها ست، كما نسب الى عمرو بن عبيد أنها ثمان، إلا أن كلا القولين لشذوذهما ومخالفتهما لما روي بالطرق الصحيحة للعامة والخاصة -بل إجماعهم- لا يعبأ بهما.

محل النزول:

اختلف في محل نزولها، فالمشهور بين المسلمين قاطبة أنها نزلت بمكة، ونسب إلى ابي هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري أنها مدنيّة، كما نسب إلى ثالث أنها نزلت مرتين، تارة بمكة واخرى في المدينة، وشذ أبو الليث السمرقندي بحكاية أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة-على ما نقل عن القرطبي.

وأصح الأقوال هو الأول، ويدل عليه قوله تعالى في سورة الحجر: (ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)(١)، فإن سورة الحجر مكية اتفاقا والمراد بالسبع المثاني هو الفاتحة بلا خلاف، وعليه فيتعين أن يكون نزولها

---

(١)سورة الحجر، الآية: ٨٧.

قبل نزول سورة الحجر، هذا مضافا إلى أن الصلاة قد فرضت بمكة ومن الواضح انه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.

ومن هنا يظهر ضعف القول الثاني، وأمّا القول الثالث فهو وإن ذهب إليه جملة من المفسرين -منهم النسفي في تفسيره- وقد يشهد له تسميتها بالسبع المثاني، إلا أنه لا دليل عليه، ويبعّده أن نزولها مرتين يقتضي ذكرها في الكتاب العزيز كذلك، كما هو الحال في بعض الآيات من سورة الرحمن وغيرها.

وأما القول الأخير فهو مضافا إلى شذوذه، مناف لما ذكرناه في ترجيح القول الأول.

فضلها:

ثم إن فضل هذه السورة أشهر من أن يخفى وكفاها فضلا لزوم قراءتها في كل الصلاة مرتين، وجعله تعالى لها عدلا لتمام القرآن في سورة الحجر، حيث قال جل اسمه: (ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) والروايات في فضلها من الفريقين متظافرة ومتواترة، ففي بعضها انها أفضل سورة في القرآن(١)، وفي بعضها الآخر تسميتها بأم الكتاب، وأساس القرآن -كما عن ابن عباس-.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)البخاري: ١٠٣/٦ باب فاتحة الكتاب.

قوله تعالى: (بسم الله الرّحن الرّحيم(١((

هل هو آية من القرآن؟

الظاهر أنه مما لا خلاف فيه بين المسلمين أن البسملة جزء القرآن في الجملة، فإنها جزء من سورة النمل، اتفاقا، بل ذهب بعضهم إلى كفر منكرها، للإجماع على كفر من أنكر آية من القرآن(١)، كما لا خلاف بين الإمامية في كونها جزءا لكل سورة عدا البراءة، وإنما الخلاف بينهم في كونها جزءا لكل سورة عدا البراءة، أو جزءا للفاتحة خاصة، أو آية مستقلة فذة أنزلت مرارا، أو أنها ليست بآية إطلاقا وأنما أنزلت لبيان رؤوس السور تيمنا وللفصل بينها، أو أن الأمر يختلف باختلاف القراءات.

ذهب جماعة إلى الأول، قال الآلوسي في روح المعاني: إن ابن عباس وابن المبارك وأهل مكة كأبن كثير، وأهل الكوفة كعاصم والكسائي وغيرهما- سوى حمزة-وغالب أصحاب الشافعي، والإمامية على الثاني، أي أنها آية من جميعها غير البراءة(٢.(

وقال النسفي: «إن قرّاء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة.

وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله، ولذا يجهرون بها في الصلاة، وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله»(٣.(

وقال ابن كثير: «وممن حكي عنه أنها آية من كل سورة إلا براءة: ابن

---

(١)البحر الزاخر: ٢٤٦/٢.

(٢)روح المعاني: ٣٩/١.

(٣)تفسير النسفي ١/١.

عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو هريرة وعلي، ومن التابعين: عطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومكحول والزهري، وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل -في رواية عنه- واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله-»(١.(

وذكر الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي -الشهير بابن الجزري من أعلام القرن التاسع- في كتابه النشر في القراءات العشر، عن بعض أهل الكلام: القطع بخطأ من لم يثبت البسملة من القرآن في غير سورة النمل(٢.(

وتدل عليه جملة من نصوص الخاصة والعامة.

أما نصوص الخاصة: فقد روى يحيى بن أبي عمران الهمداني، قال: كتب إلى أبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك، ما تقول في رجل ابتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاته، وأحدة في أم الكتاب، فلما صار إلى غير أم الكتاب من السور تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس.

فكتب بخطه: «يعيها -مرتين- على رغم أنفه -يعني العباسي- »(٣.(

وعن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إذا قمت للصلاة أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة القرآن؟ قال: «نعم»، قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مع السورة؟ قال: «نعم»(٤.(

هذا كله مضافا إلى إجماع الطائفة على جزئية البسلمة لكل سورة عدا براءة -على ما تقدم.-

وأمّا نصوص العامة: فقد روى النسائي في سننه عن انس بن مالك قال:

---

(١)تفسير ابن كثير ٣٠/١.

(٢)النشر في القراءات العشر ١٥/١.

(٣)الكافي ٣١٣/٣.

(٤)الكافي ٣١٢/٣.

بينما ذات يوم بين أظهرنا -يريد النبي صلى الله عليه وسلم- إذا أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا له: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عليّ آنفا سورة (بسم الله الرحمن الرحيم إنّا أعطيناك الكوثر فصلّ لربّك وانحر إنّ شانئك هو الأبتر)...الحديث»(١). وقد أخرجه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه.

مضافا إلى ما تقدم عن ابن عباس من: أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله.

بل ويظهر من بعض النصوص ان جزئيتها لغير الفاتحة مما اتفق عليها المهاجرون والأنصار، فقد روى الحاكم في مستدركه عن انس بن مالك أنه قال: صلّى معاوية بالمدينة صلوة فجهر فيها بالقراءة، فقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم لأم الكتاب، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلما سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان: يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟

فلما صلّى عبد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن، وكبّر حين هوى ساجدا»(٢).(

هذا كله مضافا إلى ما استدل به الشافعية من إثباتها في المصاحف من قبل السلف، مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه.

وأما من ذهب إلى كونها آية من سورة الفاتحة خاصة -ولعله مذهب معظم علماء الجمهور- فقد استدل عليه بوجوه عديدة، ذكر جملة منها الرازي في تفسيره(٣)، ويظهر من بعضها أن جزئيتها لها من مذهب الصحابة ومما اتفقوا عليها، فقد ذكر في الحجة الثانية عشرة: أن معاوية قدم المدينة، فصلّى بالناس

---

(١)سنن النسائي ج ٢ باب البداءة بفاتحة الكتاب قبل السوره ص ١٣٣.

(٢)المستدرك على الصحيحين ٢٣٣/١.

(٣)التفسير الكبير ١٩٦/١.

صلاة يجهر فيها فقرأ أم القرآن، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والأنصار من كل ناحية: أنسيت؟ أين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القرآن؟ فأعاد معاوية الصلاة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم.

ثم علّق على ذلك بقوله: «وهذا الخبر يدل على إجماع الصحابة (رضي الله عنهم)، على انها من القرآن ومن الفاتحة، وعلى أن الأولى الجهر بقراءتها.«

إلاّ أن الذي يرد على هذا الاستدلال أنه غير واف بالمقصود، فإن إثبات كونها جزءا من الفاتحة لا يلازم نفي جزئيتها عن غيرها، ومن هنا فلا تصلح هذه النصوص لمعارضة ما دلّ على كونها جزءا لجميع السور عدا براءة.

وأمّا من ذهب إلى استقلالها، فقد يستدل لإثباته بما أدعي دلالته على نفيڒ جزئيتها للفاتحة، منضما إلى ما روي عن ابن عباس من أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله، وإثبات السلف لها في المصاحف مع الأمر بتجريد المصحف عما هو ليس منه.

فبهذا -وبضم أحد هذين الأمرين الأخر- ينتج أن البسملة آية فذة ومستقلة من القرآن الكريم.

وفيه: ان ما استدل به على نفي جزئيتها للفاتحة قاصر الدلالة على المدعى -على ما سنبينه إن شاء الله- ومن هنا فيتعين العمل بما دلّ على جزئيتها لكل سورة عدا براءة، لما قد عرفت من عدم معارضة ما دل على جزئيتها للفاتحة لها.

وأمّا القول بعدم كونها آية على الإطلاق، فقد استدل عليه بوجهين:

الأول: ما رواه انس بن مالك، قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم(١.(

---

(١)صحيح مسلم ج ١ باب حجة من قال: لا يجهر بالبسملة ص ١٢.

وما رواه قتادة عن أنس بن مالك أنه حدثه قال: صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد الله رب العالمين، لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخر(١.(

وما رواه ابن عبد الله بن مغفل يزيد بن عبد الله قال: سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: أي بني إياك، (قال: ولم أر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبغض إليه حدثا في الإسلام منه)، فإني قد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان، فلم أسمع أحدا منهم يقولها، فلا تقلها إذا أنت قرأتها فقل الحمد لله رب العالمين»(٢.(

الثاني: ما دل على أن النبي صلى الله عليه وسلم والأصحاب إنما كانوا يعرفون نهاية السورة وبداية سورة أخرى بنزول البسملة، نظير ما رواه ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم ختم السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم(٣)، وما رواه هو أيضا قال: كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا نزلت بسم الله الرحمن الرحيم علموا أن السورة قد انقضت(٤.(

ويرد على هذا الاستدلال ما يلي...أولا: مخالفته لما كاد أن يكون إجماعا من جزئيتها للكتاب العزيز، فقد قال الآلوسي في تفسيره ما هذا لفظه: «ولا ينبغي لمن وقف على الأحاديث أن يتوقف في قرآنيتها، أو ينكر وجوب قراءتها ويقول بسنيتها»(٥.(

ثانيا: معارضته للأخبار المتضافرة الدالة على جزئيتها للقرآن وكونها آية

---

(١)المصدر السابق.

(٢)مسند أحمد بن حهنبل ٨٥/٤.

(٣)مستدرك الحاكم ٢٣١/١.

(٤)مستدرك الحاكم ٢٣٢/١.

(٥)روح المعاني ٤٥/١.

منه -على اختلاف السنتها ومداليلها- فإنها جميعا تدل على كونها آية منه، وإن اختلفت هي من حيث كونها آية لكل سورة، أو لخصوص الفاتحة أو آية فذة.

ثالثا: ان هذه الأخبار لا يمكن الأخذ بها في نفسها، أمّا الصنف الأول فلأن ما روي عن أنس متضارب ومتناقض، فإنه في حين روي عنه هاتين الروايتين، استفاض نقله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجهر بالبسملة في الصلاة، فقد روى قتادة عنه أنه سأله: كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كانت مدا، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم -يمد الرحمن ويمد الرحيم(١.- (

وروى شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم(٢.(

وروى محمد بن أبي السري العسقلاني قال: صلّيت خلف المعتمر بن سليمان ما لا احصي صلاة الصبح والمغرب، فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن اقتدي بصلوة أبي، وقال أبي: ما آلو أن اقتدي بصلوة انس بن مالك، وقال انس بن مالك: ما الو أن اقتدي بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣.(

وقد علق الحاكم في مستدركه على سند كل من هاتين الروايتين بقوله: «رواة هذا الحديث عن اخرهم ثقات.«

وروى حميد عن أنس قال: صلّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف علي، فكلهم كانوا يجهرون بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم(٤.(

---

(١)روح المعاني ٤٥/١.

(٢)المصدر السابق.

(٣)مستدرك الحاكم ٢٣٣/١.

(٤)مستدرك الحاكم ٢٣٤/١.

فإنه وبعد ورود هذه الروايات المعتبرة سندا عن أنس، كيف يمكن أن يقال: أن أنس قد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده لم يكونوا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم في صلاتهم؟!

وأمّا رواية ابن عبد الله بن مغفل، فلابد من رفع اليد عنها وطرحها، لا شتمالها على ما لا يقول به أحد من المسلمين، وهو النهي عن البسلمة واعتبار قراءتها في الصلاة حدثا في الإسلام، فإنه لا قائل به على الإطلاق، إذ العلماء بين قائل بالوجوب، وقائل بالاستجاب، من غير أن يخالف فيه أحد.

نعم، نسب الى مالك القول بكراهتها في نفسها، واستحبابها لأجل الخروج عن الخلاف. فالرواية لا يمكن الاخذ بها.

وأمّا الصنف الثاني: فلأن جميع رواياته قاصرة عن اثبات المدعى، وذلك لأن توقف العلم بانقضاء سورة وبدء سورة جديدة على البسلمة لا يلازم عدم كونها من السورة الجديدة، بل ينسجم حتى مع القول بكونها جزءا لكل سورة، لعدم المنافاة بينهما، ولعل الوجه فيه ظاهر، فإن مجرد إثبات كونها علامة لانتهاء السورة وبدء سورة مستأنفة، لا ينفي جزئيتها للكتاب العزيز، لعدم الملازمة بينهما-وتشهد له رواية ابن عباس لها ولما دلّ على جزئيتها للفاتحة معا- وحيث أن هذه النصوص لا تتضمن إلا الناحية الأولى، فلا تصلح دليلا لنفي جزئيتها للقرآن وكونها علامات صرفة.

رابعا: ان هذه الأخبار -روايات الصنف الأول- محمولة على الإخفات في قراءتها -كما عليه جمهور من المفسرين- ويشهد له ذكر أرباب الحديث لها في كتبهم تحت عنوان «باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة» أو ما يقاربه(١.(

فإنه يكشف عن فهم مشايخ الحديث ذلك منها، ومعه فلا يبقى مجال

---

(١)راجع صحيح مسلم ٢/١٢، والترمذي ٢/٤٣ وسنن النسائي ١/٢٤٤ وسنن أبي داود ١/٢٨٣ -طبعة دار الكتاب العربي- ومعه عون المعبود.

للاستدلال بها على نفي جزئية البسلمة للكتاب العزيز.

وأما القول الأخير، فلم أجد من اختاره صريحا غير الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي-حيث قال ما لفظه: «والحق أنها آية من القرآن في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يفصلّون بها بين السورتين، وليست آية في قراءة من لم يفصل بها»(١.(وضعفه غير خفي، فإن الفصل بها بين السورتين لايلازم كونها آية من القرآن الكريم، كيف وقد جمع القرطبي في تفسيره بين اختيار عدم كونها من القرآن، وكونها فاصلة بين السور؟ !فقد ذكر في ردّ من استدل على كونها آية من القرآن بثبتها في المصحف ما لفظه: «ما ذكرتموه صحيح ولكن كونها قرآنا أو كونها فاصلة بين السور-كما عن ـالصحابة: كنا لانعرف انقضاء السورة حتى تنزل (بسم الله الرحمن الرحيم) أخرجه أبو داود-أو تبركا بها، كما قد اتفقت الأمة على كتبها في أوائل الكتب والرسائل، كل ذلك محتمل»(٢)، فإن الجمع بين احتمال كونها فاصلة بين السور خاصة، أو كون ذكرها للتبرك من جهة، وبين نفي كونها من القرآن، خير شاهد على عدم الملازمة بينهما.

والمتحصل من جميع ما تقدم: أن البسملة جزء من القرآن الكريم، كما تشهد له نصوص الفريقين المتظافرة، وقول من نفى جزئيتها شاذ ومخالف لما ثبت بالتواتر، والإجماع، والسيرة، فلايعتد به، كما وهي آية من فاتحة الكتاب، لثبوت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لها -جهرا أو إخفاتا- في صلاته، وما ادعي من إجماع الصحابة عليها.

بل وهي آية من كل سورة عدا براءة لما تقدم من النصوص الدالة عليه، وعدم تمامية ما استدل به على اختصاصها بفاتحة الكتاب.

---

(١)النشر في القراءات العشر ١٥/١.

(٢)الجامع لأحكام القرآن ٩٤/١.

البحث اللغوي

الاسم: ما يعرف به الشيء ويستدل به عليه(١)، والعلامة(٢.(

قال العلاّمة ابن منظور: اسم الشيء وسمه وسمه وسماه: علامته.

التهذيب: والاسم ألفه ألف وصل، والدليل على ذلك أنك إذا صغرت الاسم قلت سميّ، والعرب تقول: هذا اسم موصول وهذا أسم.وقال الزجاج: معنى قولنا اسم هو مشقق من السمو وهو الرفعة، قال: والأصل فيه سمو مثل قنو وأقناء.

الجوهري: «والاسم مشتق٤ من سموت، لأنه تنويه ورفعة، وتقديره إفع؛و الذاهب منه الواو، لأن جمعه أسماء وتصغيره سميّ، واختلف في أصله، فقال بعضهم: فعل، وقال بعضهم: فعل، وأسماء يكون جمعا لهذا الوزن»(٣.(

وأشهر اللغات فيه أربعة: اسم واسم بالكسر والضم، وسم وسم كذلك.وهو مشتق من السمو -أي الارتفاع- فإن المعنى به يعلو ويرتفع، فيخرج من الخفاء إلى الظهور، لا السمة -اي العلامة- فإن جمعها يكون أوسام وأوسمة، وتصغيرها وسيم، والنسبة إليها وسمي، وعند التعدية وسمت وأوسمت، في حين أن جمع الأسم أسماء، وتصغيره سمي، والنسبة إليه سموي أو أسمي، وعند التعدية سميت وأسميت.

نعم، في بعض الأخبار ما يدل على الثاني، ففي العيون عن الرضا عليه السّلام في معنى قوله: بسم الله قال عليه السّلام: «يعني أسم نفسي بسمة من سمات الله، وهي

---

(١)المعجم الوسيط ٤٥٥/١.

(٢)اقرب الموارد ٥٤٥/٢.

(٣)لسان العرب طبعة دار لسان العرب ٢١٢/٢.

العبادة، قيل له: ما السمة؟ قال: العلامة»(١.(

إلا أنها ضعيفة السند بمحمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني.

الله: علم يختص بالذات المقدسة، وجامد -غير وصف- لايطلق على غيرها، ولهذا جاز أن ينادى اسم الله وفيه لام التعريف وتقطع همزته، فيقال: يا الله، ولايجوز يا لإله على وجه من الوجوه(٢.(

وهو مأخوذ من كلمة «لاه»، بمعنى الخفاء والارتفاع، حيث تعالى الله في عظمته وعلا في جبروته وخفي عن العباد بذاته.

وليس هو مشتقا من الاله بمعنى المعبود، أو أله بمعنى تحير أو لجأ، فإنه لو تم لاقتضى عدم تمامية التوحيد بكلمة«لا إله إلا الله»، فإنها تكونه كقولنا«لا إله إلا الرازق»، وبطلانه أوضح من أن يخفي(٣)، إلا أن هذا القول ينافي ما دل صريحا على استقاق لفظ الجلالة، ففي صحيحة هشام بن الحكم: أنه سأل أبا عبد الله عليه السّلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ فقال: «يا هشام الله مشتق من إله، وإله يقتضي مألوها، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام»؟.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قال: قلت: زدني.

قال: «لله تسعة وتسعون اسما، فلو كان ـالاسم هو المسمى لكان كل اسم منها الها، ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحرق، أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا المتخذين

---

(١)معاني الأخبار ص ٣ باب اخر في معنى بسم الله ح ١.

(٢)لسان العرب ٨٨/١.

(٣)البيان ص ٤٢٥-٤٢٧ باختصار.

مع الله عز وجلّ غيره»؟

قلت: نعم، فقال: «نفعك الله به وثبتك يا هشام.«

قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحد حتى قمت مقامي هذا»(١.(

ويؤيدها ما رواه في معاني الأخبار، عن الحسن بن علي بن محمد عليهم السّلام في قول الله عزّ وجل: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقال: «الله هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، وعند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه، تقول: «بسم الله»أي استعين على أموري كلها بالله الذي لاتحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث والمجيب إذا دعي.«

وهو ما قاله رجل للصادق عليه السّلام: «يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو، فقد أكثر علي المجادلون وحيروني؟ فقال له: «يا عبد الله هل ركبت سفينة قط»؟ قال: نعم. قال: «فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ «قال: نعم. قال: «فهل تعلّق قلبك هناك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟ »قال: نعم. قال الصادق عليه السّلام: «فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث»(٢)، وغيرها.

ودعوى: انه لا ضير في الالتزام بكون لفظ الجلالة من المنقول، بمعنى أن المشتق إنما هو اللفظ في مرحلة سابقة عن تسمية الات المقدسة به، وأمّا بعد تسميتها به فاللفظ بالنسبة إليها علم جامد، فهو نظير كلمة «الفاضل» الذي هو مشتق من الفضل، لكن لا ينافي ذلك كونه علما لذات معينة لتسميتها به، فيكون من المنقول.

مدفوعة: بأنها خلاف ظاهر السؤال في صحيحة هشام بن الحكم جدا،

---

(١)أصول الكافي ١/١١٤/٢.

(٢)معاني الأخبار ص ٤ باب معنى «الله» عزوجلّ، حديث: ٢.

فإن المسؤول عنه-لا سيما بعد ملاحظد أن السائل هو هشام بن الحكم المختص بالمناظرات الكلاميةـوالمسؤول منه هو الإمام عليه السّلام الذي يقتضي منصبه السؤال منه عما يتعلق بالعقائد أو الأحكام، بل ونفس الجواب حيث تصدّى عليه السّلام بعد قوله: الله مشتق الى بيان ما هو المعبود، وانه ليس هو هذا اللفظ ولا هو مع المعنى، وإنما هو المعنى خاصة، إنما هو لفظ «الله» بما هو معبّر عن الذات المقدسة، لا هو بحسب مرحلة قبل تسمية الذات المقدسة به. ومع قطع النظر عن هذه التسمية.

وأمّا ما قيل من استلزام الاشتقاق لعدم تمامية التوحيد بكلمة التوحيد حيث يكون حالها حال قولنا: «لا إله إلا الرازق.«

فمدفوع: بأنه إنما يتم فيما إذا لم يختص هذا اللفظ في مقام الاستعمال الخارجي بالتعبير عن الذات المقدسة، وأمّا مع اختصاصه بها بحيث لا يستعمل في غيرها، نظير ما قيل في لفظ «الرحمن» من كونه صفة مختصة بالباري عز وجلّ، فلا يوصف بالرحمانية غيره، يكون الفرق بين قولنا: «لا اله إلا الله» و «لا إله إلا الرازق» واضحا، فإن الأول يدل على التوحيد لاختصاص اللفظ في التعبر عنه، والثاني لا يدل عليه لإطلاقه على غيره.

إذن: فالصحيح هو البناء على الاشتقاق متابعة للنص الصحيح المعتضد باختيار معظم اللغويين، بل وجمهور المفسرين له.

الرحمن: على وزن فعلان، كثير الرحمة، وصف به تعالى لأن رحمته وسعت كل شيء، بل قيل باختصاصه تعالى به، ولذا لا يوصف غيره به.

الرحيم: مبالغة في الرحمة.

وقد ورد في ذكره بعد الرحمن وجوه:

الأول: ان الرحمن مختص به تعالى والرحيم يشتمل غيره أيضا، إذ في

الرحمن مبالغة يختص بها الله سبحانه وتعالى، وهي فعل النعمة(١).

الثاني: ما نسب إلى الفاسي من كونه تخصيصا بعد العموم والاستغراق، فإن الرحمن عام للبر والفاجر، والرحيم يختص به المؤمنين(٢)، وقد ذكره بعض التابعين(٣)، بل وفي النصوص ما يدل عليه صريحا، فقد روي في الكافي والتوحيد والمعاني وتفسير العياشي، عن الصادق عليه السّلام: «والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة»(٤).

الثالث: ما نسب الى أبي العباس من كون الرحمن عبرانيا، والرحيم عربيا(٥).

الرابع: إن ذكره للتوكيد لا غير -ذكره الجوهري-(٦)، وحكي عن أبي عبيدة(٧).

الخامس: ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن عيسى بن مريم قال: الرحمن رحمن الدنيا، والرحيم رحيم الأخرة(٨)، وليس من البعيد دعوى اتحاد هذا الوجه مع الوجه الثاني، فإن رحمة الله تبارك وتعالى في الدنيا نعم المؤمن والكافر، في حين أن رحمته في الأخرة تختص بالمؤمنين المتقين، فإن العاقبة للتقوى، بل وربما يستفاد ذلك من بعض النصوص أيضا.

السادس: ما احتمله السيد الوالد قدس سرّه في بيانه من أن الرحمن لا يدل إلا على ثبوت الرحمة، في حين أن الرحيم يدل على كون ذلك من الغرائز واللوازم

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)التبيان ٢٨/١.

(٢)تنوير المقباس: ص ٢.

(٣)التبيان ٢٩/١.

(٤)الميزان: ٢٣/١.

(٥)لسان العرب: ١١٤٣/١.

(٦)لسان العرب: ١١٤٣/١.

(٧)التبيان: ٣٠/١.

(٨)التبيان: ٢٩/١.

غير القابلة للنفكاك -كما هو الغالب في زنة فعيل.-

أقول: الذي يقتضيه التأمل ومراجعة موارد استعمال الكلمة في القرآن الكريم، أن «الرحمن» دالة على تأصّل الصفة بالنسبة للذات المقدسة إلى حد يصح دعوى كونها اسما له تبارك وتعالى وعلما من أعلامه، وغير مستعملة في الصفتية للذات

وبعبارة اخرى: أن كلمة «الرحمن» تمتاز عن «الرحيم» في علميتها واسميتها للذات المقدسة، نظرا لشدة تأصل الصفة فيها، بخلاف «الرحيم» حيث أنها مستعملة في الصفتية جزما.

ويشهد لما ذكرناه مضافا إلى كثرة استعمال «الرحمن» في القرآن الكريم للدلالة على الذات المقدسة، حتى بلغ في سورة واحدة -مريم- ستة عشر موردا، وفي جميع الكتاب العزيز سبعة وخمسين موردا، خصوص بعض الآيات الكريمة الظاهرة جدا في استعمال الكلمة علما للذات المقدسة:

قال تعالى: (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لّتتلوا عليهم الّذي أو حينآ إليك وهم يكفرون بالرّحمن قل هو ربّي لآ إله إلاّ هو عليه توكّلت واليه متاب)(١).

وقال تعالى: (قل أدعوالله أو ادعو الرّحمن أيامّا تدعو فله الأسمآء الحسنى)(٢).

وقال تعالى: (وعباد الرّحمن الّذين يمشون على الأرض هونا)(٣).

وقال تعالى: (ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين)(٤).

---

(١)الرعد، الآية: ٣٠.

(٢)الأسراء، الآية: ١١٠.

(٣)الفرقان، الآية: ٦٣.

(٤)الزخرف، الآية: ٣٦.

وقال تعالى: (الرَّحمن علّم القرآن)(١.(

الى غير ذلك من الآيات الكريمة الظاهرة جدا في استعمال «الرحمن» اسما للذات المقدسة، وبدلا عن كلمة الجلالة «الله.«

والذي يتحصّل مما تقدم: أنه ليس هناك تكرار للصفة في الآية الكريمة، وإنما هي متضمنة لاسمين من أسماء الذات المقدسة، وصفة من صفاتها خاصة.

نعم، تعدد الأسماء في الآية الكريمة إنما هو لبيان تأصل السجية في الذات المقدسة. فلاحظ.

الاعراب

بـ: حرف جر، وقال الكسائي: لا موضع لها نمن الاعراب(٢.(

وقد كسرت-مع أن الأصل في الحروف البناء وأصل البناء السكون- لعدم جواز الابتداء بالساكن.

وحيث لابد للحرف من فعل يتعلّق به، وقع الخلاف بين النحويين في متعلقها، فقذ ذهب الفراء إلى كون متعلقها (ابتدأت) أو (أبدأ)، وعلى هذا يكون ما بعدها منصوبا على المفعولية، وذهب البصريون إلى كونه (ابتدائي)، وعليه فيكون ما بعدها مرفوعا على الخبرية.

وفي ذلك أقوال أخر لا حاجة إلى ذكرها.

اسم: مجرور، وهو مضاف.

الله: لفظ الجلالة مجرور على الإضافة (مضاف إليه.(

الرحمن الرحيم: مجروران لكونهما صفتين للفظ الجلالة.

---

(١)الرحمن، الأية: ١ و٢.

(٢)اعراب القرآن للنحاس: ١١٦/١.

التفسير

بعد ما تقدم من المعنى اللغوي للبسملة، يتضح تفسر هذه الآية الكريمة، فإنها تتضمن الابتداء باسمه الكريم بعد وصفه جلّ شأنه بما يليق به من صفاته الكريمة، من الرحمة اللامتناهية والعطف الذي يليق بربوبيته، تيمّنا وتبرّكا به، وللاستعانة على افتتاح الأمر العظيم والشروع فيه -اعني كلام الله تبارك وتعالى- ولعل السر في ذكرها عند بدء كل سورة من سور الكتاب العظيم، تعليم العبد لما ينبغي أن يكون عليه في أعماله وتصرفاته، فيكون خلقا له وموجبا للبركة والنجاح له فيها.

وإلى هذا المعنى أشار الإمام الباق عليه السّلام بقوله: «سرقوا أكرم آية في كتاب الله[بسم الله الرحمن الرحيم]، وينبغي الاتيان به عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه»(١)، بل وما رواه في معاني الأخبار عن الحسن بن علي بن محمد عليهم السّلام في حديث قال: «تقول: (بسم الله) اي أستعين على أموري كلها بالله، الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إا استغيث والمجيب إذا دعي»(٢).

وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كل كلام أو أمر ذي بال لم يفتح بذكر الله عزّ وجل فهو أبتر -أو قال- أقطع)(٣).

ثم إنه قد ورد في بعض النصوص تفسير هذه الآية الكريمة على اساس حروفها، بحيث جعل كل حرف مشيرا إلى معنى معين، فقد روى عبد الله بن

---

(١)تفسير العياشي: ١٩/١.

(٢)معاني الأخبار: ص ٤.

(٣)مسند أحمد بن حنبل: ٣٥٩/٢.

سنان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: سألته عن«بسم الله الرحمن الرحيم»فقال عليه السّلام: «الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله-أو ملك الله، على ما في بعض النسخ-...الحديث»(١)، إلا أن هذه النصوص ومع قطع النظر عن اسانيدها مجملة، ولا بد من ردّ علمها إلى أهلها.

---

(١)معاني الأخبار ص ب معنى بسم الله الرحمن الرحيم ح ١.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (الحمد لله ربّ العالمين(٢) الرّحمن الرّحيم(٣)(

اللغة

الحمد: هو الثناء بالجميل ويقابله الذم(١.(

والفرق بينه وبين الشكر أن الأول لا يكون إلا على الفعل الاختياري والحسن، سواء أكان إحسانا للحامد أم لم يكن، والثاني يقابل الكفران وهو لا يكون إلا على الإنعام والإحسان، وقريب منهما المدح الذي يقابل الهجاء.

فعلى هذا: الحمد أصم من الشكر من جهة المتعلّق -أعني كون الفعل إحسانا وعدمه- وأخصّ منه من حيث المورد لاختصاصه بالفعل الاختياري الحسن، والشكر بالعكس فهو أعم منه من حيث المورد، إذ لم يعتبر فيه كونه فعلا اختياريا، وأخصّ منه من حيث المتعلق إذ يعتبر فيه كونه إحسانا للحامد وإنعاما عليه.

ثم إن في حركات هذه الكلمة خلافا، فقد ذهب بعض الى رفع الدال منه في حين اختار بعضهم نصبه، وقال ثالث بكسره.

وكذا الخلاف في حركة لفظ الجلالة، فمنهم من كسر اللام، ومنهم من رفعها، ومنهم من نصبها، وكذا الخلاف في الهاء من حيث الكسر والرفع.

أشهر هذه الأقوال وأصحّها هو رفع الدال مع كسر اللام والهاء.

قال الفراء: (اجمع القراء على رفع الحمد، وأمّا أهل البدو فمنهم من يقول: «الحمد لله» -بالفتح- ومنهم من يقول«الحمد لله» ومنهم من يقول: «الحمد لله» -برفع الدال واللام-

.

أمّا من يقول بالنصب، فيعتبره مصدرا لا اسما، فيجوز فيه النصب، ومنه

---

(١)اساس البلاغة ص ١٤٠.

قوله تعالى: (إذا القيتم الّذين كفروا فضرب الرقاب)(١.(

وأمّا من يقول بخفض الدال من الحمد، فيرى أن هذه الكلمة -الحمد لله- قد صارت كالاسم الواحد نتيجة لكثرتها على ألسن العرب، وحيث يثقل عليهم أن يجتمع في الاسم الواحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا أن الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل «إبل»، كسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم.

وأمّا من ضمهما معا فقد أراد المثال الأكثر من اسماء العرب الذي يجتمع فيه الضمتان مثل«الحم والعقب»(٢.(

وأمّا من رفع الهاء فإنه يقول: أصلها رفع في نصبها وخفضها ورفعها.

رب: مأخوذ من ربب: وهوالله عز وجلّ، هو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، ولا شيك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأرباب، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة.

ويطلق على المالك والسيد والمدبّر والمربّي -ومنه الربيبة- والقيم والمنعم(٣.(

العالمين: أصناف الخلق، والعالم -بفتح اللام- الخلق كله، وقيل: ما احتواه بطن الفلك، وهو جمع لا واحد له من صنفه، لأنه جمع لأشياء مختلفة، ويطلق على صنف معين من الخلق كعالم الطيور وعالم الحيوان وعالم الانسان وعالم الجن، وجمعه عالمون، ولا يجمع شيء على زنة فاعل بالواو والنون إلا هذا، وقيل: جمعه العوالم(٤.(

---

(١)سورة محمد: الآية: ٤.

(٢)معاني القرآن: ١/٣-٥ باختصار وتصرف.

(٣)لسان العرب: ١/١٠٩٨.

(٤)لسان العرب: ٢/٨٧١.

الاعراب

الحمد: مبتدأ مرفوع.

لله: لفظ الجلالة جار ومجرور، خبر ومتعلقه محذوف تقديره: (استقرّ أو مستقر.(

ربّ: صفة لله (مجرور) وهو مضاف.

العالمين: مضاف إليه مجرور وعلامته الياء والنون.

الرحمن: صفة للفظ الجلالة، مجرور.

الرحيم: صفة للفظ الجلالة، مجرور.

التفسير

تضمنت الآية الكريمة بيان اختصاص الثناء المطلق الكامل والشكر اللامحدود للذات المقدسة، الكاملة من حيث كل ما هو حسن، والنزيهة من حيث كل ما هو قبيح، لأن الألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد، فهي المختصة بالكمال والمتفردة في التنزّه من النقص، دون غيرها من الأرباب ومدعي الربوبية.

Al-Khoei Institute

ومن ثمّ اختصّ الثناء المطلق بها، فإنه لايستحقه إلا من هو كذلك، دون من لايخلو من نقيصة ذاتية ويحتاج في خلقه وتدبير أموره إلى غيره، وحيث أن العبد مهما بلغ من قوة الادراك والشعور قاصر وعاجز عن شكر نعمة واحدة من نعمائه، فكيف: (وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها)(١.(

فقد انزل الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة لتكون خير معلم للعبد

---

(١)سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

العاجز والمتحير في مقام شكر مولاه المطلق، ففي العيون عن علي عليه السّلام أنه سئل عن تفسيرها فقال: هو ان الله عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملات، إذ لايقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف، فقال: قولوا الحمد لله على ما أنعم به علينا، فهو أروع وصف وأبدع شكر وأحسن ثناء يمكن للعبد أن يطريه على مولاه ويؤديه في هذا المقام.

فقد روى صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال لي: «ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلا أدّى شكرها»(١)، وروى حماد بن عثمان قال: «خرج أبو عبد الله عليه السّلام من المسجد وقد ضاعت دابته، فقال: «لئن ردّها الله عليّ لأشكرن الله حق شكره»قال: فما لبث أن أتي بها، فقال: «الحمد لله»فقال له قائل: جعلت فداك أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره؟ فقال أبو عبد الله عليه السّلام: «ألم تسمعني قلت: الحمد لله؟ »، وفي كشف الغمة عن الصادق عليه السّلام قال: «فقد لأبي عليه السّلام بغلة فقال: لئن ردها الله عليّ لأحمدنه بمحامد يرضيها، فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها، فلما استوى وضع إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد لله، ولم يزد، ثم قال: ما تركت ولاأبقيت شيئا، جعلت أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلا وهو داخل فيها.«

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

فهو رب الانس والجن ومالك الأكوان وخالق الخلق كلهم، وهو الرحمن بما أفاض على خلقه من برهم وفاجرهم، صالحهم وطالحهم، من النعم الظاهرة والباطنة، والرحيم بما تفضل من إثبات تلك النعم عليهم وعدم سلبها منهم، رغم كثرة معاصيهم وتقصيراتهم في امتثال أوامره.

وهو مالك يوم الجزاء والحساب يغفر لمن يشاء ويؤاخذ من يشاء.

---

(١)اصول الكافي ج ٢باب الشكر ح ١٤.

قوله تعالى: (مالك يوم الدّين(٤) إيّاك نعبد وايّاك نستعين(٥((

القراءة

قرأ الاكثر مالك زنة فاعل، منهم عاصم والكسائي وخلف ويعقوب الحضرمي، ومعظم القرّاء العشرة، وكثير من الصحابة والتابعين.

وقرأ الباقون ملك -على اختلاف في التحريك- وشذّ من قرأه (ملكي) بالياء، أو مليك على زنة فعيل، أو ملاك بالألف وتشديد اللام وكسر الكاف.

وكيف كان: فالمشهور منها هو الأولان خاصة وغيرهما شاذ لايعبأ به.

اللغة

مالك: هو القادر على التصرف في ماله كيفما يشاء، بحيث لايكون لأحد منعه منه، والملك هو القادر الواسع القدرة الذي له السياسة والتدبير.

الدين: تستعمل هذه الكلمة في معان:

-١الجزاء: قال تعالى: (فلو لا ان كنتم غير مدينين)(١) أي غير مجزيين.

ويشهد لإرادته فيما نحن فيه قوله تعالى: (اليوم تجزون ما كنتم تعملون)(٢)، وقوله تعالى: (اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت)(٣)، وقوله تعالى: (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحقّ)(٤.(

-٢الحساب: ويشهد له قوله تعالى: (وقالوا ربّنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم

---

(١)الواقعة، الآية: ٨٦.

(٢)التحريم، الآية: ٧.

(٣)غافر، الآية: ١٧.

(٤)النور، الآية: ٢٥.

(الحساب)(١)، وقوله تعالى: (انّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم يوم الحساب)(٢)، وقوله تعالى: (هذا ما توعدون ليوم الحساب)(٣)، وقوله تعالى: (وقال موسى انّي عذت بربّي وربّكم من كلّ متكبّر لايؤمن بيوم الحساب)(٤.(

-٣الحكم والقضاء: قال تعالى حكاية لقصة يوسف عليه السّلام: (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك)(٥.(

-٤العادة: تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني أي عادتي، قال المثقب العبدي يذكر ناقته:

تقول إذا درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا ودِيني(٦(

-٥الطاعة: قال عمرو بن كلثوم:

واياما لنا غرا وكراما * عصينا الملك فيها أن ندينا(٧(

إلى غير ذلك من المعاني التي ذكرت له.

إلا أن المناسب منها للمقام إنما هو المعنيان الأولون خاصة، كما يشهد له قوله تعالى: (انّ الأبرار لفي نعيم * وانّ الفجّار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * و ما أدراك ما يوم الدين * و ما هم عنها بغائبين * ثم ما أدراك ما يوم الدين * يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)(٨)، فإن يوم القيامة الذي لاتملك فيه نفس لنفس شيئا، هو يوم الحساب والجزاء.

---

(١)ص، الآية: ١٦.

(٢)ص، الآية: ٢٦.

(٣)ص، الآية: ٥٣.

(٤)ص الآية: ٢٧.

(٥)يوسف، الآية: ٧٦.

(٦)لسان العرب ١٠٤٤/١.

(٧)لسان العرب ١٠٤٤/١.

(٨)الانفطار، الآية: ١٣-١٩.

فاليوم تجزى كل نفس بما كسبت، وهذا ما توعدون ليوم الحساب.

العبادة: الخضوع والذلة، يقال طريق معبّد إذا كان مذللا بكثرة الوطئ، وبعير معبّد أي مذلل بالركوب.

وعلى هذا الاساس سمّي العبد عبدا، لذلته لمولاه.

ومنه استعمالها في الطاعة قال تعالى: (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشّيطان انّه لكم عدو مبين)(١)، فإنها بمعنى الخضوع للشيطان باطاعته فيما يأمر أو ينهى.

نعم المنسبق منها إلى الفهم العرفي عند الإطلاق وعدم القرينة هو التأله، ومنه قوله تعالى: (قل انما امرت أن أعبد الله ولاأشرك به)، إلا أن هذا ليس معنى آخر في قبال ما ذكرناه، فانه أيضا بمعنى الخضوع والتذلل، غاية الأمر هما في أعلى مراتبهما حيث لايستحقهما إلا هو، ومن هنا فقد قيل إنها لاتستعمل إلا في الخضوع له.

الاستعانة: طلب المعونة، وتتعدى بالباء وبنفسها مباشرة فيقال: استعنت به واستعنته.

الإعراب

مالك: مجرور على النعتية للفظ الجلالة، وهو مضاف.

يوم: مضاف إليه مجرور، وهو مضاف.

الدين: مضاف إليه مجرور.

اياك: إيا مفعول مقدم، ومحل الكاف الخفض بالإضافة.

نعبد: فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره «نحن.«

---

(١)يس، الآية: ٦٠.

و: حرف عطف.

إياك: إيا مفعول مقدم، والكاف في محل الخفض بالإضافة.

نستعين: فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره «نحن.«

والنون في أول الفعل مفتوح إلا على لغة هذيل وقيس وتميم وأسد وربيعة، حيث يكسرونها.

التفسير

تلقن هذه الآية الكريمة -وبوضوح- العبد كيفية الحالة التي ينبغي أن يكون عليها في مقام تصرفاته، وأنه لا ينبغي الخضوع أو التذلل لأحد أو الاستعانة به، إلا لله تعالى، لأنه الوحيد الذي يستحق ذلك، كما يظهر هذا من تقديم المعمول على العامل، وفيه دلالة واضحة على حرية العبد في قبال كل ما هو عظيم، أو يتخيّل العظمة له سوى ذاته المقدسة، أو ما يعود في النتيجة إلى الخضوع والتذلل لذاته المقدسة.

قال تعالى: (وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه)(١).

)قل انّما امرت ان أعبد الله ولااشرك به)(٢)، (قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدّين)(٣).

وكيف كان: فالملحوظ في هذه الآية المباركة امور أربع:

الأول: تقديم المعمول على العامل: حيث قال تعالى: (اياك نعبد وايّاك نستعين) ولم يقل (نعبدك ونستعينك)، وفي هذا إشارة واضحة إلى تفرد الله تبارك وتعالى بأهلية العبادة والاستعانة دون غيره، فإنهم أعجز عن أن يجلبوا

---

(١)الاسراء، الآية: ٢٣.

(٢)الرعد، الآية: ٣٦.

(٣)الزمر، الآية: ١١.

لأنفسهم نفعا أو يدفعوا عنها ضرا (قل أتعبدون من دون الله ما لايملك لكم ضرا ولا نفعا)(١)، (أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)(٢)، (ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقا)(٣)، ومن هذا حاله لايليق بالخضوع لهم والوقوف عند أبوابهم طلبا لمعونتهم ومدّ يد الفقر والذلة انتظارا لعطائهم مهما كبر عند العبد.

)انّ الذين تدعون من دون الله لنيخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب)(٤)، (استعينوا بالله واصبروا)(٥.(

الثاني: تكرار المعمول: فإنه تعالى قال: (ايّاك نعبد وإيّاك نستعين)، ولميقل: (اياك نعبد ونستعين)، فانه ليس لمجرد التأكيد كما قيل، وإنما للدلالة على انحصار أهلية الاستعانة به تعالى، كانحصار أهلية العبادة فيه، وفي ذلك تنبيه للعبد على عدم التوجه في مطالبه ومهماته إلى غير الله، بزعم أن العبادة وإن كانت لله تبارك وتعالى وحده إلى أن المعونة في قضاء الحوائج قد تكون من غيره أيضا -كما يتخيله بعض العوام- فإن فيه ابتعادا عن المصدر الحقيقي، ومن ثمّ التيه والضلال، بل لابد من التوجه إليه في كل ما يهم العبد من امور الدنيا والدين، والانقطاع اليه (وتبتّل اليه تبتيلا) فإنه المصدر الحقيقي للمعونة والقادر المطلق على انجاز طلبة عبده (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)(٦)، (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر

---

(١)المائدة، الآية: ٧٦.

(٢)الأنبياء، الآية: ٦٧.

(٣)النحل، الآية: ٧٣.

(٤)الحج، الآية: ٧٣.

(٥)الاعراف، الآية: ١٢٨.

(٦)القصص، الآية: ٨٢.

له)(١)، (بيدك الخير إنك على كلّ شيء قدير)(٢)، فهو الذي يفعل ما يشاء وليس هناك غيره من يفعل ما يشاء.

قال الله تعالى: (انّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكـ)(٣)، (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له)(٤.(

الثالث: استعمال ضمير المخاطب والتبدل من صيغة الغيبة الى صيغة الخطاب: فإنه وبعد ذكر الحمد والثناء على الذات المقدسة ووصفها بما يليق بها من الأوصاف، تغيّر إسلوب البين فانتقل من الغيبة إلى الخطاب، فقال تعالى عن لسان عبده: (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين)، ولم يقل (اياه نعبد واياه نستعين)، وهو اسلوب بلاغي قيّم يوجب إلفات العبد إلى عظم الأمر، وبيان رائع لقربه تعالى من عبده، فهو الذي يسمع ما يقوله عبده ويرى منظره، وهذا يقتضي تنبّه العبد إلى مغزى هذا التعبير حين أدائه فيقوله وكأنه يرى الله.

)وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)(٥.(

الرابع: إفراد الضمير: قال تعالى: (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) ولم يقل: (اياكم نعبد واياكم نستعين)، مع أن في الاتيان بالجمع تعظيما وتكريما للمخاطب.

فإن قيه دلالة على عظمة الله تبارك وتعالى وعظم محامده، فإن العظيم إذا تعالت عظمته وخرجت عن حدّ الوصف، أفرد له الضمير وجرد ذكره عن الالقاب، إذ لا شيء يمكن به التعبير عن محامده وعظمته.

وهذا أمر مركوز في أذهان العرف، فترى أن الناس في مقام الدعاء يخاطبون الله تعالى بقولهم: (أنت وعدت)، أو (أنت قلت)، ولايقولون (أنتم

---

(١)سبأ، الآية: ٣٦.

(٢)آلعمران، الآية: ٢٦.

(٣)الاعراف، الآية: ١٩٤.

(٤)العنكبوت، الآية: ١٧.

(٥)البقرة، الآية: ١٨٦.

تفضلتم بالوعد)، فإنه ليس إلا لعجز البيان عن الوصف، واللسان عن التعبير، لعظمته تبارك وتعالى وهو غاية التعظيم لا سيما بالنسبة إلى من هو غني عن تعظيم العباد ومدحهم وثنائهم، (ان تكفروا فانّ الله غني عنكم)(١)، على أن أفراد الضمير أدل على وحدانية الله تبارك وتعالى، وأبعد عما قد يخطر في ذهن العبد -والعياذ بالله- من شبهة الشرك.

---

(١)الزمر، الآية: ٧.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (إهدنا الصّراط المستقيم(٦) صراط الّذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضّالّين(٧((

اللغة

الهداية: الإرشاد والدلالة والتوفيق.

الصراط: الطريق والسبيل، وأصله من السرط وهو اللقم، فإن مسترط الطعام ممره.

الغضب: السخط ويقابله الرضا.

الضلال: التيه ويقابله الهدي والرشاد.

القراءة

الصراط: قرأ ابن كثير وجماعة بالسين مراعاة لأصله، وقرأ الجمهور بالصاد وهو لغة قريش، ونسب الى حمزة اشمام الصاد زايا، وقرأ بالزاي الخالصة، وقيل انه لغة بني عذرة وبني كعب وبني كلب(١)، ثم إن الحجازيين يؤنثون الصراط وبني تميم يذكرونه.

عليهم: فيه قراءات عشر، ضم الهاء واسكان الميم -ونسبت هذه القراءة إلى حمزة- وكسر الهاء واسكان الميم -وهي قراءة الجمهور- وكسر الهاء والميم مع ياء بعدها - ونسبت هذه القراءة إلى الحسن- وكسر الهاء والميم من غير ياء بعدها -وهي قراءة نافع- وكسر الهاء وضم الميم مع واو بعدها-وهي

---

(١)راجع روح المعاني ٩٢/١ وتفسير ابن كثير ٤٨/١.

قراءة ابن كثير -وضم الهاء والميم مع واو بعدها- ونسبت الى الاعرج ومسلم بن جندب- وضم الهاء والميم معا من غير واو بعدها -نسبت الى ابن هرمز- وكسر الهاء وضم الميم بغير واو -نسبت إلى الأعرج أيضا- وضم الهاء وكسر الميم مع ياء بعدها، وضم الهاء وكسر الميم بغير ياء بعدها.

الاعراب

)اهدنا) : فعل أمر مبني على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت) والضمير (نا) مبني في محل نصب مفعول أول.

)الصراط) : مفعول ثاني منصوب.

)المستقيم) : منصوب على النعتية للصراط.

)صراط) : صفة للصراط الأول أو بدل عنه.

وهو مضاف.

)الذين) : مضافإليه.

)أنعمت) : أنعم فعل ماض والتاء ضمير متصل فاعل.

)عليهم) : جار ومجرور.

)غير المغضوب) : مضاف ومضافإليه، بدل عن قوله الذين.

)عليهم) : جار ومجرور.

)ولا الضالين) : عطف على قوله غير المغضوب عليهم.

التفسير

اختلفت كلمات المفسرين في قوله تعالى: (اهدنا.(

ومنشأ هذا الاختلاف أن الهداية من الله تعالى حاصلة بمنح العبد العقل.

وبعث الرسل والأنبياء عليهم السّلام، فما معنى طلب العبد للهداية بعد ذلك، فمنهم من حملها على

العبادة والانقطاع إليه تعالى، كما قال تعالى: (ربّ احكم بالحقّ)(١)، وإن علمنا أنه لايحكم إلا بالحق، ويكون لنا في ذلك مصلحة كسائر العبادات، كما هو الحال في التعبد بتكرار التسبيح والتحميد والإقرار بتوحيده ولرسوله بالصدق، وإن كنا معتقدين لجميع ذلك(٢.(

ومنهم من حملها على طلب استمرارها وادامة التكليف والتعريض للثواب، لأن ادامة التكليف ليست بواجبة.

بل هو تفضل محض جاز أن يرغب فيه بالدعاء(٣.(

ومنهم من حملها على طلب الهداية الخاصة بعد تفضله تعالى بالهداية العامة، بكلا قسميها التكوينية والتشريعية، إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرت في كلماتهم.

وأقرب هذه الوجوه هو الأخير، فإن الأول بعيد، لأن صيغة الكلمة صيغة الدعاء والطلب من البارئ عز وجل، فحملها على مجرد التلفظ بها تعبدا أو لترتب الثواب عليه، حمل على خلاف ظاهرها، والثاني خلاف ظاهر الصيغة في طلب الحدوث، فإن طلب استمرارها لاينشأ عادة بهذه الصيغة وإنما ينشأ بصيغة التثبيت أو طلب عدم الضلال، كما في قوله تعالى: (ربّنا أفرغ علينا صبرا وثبّت أقدامنا)(٤)، وقوله تعالى: (ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)(٥.(

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

فيتعين القول الثالث، فإن الهداية من الله على أقسام ثلاثة:

الاولى: الهداية العامة التكوينية، وهي التي يعبّر عنها بالفطرة، والتي يمنحها الله العبد بعد خلقه، ومنها قوله تعالى: (ربّنا الذي أعطى كلّ شيء(

---

(١)الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٢)التبيان ٤١/١.

(٣)التبيان ٤١/١.

(٤)البقرة، الآية: ٢٥٠.

(٥)آلعمران، الآية: ٨.

(خلقه ثمّ هدى)(١).

الثانية: الهداية العامة التشريعية بإرسال الرسل وبعث الأنبياء وابلاغ العبد بالأوامر والنواهي، ومنها قوله تعالى: (تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين)(٢)، وقوله تعالى: (شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبينات من الهى والفرقان)(٣).

الثالثة: الهداية الخاصة التي يمنحها الله لبعض عبيده وبها يفضلهم على غيرهم، ومنها قوله تعالى: (انّهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى)(٤)، وقوله تعالى: (ويزيد الله الّذين اهتدوا هدى)(٥)، وقوله تعالى: (ولكنّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين)(٦).

فالمراد بالهداية في هذه الآية الكريمة -والله العالم- هو الهداية الخاصة والعناية الألهية التي يتفضل بها على من يشاء من عباده، ويختار زيادة على الهدايتين العامتين.

وأمّا الهداية الى الثواب والجنة كما في قوله تعالى: (الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله)(٧).

فالظاهر أنها ليست نوعا آخر من الهداية في قبال الأنواع الثلاثة التي ذكرت -كما زعمه بعض- وإنما هي مستعملة في معناها اللغوي أعني الإرشاد والدلالة بمنح العقل وبعث الرسل وتنزيل الكتب.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)طه، الآية: ٥٠.

(٢)لقمان، الآية: ٢-٣.

(٣)البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤)الكهف، الآية: ١٣.

(٥)مريم، الآية: ٧٦.

(٦)القصص، الآية: ٥٦.

(٧)الاعراف، الآية: ٤٣.

ثم إن المذكور في كلماتهم أن الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية، ومن هنا فقد يرد عليهم بأنه كيف يكون كذلك وقد قال تعالى: (فاهدوهم الى صراط الجحيم)(١)، إلا أنه مدفوع: بان ذلك على سبيل التهكم مبالغة في المعنى نحو قوله تعالى: (فبشّره بعذاب أليم)(٢.( )الصّراط المستقيم) قيل هو الكتاب العزيز، وقيل إنه الإسلام، وقيل إنه دين الله الذي لا يقبل من عباده غيره، وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة القائمون مقامه عليهم السّلام.

والقول الأخير وإن كان مرويا في جملة من الأخبار، فعن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع بن الجراح عن الثوري عن السدّي عن اسباط ومجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم)، قال: قولوا معاشر العباد: ارشدنا إلى حب محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السّلام(٣.(

وفي المعاني عن الإمام السجاد عليه السّلام قال: «نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سره»(٤.(

إلا أن الظاهر أن المراد به هو اتّباع دين الله القيم، والخلوص في عبادته، والاعتصام به تبارك وتعالى دون غيره، الشامل قهرا لاتّباع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السّلام من بعده، وسلوك طريق العدل والإحسان والتجنب عن الظلم والفواحش، ويشهد لما ذكرناه جملة من الآيات الكريمة قال تعالى: (انّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(٥) و قال تعالى: (وإنّ الله ربّي(

---

(١)الصافات، الآية: ٢٣.

(٢)لقمان، الآية: ٧.

(٣)الميزان ٤١/١.

(٤)الميزان ٤١/١.

(٥)آل عمران، الآية: ٥١.

(وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(١)، وقال تعالى: (إنّ الله هو ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)(٢)، وقال تعالى: (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم)(٣)، وقال تعالى: (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)(٤)، وقال تعالى: (قل إنّني هداني ربّي إلى صراط مستقيم دينا قيما)(٥.(

فالعبد عند تلاوة هذه الآية الكريمة بطلب من ربه الكريم أن يمنحه الهداية الخاصة، والعناية الالهية التي يختص الله بها من عباده من يشاء في دينه، بجميع أحكامه وشؤونه من الالتزام بما أحبه الله، والتجنب عما حرّمه، وحب النبي وأهل بيته الكرام صلى الله عليه وسلم، (وإنّ الله لهاد الّذين آمنوا إلى صراط مستقيم)(٦)، (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)(٧.(

)صراط الذين أنعمت عليهم) من الأنبياء والصديقين والشهداء، والصالحين، الذين قضوا اعمارهم في الالتزام بمبادئ السماء حرفيًا، وضحّوا بحياتهم في سبيل ترجمة تلك المعابير الحقّة من الأقوال إلى الأفعال، فكانوا بذلك إنموذجا وأمثلة يقتدى بهم وبسيرتهم، ويطلب من الله التوفيق لاتّباع نهجهم وسلوك طريقهم.

)ومن يطع الله والرّسول فأولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيّين(

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)مريم، الآية: ٣٦.

(٢)الزخرف، الآية: ٦٤.

(٣)يس، الآية: ٦١.

(٤)آل عمران، الآية: ١٠١.

(٥)الأنعام، الآية: ١٦١.

(٦)الحج، الآية: ٥٤.

(٧)البقرة، الآية: ٢١٣.

(والصدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن اولئك رفيقا)(١.(

)غير المغضوب عليهم ولا الضّالين) ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بالمغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى في حقهم: (قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنة الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطّاغوب أولئك شرّ مكانا وأضلّ عن سواء السّبيل)(٢)، وبالضالين النصارى لأنهم ضلوا عن الحق بعد إذ جائهم.

وذهب آخرون إلى اشتراك كل من الطائفتين في الصفتين وإن اختصت الاولى بالاولى والثانية بالثانية بحيث كانت تلك هي صفتهم البارزة.

إلا أن الظاهر إرادة ما يعمهما، فإن العبد يطلب من مولاه أن يهديه إلى الصراط المستقيم، وبجنبه كل ما يوجب سخطه تبارك وتعالى وغضبه.

وكل من استحق ذلك لجهة من الجهات، سواء أكانت هي العناد للحق والتهود والتنصر، أم كانت هي اللامبالاة بأوامر المولى ونواهيه وعصيانه فيما فرضه أو حرّمه عليه.

مجمل التفسير

تضمنت هذه السورة الكريمة بعد الثناء المطلق والشكر غير المحدود لذاته المقدسة، لكونه المنعم المطلق والمحمود الذي لا نقص فيه، والقادر على جميع الأمور ورب الأرباب وخالق الخلق وجميع الأصناف، والرحمن الذي من شيمه الذانية الرحمة، بحيث شملت رحمته البر والفاجر، والذي سبقت رحمته غضبه، ومالك يوم الجزاء والحساب، الذي يعذب من يشاء ويعفو عمن يشاء، حصر العبادة والاستعانة به لأنه المتفرد باهليتهما فليس سواه من يستحق العبادة

---

(١)النساء، الآية: ٦٩.

(٢)المائدة، الآية: ٦٠.

والخضوع والتذلل له أو طلب المعونة منه، لأنه كائنا من كان عاجز عن جلب النفع لنفسه أو دفع الضر عنها، وطلب العناية الخاصة منه بإرشاده للطريق السوي، طريق المقرّبين لديه، الذين بذلك استحقوا جنات الخلد والنعيم الأبدي، وتجنيبه لطريق الذين سخط عليهم والذين ضلوا طريق الصواب فتاهوا في الضلال والظلام وخسروا دينهم ودنياهم باتباع الشيطان وأعوانه، فاستحقوا بذلك عذاب الجحيم.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

صفحة فارغة (مطابق للمطبوع)

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

قوله تعالى: (الم(١((

اختلفت كلمات المفسرين في المراد بالحروف المقطعة في فواتح السور:

فمنهم من قال: هي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر، فهي المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا يجوز أن نتكلم فيها.

نسب ذلك القرطبي إلى عامر الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين، وذكر أنه المروي عن ابي بكر وعلي بن أبي طالب عليه السّلام، ثم نقل عن أبي بكر الأنباري أنه قال: إن حروفا من القران سترت معانيها عن جميع العالم اختبارا من الله عز وجل وامتحانا، فمن آمن أثيب وسعد، ومن كفر أثم وبعد(١).

ومنهم من قال: إنها إشارة إلى اسم الله الأعظم، بل قيل: إنها هو لو علمنا تركبها.

اختاره ابن عباس وجماعة.

وتدل عليه من النصوص رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: [«لم هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطع في القرآن الذي يؤلفه

---

(١)تفسير القرطبي: ١/١٥٤.

النبي صلى الله عليه وسلم والإمام، فإذا دعا به أجيب»](١.(

ومنهم من قال: إنها إشارة إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب -حين تحداهم القرآن- أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم، ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم، إذ لم يخرج عن كلامهم.

قاله قطرب والفراء.

ويدلّ عليه خبر يوسف بن محمد بن زياد، وأبي الحسن علي بن محمد بن سيار عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب«صلوات الله عليهم أجمعين»، أنه قال: «كذبت قريش واليهود بالقرآن وقالوا: سحر مبين تقوّله، فقال الله: (الم ذلك الكتاب)، أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها (الف، لام، ميم)، وهو بلغتكم وحروف هجائكم فأتوا بمثله إن كنتم صادقين واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم»(٢.(

ومنهم من قال: إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة، وقالوا: (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه)(٣)، نزلت هذه الحروف ليستغربوها فيفتحون لها اسماعهم فيسمعون القرآن بعدها، فتجب عليهم الحجة.

ومنهم من قال: إن كل حرف منها يرمز إلى اسم من الأسماء، فعن ابن عباس أن الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد، وقال ابن العربي: إن ذلك أن الله أول الوجود، وجبريل أوسطه، لأنه يستفيض من المبدأ ويفيض على المنتيه، ومحمد منتهى الوجود(٤.(

---

(١)معاني الأخبار: ص ٢١.

(٢)معاني الأخبار ص ٢٢.

(٣)فصّلت، الآية: ٢٦.

(٤)تفسير ابن العربي ١٣/١.

وقيل: إن الالف مفتاح السمه تعالى «الله»، واللام مفتاح اسمه «لطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد.«

واختار هذا القول الزجاج، وقد نسب إلى العرب أنها تكلمت بالحروف المقطعة بدلا عن الكلمات التي تلك الحروف منها.

قال الشاعر:

قلنا لها قفي فقالت قاف

اي وقفت. وقال آخر:

بالخبر خيرات وإن شرا فا * ولا اريد الشر إلا أن تا

أي وإن شرا فشرا وإلا أن تشاء.

وتدل عليه رواية سفيان بن سعيد الثوري قال: قلت لجعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب علهيم السّلام: يا ابن رسول الله ما معنى قول الله عز وجل: (الم) و (المص) و (الر) و (المر) و (كهيعص) و (طه) و (طس) و (طسم) و (يس) و (ص) و (حم) و (حمعسق) و (ق) و (ن) ؟.

قال عليه السّلام: «أمّا (الم) في أول البقرة فمعناه: أنا الله الملك، وأما (الم) في أول سورة آل عمران فمعناه: انا الله المجيد، و (المص) فمعناه: انا الله المقتدر الصادق...الحديث: »(١.(

ومنهم من قال: هي أسماء للسور. اختاره زيد بن أسلم.

ومنهم من قال: هي أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها، وهي من أسمائه. ذهب إليه الكلبي.

ومنهم من قال: هي أسماء للقرآن. ذكره أبو حيان الأندلسي في تفسيره.

ومنهم من قال: إنها إشارة إلى اسمه تبارك وتعالى، الباطن في قبال اسمه الظاهر. قاله الالوسي في تفسيره.

---

(١)معاني الأخبار: ص ٢٠.

ومنهم من قال: إنها للتنبيه وإيقاظ المخاطب إلى ما يلق بعدها، اختاره المراغي.

ومنهم من قال: ان المراد بها مدة بقاء هذه الأمة أو بعض الطوائف من الامم. ذهب إليه جملة من المفسرين، وتدل عليه رواية محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يحدث: «إن حييا وأبا ياسر ابني أخطب ونفرا من يهود أهل نجران أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل الله عليك (الم) ؟ قال: بلى. قالوا: أتاك بها جبرئيل من عند الله تعالى؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعثت أنبياء قبلك وما نعلم نبيا منهم أخبرنا مدة ملكه وما أجل أمته غيرك؟ قال: فأقبل حيي بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون، فهذه احدى وسبعون سنة، فعجب ممن يدخل في دين مدة ملكه وأجل أمته احدى وسبعون سنةإقال: ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: (المص)، قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون، فهذه ماء واحدى وستون سنة. ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قال: هاته. قال: (الر)، قال: هذه أثقل وأطول، الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان. ثم قال له: هل مع هذا غيره؟ قال: نعم. قالوا: قد التبس علينا أمر فما ندري ما أعطيناإثم قاموا عنه. ثم قال أبو ياسر لحيي أخيه: ما يدريك، لعل محمدا قد جمع له هذا كله وأكثر منه»(١.(

ورواية أبي جمعة رحمة بن صدقة قال: أتى رجل من بني أمية -وكان زنديقا- جعفر بن محمد عليهما السّلام فقال: قول الله عز وجل في كتابه: (المص) أي

---

(١)معاني الأخبار، ص ٢١.

شيء أراد بهذا، وأي شيء فيه من الحلال والحرام؟ و أي شيء فيه مما ينتفع به الناس؟ قال: فاغتاظ من ذلك جعفر بن محمد عليهما السّلام فقال: «أمسك، ويحك الالف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، كم معك؟ »فقال الرجل: أحد وثلاثون ومائة. فقال له جعفر بن محمد عليهما السّلام: «إذا انقضت سنة إحدى وثلاثين ومائة انقض ملك اصحابك.«

قال: فنظرنا فلما انقضت سنة أحدى وثلاثين ومائة يوم عاشوراء دخل المسودة الكوفة وذهب ملكهم(١.(

إلى غير ذلك من الأقوال التي ذكرت في المقام إلا أن الذي يقرب إلى الفهم القاصر هو الأول، وإلا فباقي الوجوه لا تخلو من مناقشات لا تخفى.

ثم لا يخفى إن اعراب هذه الحروف تابع لما يختار فيه، فقد تعرب مبتدأ أو خبرا أو غير ذلك، إلا أنه بناءا على ما اخترناه لا يكون لها محل من الاعراب حيث ان الاعراب فرع ادراك المعنى، فمع عدمه لا يمكن أن يقال إنها معربة أو مبنية.

---

(١)معاني الأخبار: ص ٢٦.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (ذلك الكتب لا ريب فيه هدى لّلمتّقين(٢((

اللغة

الكتاب: ما يكتب فيه والدواة والتوراة والصحيفة والفرض والحكم والقدر(١.(

الريب: الظنة والتهمة والشك(٢.(

التقوى: من وقى يقي وقاية، بمعنى الصيانة.

الاعراب

ذلك: في محل رفع مبتدأ.

الكتاب: بدل لقوله ذلك.

لا ريب: في موضع رفع خبر، وقيل: إنه صفة للكتاب.

وقيل إنه مبتدأ، وهو خبره خبر للمبتدأ الأول.

فيه: جار ومجرور، قيل: إنه خبر لقوله لا ريب، ويحتمل أن يكون مضافا اليه.

هدى: حال من الكتاب منصوب.

للمتقين: جار ومجرور متعلقان باسم الفاعل المشتق من «هدى.«

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)القاموس المحيط ٧٧/١.

(٢)القاموس المحيط ١٢١/١.

التفسير

وصف الله تبارك وتعالى كتاه الكريم بكونه حقا ويقينا، ولا يعتريه الشك، بحسب واقعه وذاته وإن كان الاعمى لا يرى ضوء الشمس على وضوحه، هدى لمتقين ومرشدا ودليلا للذين صانوا أنفسهم عن المعاصي والهوى، بل سلكوا طريق الحق من غير اعوجاج.

ثم لا بأس بالتنبيه على نقاط ثلاث قد تذكر بعنوان الإيراد على هذه الآية الكريمة.

الاولى: استعمال اسم الإشارة «ذلك»، للدلالة على كتابه العزيز والحال أنها مما يشار به إلى البعيد.

ويدفعها: أن «ذلك» تستعمل للإشارة إلى القريب كما تستعمل للبعيد، فهي تستعمل بمكان الأداة «هذا»، وقد ذهب إلى هذا القول -اعني جواز استعمالها بمكان هذا- جملة من أهل العربية.

والشواهد على ذلك من الآيات الكريمة وكلمات العرب كثيرة

قال تعالى: (ذلكم الله ربّكم)(١)، (ذلكم حكم الله يحكم بينكم)(٢.(

على أن من المحتمل أن تكون الأداة إشارة إلى الكتاب الذي وعد الله نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم عند مبعثه بانزاله عليه (انّا سنلقي عليك قولا ثقيلا)(٣)، فتكون الأداة إشارة إلى القرآن العظيم بتمامه، لكن قبل نزوله كذلك.

وأمّا احتمال كونها إشارة إلى التوراة والانجيل، فهو بعيد.

الثانية: أنه كيف يقول تعالى: (لا ريب فيه)، والحال أنه قد ارتاب فيه

---

(١)الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٢)الممتحنة، الآية: ١٠.

(٣)المزمل، الآية: ٥.

أكثر المشركين في ذلك الزمان وحتى زماننا هذا.

ويدفعها: أن المراد أنه لا ريب فيه بحسب واقعه، بحيث لو تأمله منصف عاقل لم يتردد ولا يرتاب فيه، وه لا ينافي ارتياب بعض الناس لجهلهم أو شقاوتهم أو عصبيتهم الجاهلية أو غير ذلك من الأسباب، هذا مع أن من المحتمل أن يكون النفي هنا بمعنى النهي.

أي لا ترتابوا فيه.

الثالثة: أن جعل الهداية للمتقين يكون من تحصيل الحاصل، فإن المتقي لا يكون متقيا الا إذا اهتدى.

ويدفعها: أن المراد بالهداية إنما هو الهداية الخاصة التي يمنحها الله لمن يشاء من عباده ويختار-على ما تقدم بيانها في سورة الفاتحة.

-وهذا النوع من الهداية لا ينافي فإنها إنما تحصل نتيجة للهدايتين العامتين، وأمّا الهداية الخاصة فهي متأخرة عنها.

على أن من المحتمل أن يراد بالتقوى المشارفة على اكتساء لباسها، فإن هذا الاستعمال شائع ولا محذور فيه، ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلا فله سلبه» و ما نسب إلى ابن عباس: (إذا أراد أحدكم الحج فليعجل، فإنه يمرض المريض)، فسمّي المشارف للقتل أو المرض قتيلا ومريضا.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (الّذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلوة وممّا رزقنهم ينفقون(٣((

اللغة

الإيمان: التصديق، ومنه قوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا)(١)، وقوله تعالى: (يؤمنون بالجبت والطاغوت)(٢) و يقابله الجحود.

الغيب: تستر الشيء عن الحس.

الصلاة: الدعاء ومنه قوله تعالى: (وصلّ عليهم)(٣.(

الرزق: العطاء والحظ، ومنه قوله تعالى: (وتجعلون رزقكم انّكم تكذبون)(٤.(

الانفاق: الإخراج، ومنه النفاق حيث ان المنافق يخرج إلى المؤمن بالإيمان وإلى الكافر بالكفر، يقال: نفقت الدابة إذا خرجت روحها.

الاعراب

الذين: في موضع الخفض نعت للمتقين.

يؤمنون: فعل مضارع مرفوع والواو في محل رفع ضمير يعود على الذين والنون علامة الرفع.

بالغيب: الجار ومجرور في محل النصب مفعول به.

---

(١)يوسف، الآية: ١٧.

(٢)النساء، الآية: ٥١.

(٣)التوبة، الآية: ١٠٣.

(٤)الواقعة، الآية: ٨٢.

و: حرف عطف.

يقيمون: فعل مضارع مرفوع والواو في محل رفع ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع، معطوف على قوله تعالى: (يؤمنون.(

الصلاة: مفعول به منصوب.

و: حرف عطف.

مما: جار ومجرور، وهو وصلته (رزقناهم) في محل النصب مفعول به لقوله تعالى: (ينفقون.(

ينفقون: فعل مضارع مرفوع والواو في محل رفع ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع.

التفسير

اختلفت كلمات المفسرين في قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب) ومنشأه الاختلاف في معنى كل من الإيمان والغيب، فمنهم من يرى أن الإيان مستعمل في معناه اللغوي - التصديق- ومنهم من يرى أن معناه الخشية -حكاه الربيع بن أنس- ومنهم من يرى أنه مشتق من الأمان، فإن المؤمنن من يؤمن نفسه من العذاب، ومنهم من يرى أنه فعل الطاعة، كما عن المعتزلة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

وأمّا الغيب فمنهم من يذهب إلى أنه القرآن -حكي عن زر بن جيش- ومنهم من يذهب إلى أنه الله، اختاره العلامة الطباطبائي قدس سرّه في تفسيره بدعوى أن الإيمان به في مقابل الإيمان بالوحي (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك)، والايقال بالآخرة (وبالاخرة هم يوقنون)، فيتم به الإيمان بالأصول الثلاثة للدين.

وحكي عن ابن عباس: أنه ما جاء من عند الله.

وقال ابن مسعود وجماعة

انه: ما غاب عن العباد علمه من أمر الجنة والنار والأرزاق والأعمال.

واختاره الشيخ قدس سرّه في تفسيره.

وذهب الرماني إلى أنه خفاء الشيء عن الحس قرب أو بعد.

ونسب الآلوسي إلى بعض القول بأنه ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقل، ثم اختار هو أنه: الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم والقدر خيره وشره.

ونسب ابن كثير إلى بعض القول بأنه الإسلام وإلى آخر بأنه القدر.

وقال البلخي: إنه كل ما ادرك بالدلائل والآيات مما تلزم معرفته.

والذي يخطر بالبال القاصر أن الإيمان هو التصديق -على ما سيأتي بيان المراد منه- فإن الخشية والأمن من العذاب إنما هما من لوازم الإيمان الحقيقي، فإن المصدّق حقا لا يفعل إلا الطاعة ويخشى الله في السر والعلانية، ومن ثمّ يؤمن نفسه من العذاب، وإلا فهما ليسا من معاني الإيمان.

وأمّا الغيب: فالظاهر أنه ليس المراد به مطلق ما خفي عن الحس حتى وإن لم يكن الاعتقاد به دخيلا في الإيمان، وإنما المراد به خصوص ما يكون دخيلا فيه، مما ينبغي للمؤمن الاعتقاد به من المبادئ التي قام الدين عليها من الاعتقاد بالله وكتبه ورسله والجنة والنار، إلى غير ذلك مما نطقت به السماء أو أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السّلام، اعتقادا راسخا بحيث يستلزم الإنقياد اليها والعمل على وفقها.

ولعل إلى هذا المعنى يشير ما روي عن الرضا عليه السّلام أنه قال: «الإيمان هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان»(١.(

)ويقيمون الصّلاة) : قال أبو مسلم محمد بن بحر: أي يديمون أداء فرضها.

وقيل: إن الإقامة مشتق من تقويم الشيء، أي إحكامه والحفاظ عليه والوفاء بحقه -نقل ذلك عن الضحاك.-

وكل منهما ليس ببعيد.

---

(١)التبيان: ٥٦/١.

(ومما رزقناهم ينفقون) : ذهب ابن عباس الى كون المراد بها هو الزكاة، لاقترانها بالصلاة في كثير من الآيات.

وقيل: إن الرزق هو ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد منعه منه، وعلى هذا الأساس قيل: إنه لا يطلق على الحرام، لأنه ممنوع منه على ان المنفق منه لا يستحق المدح.

وعن ابن مسعود: أن المراد بالآية هو نفقة الرجل على أهله، وعن الضحاك: أنه التطوع بالنفقة فيما يقرّب من الله.

وكيف كان: فالظاهر أن المراد بالآية الكريمة عام يشمل نفقات الأهل، والزكاة واجبة كانت أم تطوعية، بل يعم المال وغيره، والذي يدلنا عليه-مضافا إلى أن ما ذكروه تخصيص للآية بلا مخصص-ما ورد عن الصادق عليه السّلام في تفسيرها، قال: «ومما علمناهم يبثون»(١)، وفي رواية اخرى عنه عليه السّلام أيضا: «ومما علمناهم يبثون ومما علمناهم من القرآن يتلون»(٢).

ثم إن في تقديم المفعول على الفعل دلالة واضحة على أهمية الانفاق في نظر الشارع المقدس، وأن المؤمن لا يكون مؤمنا إلا أن يبذل لأخيه المحتاج مما هو أعز الامور عنده ألا وهو المل والثروة (لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون)(٣)، فإن الإيمان ليس بأداء الصلوات والصيام وسائر العبادات البدنية، بل المؤمن إنما يثبت إيمانه حقا إذا قام بما يجب عليه في أمواله، وواسى أخاه في حاجته.

ولعل المتأمل في احوال الذين يدّعون الإيمان في عصرنا يقف على صحة ما نقول، فإن كثيرا من الذين يواظبون على اداء الواجبات البدنية في أفضل أوقاتها، بل وكثيرا من المندوبات يبخلون بدفع الدرهم الواحد من

---

(١)الميزان ٤٧/١ نقلا عن تفسير العياشي.

(٢)الميزان ٤٧/١ نقلا عن معاني الأخبار.

(٣)آل عمران، الآية: ٩٢.

أموالهم مما أو جبه الله تبارك وتعالى عليهم.

ومن هنا يظهر وجه ذكره تعالى للانفقا مقارنا لأداء الصلاة، فإنه عزّ وجلّ في مقام بيان المتقي، وأنه لا يكون العبد كذلك إلا إذا كان مصدقا بالغيب ومقيما للصلاة ومنفقا مما رزقه الله.

ثم إن في استعمال (من) التبعيضية في المقام من النكتة ما لا يخفى، فإنها دالة على أن المعتبر من الانفاق في كون العبد متقيا هو الانفاق ببعض المال لا كله، وان المتقي ينبغي له أن يحب المال لنفسه ولغيره من اخوانه، فلا يدّخره لنفسه فقط ومن دون أن يستشعر بما يجري على اخوانه الفقراء (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنفك)، ولا لأخوانه فقط من دون أن يجعل له فيه نصيبا (ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوما محسورا)(١)، فالمؤمن هو الذي يسلك سبيل الوسط ولمستقيم في أمواله كما هو حاله في غيرها.

)والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)(٢.(

وأخيرا: فالأية الكريمة لا تختص بطائفة معينة من الناس دون غيرهم، وما قيل من اختصاصه بالعرب بقرينة قوله تعالى بعدها: (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك) بدعوى أنه لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن، كدعوى اختصاصها بالكتابيين واضح الفساة، لعدم الشاهد على التخصيص، وبطلان الدعوى يظهر من مراجعة التاريخ والنصوص.

---

(١)الاسراء، الآية: ٢٩.

(٢)الفرقان، الآية: ٦٧.

قوله تعالى: (والّذين يؤمنون بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون(٤) أولئك على هدى مّن رّبّهم وأولئك هم المفلحون(٥((

اللغة

الأخرة: نقيض المتقدمة، وقيل إنها تالية للأولى.

الايقان: العلم، وقد سمي يقينا لحصول القطع به وسكون النفس إليه.

الفلاح: البقاء والفوز

الاعراب

و: حرف عطف.

الذين: في موضع الخفض نعت للمتقين.

يؤمنون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو ضمير الجماعة فاعل.

بما: جار ومجرور.

والجملة من قوله (بما) الى قوله (من قبلك) في محل نصب مفعول به.

أنزل: فعل ماض، مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

إليك: جار ومجرور متعلقان بالفعل أنزل.

و: حرف عطف.

ما: مجرور: معطوف على (ما) الأول.

Al-Khoei Institute

أنزل: فعل ماض مبني للمجهول والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

من قبلك: من حرف جر، قبل اسم مجرور وهو مضاف والكاف ضمير متصل مضاف اليه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل انزل، والجملة لا محل لها من الاعراب صلة الموصول.

و: حرف عطف.

بالاخرة: جار ومجرور (الجملة معطوفة على قوله «يؤمنون.(«

هم: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ذكر على جملة التأكيد.

يوقنون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفع ثبوت النون، والواو ضمير الجماعة فاعل.

اولئك: في محل الرفع مبتدأ.

على هدى: جار ومجرور (خبر.(

من ربهم: جار ومجرور (متعلق بقوله «هدى.(«

و: حرف عطف.

أولئك: في محل الرفع مبتدأ

هم: مبتدأ ثان خبره المفلحون.

المفلحون: خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو والنون.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

نسب إلى ابن عباس أن المراد بالمؤمنين في هذه الآية هم مؤمنوا أهل الكتاب، وأن المراد به في قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب) الذين آمنا من مشركي العرب.

وقد ذهب بعض إلى اتحاد الموصوفين في الآيتين، وأنهم مطلق من يؤمن بالغيب وما أنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله، سواء في

ذلك اليهود والنصارى ومشركي العرب وغيرهم، وقيل إن الموصوفين في كلتا الآيتين هم أهل الكتاب خاصة.

والظاهر من هذه الأقوال هو الثاني، حيث لا موجب للتخصيص، وقد تقدم بيانه في قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب.(

فإن قلت: فما معنى وصفهم بالإيمان بما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله بعد وصفهم بالإيمان بالغيب؟

قلت: أمّا بناءا على ما ذهب اليه العلامة الطباطبائي قدس سرّه من أن المراد بالإيمان بالغيب هو الإيمان بالله ليتم مع الإيمان بالوحي والايمان بالاخرة والمعاد، الأصول الثلاثة للدين، فالأمر واضح حيث لا تكرار بالمرة.

وأمّا بناءا على ما ذهب إليه جمهور المفسّرين واخترناه من العموم، فيمكن أن يقال: إنه هو من ذكر الخاص بعد العام للتأكيد لما فيه من الأهمية، أو يقال: بأن المراد من الأول هو الإيمان العقلي الإجمالي في حين أن المراد بالثاني هو الإيمان النقلي التفصيلي، أو يقال: بأن العطف للبيان وإن الآية الثانية تتضمن بيان المراد بالإيمان بالغيب، وإنه الإيمان بالذي أنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما أنزل من قبله.

والأول هو الأقرب، فإن في الثاني تخصيصا من غير دليل وفي الثالث تخصيصا لعموم الغيب.

وكيف كان: فالمراد ب (ما انزل إليك) هو القرآن وما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من غير اتصافه بالقرآنية، وب (ما انزل من قبلك) مطلق الشرائع السماوية التي نزلت قبل الإسلام.

ومن هنا فالآية الكريمة تدلّنا على أنه لا يمكن للعبد أن يكون على هدى من ربه ومتقيا مع إنكاره لشريعة م الشرائع السماوية، التي أخبر القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الأئمة المعصومون عليهم السّلام عن ثبوتها في ظرفها.

(وبالأخرة هم يوقنون) تبدل التعبير بالإيمان إلى الإيقان، إمّا لتجنب كلفة التكرار، أو لكثرة غرائب متعلقان الأخرة، التي حارت عقول كثيرين فيها بل وأنكرها جملة منهم لعدم ادراك فهمه القاصر لها، فناسب التعبير بالإيقان اظهارا لكمال المدح وابداءا لغاية الثناء -كما قيل- أو لأن أمر الأخرة خطر مهم جدا، حيث فيها الجزاء والعقاب، فالالتفات إليها وتذكّرها يكون له عظيم الأثر في سلوك العبد وتصرفاته، ومن هنا كان التعبير بالإيقان لأنه علم لا يجامعه النسيان، بخلاف الإيمان المجرد، وهو الأقرب، كما يشهد له استعمال الضمير «هم» وتقديمه على الفعل فإنه ليس إلا للتأكيد.

)أولئك على هدى من ربّهم) قالوا: إن في تكرار الهدى ثانيا بعد قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) ضربا من التأكيد والدلالة على الأهمية، فيكون المعنى: أن هذا الكتاب فيه الدلالة والرشاد للمتّقين الذين يؤمنون بالغب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، فإن من كان كذلك هو المهتدي.

لكن الذي يبدو للذهن أن المراد بالهداية هنا غير المراد بها في صدر الآية، فإن المراد بها في صدر الأية هو الهداية الخاصة التي يمنحها الله تبارك وتعالى لمن يشاء من عباده ويختار، في حين أن المراد بها في المقام وصف العبد المتقي الذي له الهداية الخاصة والمقيم للصلاة إلى آخر ما ذكر بكونه على دلالة تامة ويقين كامل من امر ربه، فهو المعتقد به اعتقادا راسخا لا يعتريه شك، ويؤمن به إيمانا واضحا لا غبار عليه.

وبالجملة: فالمراد بالهداية الاولى ما يمنحها الله تعالى لعبد، في حين أن المراد بالثانية الصفة النفسية التي يكون العبد عليها بالنسبة إلى الاعتقاد ببارئه عزّ وجلّ.

وعلى هذا، فيكون معنى الآية الكريمة: أن المتقي الذي يقيم الصلاة

ويؤمن بالغيب...الخ لابد وأن يكون على دلالة تامة ويقين لايشوبه اي شك من أمر ربه ووجوده، بحيث لايمكن أن يكون كذلك ما لم يكن هكذا.

وكيف كان: ففي تنكير «هدى» إشارة إلى عظمته حيث لايعرف حقيقته احد إلا الله - بناء على ما قالوا- ولايبلغها أحد إلا عباد الله الصالحين -بناءا على ما قلناه-.

)واولئك هم المفلحون) الفائزون بما وعده الله لمن اتقى، وذلك كنتيجة حتمية لامتثال أوامر الله تعالى والتجنّب عما نهى عنه، والاعتقاد به وبكتبه ورسله ويوم الأخرة اعتقادا راسخا (وبشّر الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الّذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فها خالدون)(١.(

ثم إن الآية الكريمة تدلنا على اختصاص طريق الفوز والفلاح بتحقيق مجموع ما تقدم، بحيث لو تخلّف واحد من تلك الأمور لميكن العبد من المفلحين، وبذلك تكون ردّا على أهل الكتاب الذين ادعوا الفوز في الأخرة، لكونهم مؤمنين بالغيب وملتزمين بالصلاة والانفاق مما رزقهم الله، فإن ذلك لا ينفع ما لميضم إليه بما أنزل على الرسول الكريم صلى الله عليه واله.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)البقرة، الآية: ٢٥.

قوله تعالى: (إنّ الّذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون(٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصرهم غشوةو لهم عذاب عظيم(٧.((

اللغة

الكفر: ستر الشيء وتغطيته، ومنه سمي الزارع كافرا لأنه يغطي الحب بالتراب.

سواء: الاعتدال.

الإنذار: الإعلام مع التخويف.

الختم: الاستيثاق من الشيء حتى لايخرج منه داخل فيه، ولايدخل فيه خارج عنه.

الغشاوه: الغطاء.

العذاب: العقاب والنكال، وكل ما شق على النفس.

العظيم: الفخم والكبير.

الاعراب

ان: من الحروف المشبهة بالفعل.

الذين: اسم إن.

كفروا: فعل ماض، والواو واو الجماعة فاعل (والجملة صلة الموصول.(

سواء: متبدأ مرفوع.

وهو إلى قوله تعالى: (تنذرهم) جملة اعتراضية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

عليهم: جار ومجرور متعلق بالمبتدأ.

أأنذرتهم: الهمزة همزة التسوية، (انذر) فعل ماض والتاء ضمير متصل فاعل، و (هم) مفعول به.

وهذه الجملة مع قوله (ام لم تنذرهم) في محل الرفع خبر لسواء.

أم: حرف عطف.

لم: أداة جزم.

تنذرهم: فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر تقديره أنت، والهاء ضمير متصل مفعول به.

لايؤمنون: لا حرف نفي فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو ضمير الجماعة فاعل، والجملة الفعلية خبر إن.

ختم: فعل ماض مبني على الفتح.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع.

على قلوبهم: جار ومجرور ومضاف إليه.

والجار والمجرور متعلقان بختم.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

و: حرف عطف.

على سمعهم: جار ومجرور ومضاف إليه.

و: استئنافية.

على أبصارهم: جار ومجرور ومضاف إليه في محل الرفع خبر مقدم.

غشاوة: مبتدأ مؤخر مرفوع.

و: حرف عطف.

لهم: جار ومجرور في محل الرفع خبر مقدم.

عذاب: مبتدأ مؤخر مرفوع.

عظيم: في محل الرفع صفة للعذاب.

التفسير

)انّ الذين كفروا) قيل: نزلت في خمسة من قومه من قادة الأحزاب الذين قتلوا نفي يوم بدر، وقيل: إنها نزلت في أحبار اليهود.

وقيل: إنها نزلت في مشركي العرب.

إلا أنه لادليل على شيء من هذه الأقوال.

لكن هذا لايعني الالتزام بإرادة العموم من الآية الكريمة، فإن المراد منها خاص جزما، إذ ليس جميع الذين كفروا لم يؤمنوا، فإن أكثر المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه واله بل جميعهم ما عدا المعصومين منهم وذرياتهم كانوا كفارا ثم آمنوا.

فمعه كيف يمكن أن يقال إن جميع الذين كفروا لايؤمنون!فالمراد بها اناس مخصوصون جحدوا الحق عنادا واستكبارا كابي لهب وابي جهل ومن لفّ لفهم، والمتيقن من المراد بالآية الكريمة من مات على كفره.

فإن هؤلاء زمرة يستوي في حقهم الانذار وعدمه، فإنهم ممن لايؤمنون على كلا التقديرين (فلاتذهب نفسك عليهم حسرات)(١)، فإنهم لايهتدون إلى الحق أبدا.

)ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) اختلف المفسّرون في توجيه اسناد الختم إليه تبارك وتعالى.

ومنشأ اختلافهم أن الختم على قلب العبد ومنعه من ادراك الهداية والإيمان، وإضلاله ومن ثم المؤاخذة عليه، قبيح فلا يصدر من الحكيم العادل.

وقد ذكروا في ذلك وجوها، فمنهم من ذهب إلى أن نسبته إليه إنما هي على نحو المجاز، لكونه خالق العبد ومانح القدرد له، وإلا ففاعل الختم هو

---

(١)فاطر، الآية: ٨.

العبد.

ومنهم من يرى أنه إخبار عن عدم انتفاعهم بقلبهم وسمعهم وبصرهم وكأنهم ليس لهم ذلك بالمرة أو أن الله لم يمنحهم ذلك.

ومنهم من قال: أن فاعل الختم هو الشيطان، وإنما نسب إليه تعالى مجازا لأنه خالقه.

ومنهم من أنكر ذلك، وقال: إن فاعل الختم هوالله تعالى حقيقة، ولاقبح في ذلك، إذ لم يمنع الله عبده حقا وجب له عليه كي تزول به صفة العدالة، وإنما منعهم ما كان له أن يتفضل به عليهم خاصة.

إلا أنه لاشيء من هذه الوجوه يمكن المساعدة عليه، وإن ذكرها كبار المفسرين، فإن الحمل على المجاز خلاف ظاهر الأية، فلايصار إليه إلا بالدليل وهو مفقود.

وأمّا الوجه الأخير فهو إنما يتم فيما إذا لم يكن ذلك مستتبعا للعذاب والمؤاخذة، فإنه حينئذ يمكن أن يقال: منعهم منه من قبيل منع الفضل، لامنع ما وجب لهم، فلايقتضي زوال صفة العدالة كما هو الحال في منح العقل، حيث لايكون في منعه عن بعض ظلما وفعلا قبيحا كي يكون مخلا بالعدالة، وأمّا مع ثبوت العذاب العظيم على المنع ذلك -كما هو مفروض محل البحث- فكيف يمكن أن يقال إنه من منع الفضل لامنع ما وجب لهم عليه، فلاتزول صفة العدالة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

أفمن العدل أن يمنع المولى عبده من هدايته ويحرمه منها ويضله ثم يؤاخذه على ذلك، مع كونه مجبورا عليه ولم يكن له فيه اختيار؟ كلا ثم اف كلا.

فإنه من أوضح مصاديق الظلم، وتعالى الله أن يكون ظلاما للعبيد.

فالحق أن يقال: إن نسبة الختم وإسناده إليه تبارك وتعالى إنما هي على

نحو الحقيقة، ومن دون أن يكون فيه أي تسامح أو عناية، فإنه الذي يختم على قلب الكافر وسمعه ويجعل على بصره غشاوة.

وليس في ذلك ظلم، لأنه لم يكن لعبا ومن غير مبرر، بل كان جزاءا ونكالا له على إصراره على الكفر وعناده للحق.

فإن الذي يكون منافيا للعدالة هو الحرمان من الهداية منذ البداية بأن يخلقه شقيا بحيث لم يجعل فيه صلاحية الهداية من حين خلقه بأن يخلقه عاريا عن الفطرة، وامّا إذا خلقه كغيره من بني نوعه فجعل فيه العقل وصلاحية الهداية جنبا إلى جنب الشهوة والهوى، وبعث له الأنبياء والرسل حاله في ذلك حال الذين آمنوا، لكنه وبسبب اتباعه لهواه وقتله لقوّته العاقلة أو سحقه عليها، آثر الشقاوة على السعادة، فاتبع الشيطان وترك عبادة الرحمن، واندفع نحو ما يأمره هواه، معرضا عن نداء الحق وصيحات الأنبياء، ثم أصرّ على ذلك وعاند، لم يكن في مؤاخذته على ذلك بأي نحو من انحاء العقاب، سواء في ذلك الختم على قلبه وسمعه -بمعنى حرمانه من الهداية فيما بعد ذلك- أو العذاب العظيم أو هما معا، ظلما موجبا للاخلال بالعدالة، فإنه عقاب على فعل فعله العبد باختياره وقام به من غير إكراه له.

وإلى هذا الذي ذكرنا يشير قوله تعالى (بل طبع الله عليها بكفرهم)(١)، (ذلك بما قدّمت يداك وأنّ الله ليس بظلاّم للعبيد)(٢).

ثم الظاهر أن الواو في قوله (وعلى سمعهم) حرف عطف وليست استئنافية -وإن زعمه بعضهم- فالسمع معطوف على القلب، فهو مختوم عليه لا على البصر كي يكون مغشيا عليه، ويشهد لما ذكرناه قوله تعالى: (أفرأيت من(

---

(١)النساء، الآية: ١٥٥.

(٢)الحج، الآية: ١٠.

(اتّخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة)(١.(

بل لم أجد بعد الفحص التام في جميع الأيات الكريمة موردا يكون فيه التعبير بالغشاوة على القلب أو السمع، أو الختم على البصر.

إذن: فالواو في (وعلى سمعهم) حرف عطف، وفي (وعلى أبصارهم) استئنافية.

---

(١)الجاثية، الأية: ٢٣.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (ومن النّاس من يقول ءامنّا بالله وباليوم الأخر وما هم بمؤمنين(٨) يخدعون الله والّذين ءامنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون(٩) فى قلوبهم مّرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون(١٠.((

اللغة

الخداع: الإخفاء، والإيهام.

الشعور: الإدراك، والاحساس بالشيء.

المرض: الشك، والنفاق، والفتور، والظلمة، والنقصان.

الأليم: المؤلم، ومن العذاب الذي يبلغ ايجاعه غاية البلوغ.

)الإعراب) و: حرف عطف.

من الناس: جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم.

من: اسم موصول.

يقول: فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، والموصول وصلته في محل رفع مبتدأ مؤخر.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

آمنا: فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك، والضمير فاعل والجملة في محل نصب مقول للقول.

بالله: جار ومجرور في محل نصب مفعول به.

و: حرف عطف.

باليوم: جار ومجرور عطف على بالله.

الآخر: صفة لليوم.

و: حالية.

ما: حرف نفي (شبه ليس.(

هم: مبتدأ (اسم ما.(

بمؤمنين: جار ومجرور في محل نصب خبر ما.

يخادعون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو ضمير الجماعة في محل الرفع فاعل.

الله: لفظ الجلالة مفعول به منصوب.

و: حرف عطف.

الذين: معطوف على لفظ الجلالة.

آمنوا: فعل ماض والواو ضمير الجماعة فاعل.

)والجملة لامحل لها من الاعراب صلة الموصول.(

Al-Khoei Institute

و: حرف عطف أو استئناء.

ما: حرف نفي (شبه ليس.(

يخدعون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

الا: اداة حصر أو استثناء.

انفسهم: مفعول به للفعل (يخدعون) وهو مضاف والضمير (هم) مضاف اليه.

و: حالية.

ما: حرف نفي (شبه ليس).

يشعرون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

في قلوبهم: جار ومجرور ومضاف اليه في محل الرفع خبر مقدم.

مرض: مبتدأ مؤخر مرفوع.

فـ: حرف عطف أو استئناف أو تعليل.

زادهم: فعل ماض مبني على الفتح والضمير مفعول به مقدم.

الله لفظ الجلالة فاعل مرفوع.

مرضا: مفعول به ثان.

و: حرف استئناف.

لهم: جار ومجرور في محل الرفع خبر مقدم.

عذاب: مبتدأ مرفوع مؤخر.

أليم: صفة للعذاب.

بما: جار ومجرور متعلق بالمبتدأ.

كانوا: كان من الافعال الناقصة والواو اسم كان.

يكذبون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب خبر كان.

القراءة

قرأ نافع وابن كثر وأبو عمرو (وما يخادعون الآانفسهم)، وقرأ الأكثر (وما يخدعون) بالتخفيف مبنيا للفاعل.

وهناك قراءات اخر شاذة، وقرأ بعضهم (بما كانوا يكذبون) بضم الياء وكسر الذال مشددا.

التفسير

قوله: (ومن النّاس...الخ)، هذه الآيات والآيات العشر التي تتلوها، بيان للصنف الثالث من الناس، وهم المنافقون الذين يظهرون الإيمان حقنا لدمائهم، ويبطنون الكفر والشرك، فيقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم، في قبال الذين يظهرون ويبطنون الإيمان، والذين يظهرون ويبطنون الشرك، فإن هؤلاء اتعس من الكفرة بمراتب، إذ أن ضرر المنافق الذي يظهر الإيمان والأخوة والمحبة، ويقول ذلك بلسانه فيطلع على عورات الإنسان ونقاط ضعفه وأسراره -وما هو بمؤمن في قلبه- أكثر بكثير من الذي يجاهر بالكفر والعداء، فإنه يسهل الاحتراز والتجنب عنه.

قوله: (يخادعون الله)، قيل في توجيهه: إنهم كانوا يخدعون النبي صلى الله عليه واله والمؤمنين، فيخفون أمرهم عليهم، وإنما نسب إليه تعالى لأن النبي صلى الله عليه واله خليفة الله وطاعته طاعته وعصيانه عصيانه، فهو نظير قوله تعالى: (إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله)(١)، أو لأنهم يعملون عمل المخادع.

وليس منشأ هذه التأويلات إلا ما توهمه اللغويون وتبعهم عليه غيرهم من أن صيغة المفاعلة تدل على صدور الفعل من اثنين، وحيث انه محال في حق الله تعالى فإنه لايخدع ولا ينخدع، فلابد من التأويل بحمل خداعهم على خداع النبي صلى الله عليه واله، وإسناد الخداع إلى الله على الجري والمشابهة في التعبير نظير قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)(٢)،

---

(١)الفتح، الآية: ١٠.

(٢)البقرة، الآية: ١٩٤.

وقوله تعالى: (وجزاء سيئة سيئة مثلها)(١.(

إلا أن الأمر ليس كما أفادوه، فإن هذه الصيغة لاتدل إلا على تصدي الفاعل لتحقيق المبدأ، سوساء أتحقق في الخارج بالفعل أم لم يتحقق.

وعلى هذا، فلاتحتاج الصيغة إلا إلى طرف واحد، وشواهده في الامثلة كثيرة، فيقال: دافعنه وعافاه الله وعاقبته وطالعته وناولته.

والحال أن المدافع والمعافي والمعاقب والمطالع والمناول، واحد غير متعدد.

نعم، بعض المواد بنفسها تقتضي القيام في اثنين، كالمساواة والمقابلة والمحاذاة والمشاركة وغيرها، حيث لاتتحقق إلا بطرفين، لكن هذا أجنبي عن الصيغة والهيئة.

ومن هنا: فلاحاجة إلى تكلف عناء التأويل، بل يلتزم بأن النسبة حقيقية ومن دون أي مسامحة أو تقدير، فإن المنافق نظرا لقلة شعوره وعدم ادراكه لكنهه تعالى، يتصدى لخداع الله جلّ شأنه فيظهر الإيمان ويبطن الكفر ظنا منه أنه تعالى لايعلم ما تخفي الصدور، وإن كان النخداع الله تبارك وتعالى لايتحقق خارجا.

والذي يشهد لما نقوله تبدل التعبير في الآية الكريمة عند بيان الواقع ومن هو المنخدع حقيقة، من: (يخادعون) الى: (يخدعون)، فإنه يدلنا على عدم اتحاد مفهوم خادع مع مفهوم خدع، فإن الثاني ظاهر في الفعلية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

والتحقق، ولذا أضيف إليهم ووصفوا به باعتبار أنهم هم المنخدعون حقيقة، بخلاف الأول حيث لايدل إلا على تصدي الفاعل وارادته لذلك، من غير اعتبار لتحققه في الخارج، ولذا يقال: «خادعته فلم ينخدع»، ولايقال: «خدعته فلم ينخدع.«

وكيف كان: فالمنافقون يتصدّون لايهام الحقيقة وإخفائها على الله والذين

---

(١)الشورى، الآية: ٤٠.

آمنوا بقولهم أنهم آمنوا بالله وباليوم الآخر، إلا أنه ليس إلا إيهاما وتضليلا لأنفسهم، وهم لجهلهم وما استولى على قلبهم من العمى والعناد والضلالة لا يشعرون، فإن في قلوبهم شكا ونفاقا فزادهم الله شكا ونفاقا في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم بما كانوا يكذبون. ثم إن الكلام في إسناد زيادة المرض المانع من الهداية والموجب لترتب العذاب الأليم في الآخرة، هو عين الكلام في إسناد الختم على قلوب واسماع الكافرين وجعل الغشاوة على أعينهم، فإنه لاحاجة إلى تكلّف التأويل، بل هو محمول على الحقيقة كما عرفت.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون(١١) ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لاّ يشعرون(١٢) وإذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن النّاس قالوا أنؤمن كما ءامن السّفهاء ألا إنّهم هم السّفهاء ولكن لاّ يعلمون(١٣) وإذا لقوا الّذين ءامنوا قالوا ءامنّا وإذا خلوا إلى شيطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزءون(١٤) الله يستهزئ بهم ويمدّهم فى طغينهم يعمهون(١٥) أولئك الّذين اشتروا الضّللة بالهدى فما ربحت تجرتهم وما كانوا مهتدين(١٦) مثلهم كمثل الّذى استوقد نارا فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمت لاّ يبصرون(١٧) صمّ بكم عمى فهم لايرجعون(١٨) أو كصيّب مّن السّماء فيه ظلمت ورعد وبرق يجعلون ـأصبعهم فى ءاذانهم مّن الصّواعق حذر الموت والله محيط بالكفرين(١٩) يكاد البرق يخطف أبصرهم كلّما أضاء لهم مّشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصرهم إنّ الله على كلّ شىء قدير(٢٠)(

اللغة

الفساد: خروج الشيء عن حد الاعتدال ويقابله الصلاح.

طغيان: مجاوزة الحد في كل شيء.

الصيب: المطر الغزير.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الاعراب

و: حرف استئناف.

إذا: شرطية.

قيل: فعل ماض مبني للمجهول.

لهم: جار ومجرور.

لا: اداة نهي.

تفسدوا: فعل مضارع مجزوم وعلامته حذف النون، والواو ضمير الجماعة فاعل، والجملة مقول القول في محل الرفع نائب فاعل.

في الأرض: جار ومجرور متعلق بمقول القول.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم، والواو ضمير الجماعة فاعل (جواب الشرط.(

ان: من الحروف المشبهة بالفعل.

ما: كافة.

نحن: مبتدأ مرفوع.

مصلحون: خبر مرفوع.

الا: للتنبيه أو الافتتاح.

انهم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسم إن.

هم: مبتدأ مرفوع.

المفسدون: خبر مرفوع، والجملة خبر إن.

و: حالية أو عاطفة.

لكن: من اخوات إنّ، مخففة لاتعمل.

لا: نافية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يشعرون، فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

و: حرف عطف.

إذا: ظرفية.

قيل: فعل ماض مبني للمجهول.

لهم: جار ومجرور.

آمنوا: فعل أمر، والواو ضمير الجماعة فاعل.

)الجملة مقول القول.(

كما: جار ومجرور، وما مصدرية.

آمن: فعل ماض مبني على الفتح.

الناس: فاعل مرفوع.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل (جواب الشرط.(

أنؤمن: فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن، والهمزة للاستفهام الاستنكاري (والجملة في محل نصب مقول القول.(

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

كما: جار ومجرور، وما مصدرية.

آمن: فعل ماض مبني على الفتح.

السفهاء: فاعل مرفوع.

الا: للتنبيه أو الافتتاح.

انهم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمه.

هم: مبتدأ.

السفهاء: خبر مرفوع، والجملة خبر لان.

و: حالية أو عاطفة.

لكن: من أخوات إن، مخففة لاتعمل.

لا: نافية.

يعلمون: فعل مضارع مرفوع، والواو ضمير الجماعة فاعل.

و: حرف عطف.

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان.

لقوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

الذين: اسم موصول، مفعول به.

آمنوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل (صلة الموصول.(

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل، جواب شرط.

آمنّا: فعل ماض مبني على السكون ونا ضمير الجماعة فاعل (مقول القول.(

و: حرف عطف.

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان.

خلوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

الى: حرف جر.

شياطينهم: شياطين مجرور وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل (جواب الشرط.(

انّا: إن من الحروف المشبهة بالفعل ونا ضمير متصل اسمه.

معكم: ظرفية، خبر إن.

)الجملة مقول القول.(

انما: ان من الحروف المشبهة بالفعل وما كافة.

نحن: مبتدأ.

مستهزؤن: خبر مرفوع.

Al-Khoei Institute

الله لفظ الجلالة مبتدأ.

يستهزئ: فعل مضارع ومرفوع.

وفاعلة ضمير مستتر تقديره هو.

بهم: جار ومجرور متعلقان بالفعل يستهزئ، والجمل في محل رفع خبر.

و: حرف عطف.

يمدهم: يمد فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والضمير مفعول به.

في طغيانهم: جار ومجرور والضمير مضاف اليه.

يعمهون: فعل مضار مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة في محل نصب حال من الضمير في يمدهم.

أولئك: مبتدأ.

الذين: خبر.

اشتروا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

الضلالة: مفعول به.

بالهدى: جار ومجرور متعلق بالضلالة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ف: حرف تعليل أو عطف.

ما: حرف نفي.

ربحت: ربح فعل ماض مبني على الفتح والتاء تاء التأنيث الساكنة.

تجارتهم: فاعل ومرفوع وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

و: حرف عطف.

ما: نافية.

كانوا: من الافعال الناقصة والواو اسمها.

مهتدين: خبر كان.

مثلهم: مبتدأ مرفوع والضمير مضاف اليه.

كمثل: جار ومجرور في محل الرفع خبر وهو مضاف.

الذي: اسم موصول مضاف اليه.

استوقد: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (والجملة صلة الموصول.(

نارا: مفعول به.

فـ: استئنافية.

لما: ظرفية، معمول لجوابه.

أضاءت: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هي، والتاء تاء التأنيث الساكنة.

ما: اسم موصول مفعول به.

حوله: ظرفية، تمييز وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

ذهب: فعل ماض مبني على الفتح.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع.

بنورهم: جار ومجرور والضمير مضاف اليه،والجملة لا محل لها من الاعراب.

و: حرف عطف.

تركهم: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

في ظلمات: جار ومجرور.

لا: نافية.

يبصرون: فعل مضارع مرفوع بثبوت والواو ضمير الجماعة فاعل.

صم بكم عمي: اخبار لمبتدأ محذوف تقديره هؤلاء.

فـ: التثنافية.

هم: مبتدأ.

Al-Khoei Institute

لا: نافية.

يرجعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

والجملة في محل الرفع خبر.

أو: حرف عطف.

كصيب: جار ومجرور معطوف على قوله (كمثل.(

من السماء: جار ومجرور.

فيه: جار ومجرور خبر مقدم.

ظلمات: مبتدأ مؤخر.

و: حرف عطف.

رعد: معطوف على المبتدأ.

و: حرف عطف.

برق: معطوف على المبتدأ.

يجعلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

اصابعهم: مفعول به منصوب والضمير مضاف اليه.

في اذانهم: جار ومجرور متعلق بالاصابع والضمير مضاف اليه.

من الصواعق: جار ومجرور متعلق بالفعل.

حذر: مفعول لاجله وهو مضاف.

الموت: مضاف اليه.

و: حرف اعتراض أو استئناف.

الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع.

محيط: خبر مرفوع.

بالكافرين: جار ومجرور متعلق بالخبر.

Al-Khoei Institute

التفسير

تضمنت هذه الآيات الكريمة بيان حال الكافرين ووصفهم، وأنهم اناس إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الرض بالنفاق والعصيان والخيانة بالمؤمنين بنقل اخبارهم الى الكافرين، قالوا: انما نحن بذلك من المصلحين-لأنهم كانوا يرون طريقهم هو الصواب والمؤمنين على الضلالة والخطأ-لكنهم مفسدون واقعا، وإن كانوا لجهلهم وقلة ادراكهم لا يشعرون بذلك، كما أنهم إذا قيل لهم: آمناو بالرسالد إيمانا خالصا لا يشوبه نفاق وشك-كما آمن الناس -قالوا- مستنكرين-: أنؤمن كما آمن الضعفاء ومن هم فقراء ومن طبقات اجتماعية واطئة؟ إلكنهم هم الضعفاء القليلوا العقل والادراك، من غير ان يعلموا.

ثم إنهم -وبحسب ما يقتضيه طبع النفاق- إذا لقوا الذين آمنوا قالوا إنّا مؤمنون معكم، لكنهم إذا خلوا إلى شياطينهم وقادة الكفر والشرك قالوا: إنّا معكم إنما نحن مستهزؤن بالمؤمنين بإظهار الإيمان لهم، ألا إن الله سيجازيهم على ذلك (والتعبير بالاستهزاء من المجاراة والمشابهة في التعبير)، ويمدهم- لما ارتكبوه من المعاصي-في طغيانهم يعمهون كي يزدادوا بذلك اثما وعذابا، فإنهم اناس باعوا الهدى بالضلالة وتركوا الحق ليأخذوا بالباطل، وبذلك فقد خسرت تجارتهم خسرانا ليس وراءه خسران.

فمثل هؤلاء كمثل من أشعل نارا في الظلام كي يستفيد من نورها، لكن الله ذهب بنورها وتركه في ظلمات لا يبصر شيئا ولا يرى، فإنه ما أشده حيرة وترددا.

فهؤلاء قد استولى النفاق والكفر الباطني عليهم الى حد وكأنهم لا يسمعون ولا يرون ولا ينطقون، بل وكأنهم ليس لهم السمع والبصر واللسان، فهم عن غيهم لا يرجعون.

ثم مثّلَ الله (تبارك وتعالى) حال هؤلاء حال من يبتلي بالمطر الشديد في الليلة الظلماء مع اقترانه بالرعد والبرق الميفين، حيث يجعل اصابعه في اذنيه كي لا يسمع تلك الأصواب، وبذلك يظن النجاة من الموت، إلا أنه لا يجدي شيئا، فإنه ليس إلا كالذي يغمض عينيه ظنا منه أنه إذا لم ير الناس فهم لا يرونه أيضا.

فالمنافق في اضطرابه نظير هذا، فإنه يظهر الإيمان مع بغضه له، ويستفيد منه بقدر ما تقتضيه مصلحته.

والله قادر على أن يفضحه ويجعل أمره على الملأ، إنه على كل شيء قدير.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (يآ أيّها النّاس اعبدوا ربّكم الّذى خلقكم والّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون(٢١) الّذى جعل لكم الأرض فرشا والسّماء بناء وأنزل من السّماء ماء فأخرج به من الثّمرات رزقا لّكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون(٢٢.((

اللغة

الخلق: الصنع والابداع والاقتراء.

الفرش: البسط، والفراش البساط.

البناء: نقيض الهدم.

الند: المثل والنظير.

الاعراب

يا: حرف النداء.

أيها: أي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه لازمة له.

الناس: مرفوع على النعتية للمنادى.

اعبدوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والواو ضمير الجماعة فاعل.

ربكم: مفعول به منصوب، والضمير مضاف اليه.

الذي: اسم موصول، في محل نصب صفة للمفعول به.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

خلقكم: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف والميم في محل النصب مفعول به، والجملة صلة للموصول.

و: حرف عطف.

الذين: اسم موصول، في محل النصب معطوف على الكاف والميم في قوله «خلقكم.«

من قبلكم: جار ومجرور ومضاف اليه والجملة صلة الموصول.

لعلكم: من اخوات إن والضمير في محل النصب اسم لعل.

تتقون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون، والواو ضمير الجماعة فاعل.

والجملة في محل رفع خبر لعل.

الذي: اسم موصول، في محل النصب صفة للمفعول به.

جعل: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

لكلم: جار ومجرور.

الأرض: مفعول به منصوب.

فراشا: مفعول به ثان، او حال.

و: حرف عطف.

السماء: عطف على المفعول به الأول.

بناء: مفعول به ثان او حال.

و: حرف عطف.

أنزل: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

من السماء: جار ومجرور.

ماء: مفعول به منصوب.

فـ: عاطفة.

أخرج: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

به: جار ومجرور.

من الثمرات: جار ومجرور.

رزقا: مفعول به منصوب.

لكم: جار ومجرور.

فـ: تفريعية واستئنافية.

لا: ناهية جازمة.

تجعلوا: فعل مضارع مجزوم وعلامته حذف النون، والواو ضمير الجماعة فاعل.

لله: لفظ الجلالة جار ومجرور.

أندادا: مفعول به منصوب.

و: حالية.

أنتم: مبتدأ مرفوع.

تعلمون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل، والجملة في محل الرفع خبر.

التفسير

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

روى علقمة أن كل (يا أيّها النّاس) نزل بمكة، وكل (يا أيّها الذين آمنوا) نزل بالمدينة، واختاره غيره أيضا، إلا أنه غير ثابت فإن سورة البقرة مدنية وقد ورد فيها التعبير ب (يا أيّها النّاس.(

وكيف كان: فهذه الأيات الكريمة-وبحكم كونها تالية للأيات التي تضمنت تقسيم الناس إلى المؤمنين والكفار والمنافقين-دعوة عامة للبشر على حد سواء لسلوك طريق النجاة وما يضمن لهم تمام السعادة والخير، ألا وهو

عبادة الله الذي صنعهم فأتقن صنعهم وخلقهم، فأعطى كل شيء خلقه، والذي جعل لهم الأرض بساطا ليستقروا عليها، والسماء سقفا مبنيا مرفوعا وأنزل منه ماء وطهورا، وشق الأرض شقا فأخرج منها ما أخرج من الثمرات والرزق (أنّا صببنا الماء صبّا ثمّ شققنا الأرض شقّا * فانبتنا فيها حبّا * و عنبا وقضبا* وزيتونا ونخلا * و حدائق غلبا * و فاكهة وأبّا * متاعا لكم ولأنعامكم)(١)، نعمة وفضلا منه على عبده (وان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها فلاتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون.(

ثم إن هذه الآيات الكريمة نقاطا تجدر الإشارة إليها:

الأولى: وصفه تبارك وتعالى لنفسه بالخلق دون سائر الصفات كالرزق والعلم والقدرة وغيرها.

فإن الظاهر أن ذلك لتحريك إحساس العبد نحو فطرته وايقاظ شعوره الوجداني، ليكون هو المحفز، أو بالأحرى الموجب لإيمان العبد بالله وتسليمه في مقابله.

إذ الخلق يختلف عن سائر الصفات من هذه الناحية اختلافا كبيرا، فإن كثيرا ممن غفلوا عن فطرتهم وتناسوها قد لايلتفتون إليها، ومن ثم فلايؤمنون بوجود الله، بصرف تنبيههم على مصدر علمهم أو رزقهم، بل ويبقى كثير منهم على جهله زاعما أن ما لديه ليس إلا نتيجة حضوره مجالس العلم واستماعه لمحاضرات استاذه ومن ثم إتعاب نفسه في المطالعة والتحضير، أو انه من كدّ يمينه وعرق جبينه وتحمل صعوبات العمل ومشاقه.

وهو بخلاف الخلق، حيث لاأظن أن المنصف إذا تأمل فيه يمكنه إنكار الخالق اللهم إلا أن يكون قد أمات احساسه الفطري أو سحق عليه وغض نظره عنه بعد التفاته إليه، فإن شأن المدرك يجل عن الالتزام بالصدفة والمادة

---

(١)عبس، الآية: ٢٥-٣٢.

والطبيعة، رغم ما في هذا العالم من معاجز ومحيرات للعقل والعاقل.

الثانية: ان في معنى «لعل» خلافا بين الأصحاب، فذهب الأكثر إلى أنه ليس للتشكيك، وإنما هو بمعنى اللام ترقيقا للموعظة وتقريبا لها إلى قلب الموعوظ، نظير قولنا للأجير: «اعمل لعلك تأخذ الاجرة»، أو للطالب: «اجتهد لعلك تنجح»، فإن معناهما«اعمل لتأخذ الاجرة» و «اجتهد لتنجح.«

وذهب اخرون إلى أنه بمعنى التعرض للشيء، فيكون المعنى حينئذ: اعبدوا الله كي تتعرضوا بذلك للوقاية من النار.

وذهب ثالث إلى أنه مستعمل في التشكيك، غاية الأمر أنه بلحاظ العبد لا الرب، فيكون المعنى: اعبدوا الله لعلكم تتقوا العذاب في ظنكم ورجائكم، وإن لم تكونوا واثقين به.

ويمكن أن يقال: إنه مستعمل في التشكيك، لكن لابلحاظ شك العبد في العذاب وما اعد للكافرين في يوم القيامة، وإنما بلحاظ أن العبادة لاتستلزم الوقاية من العذاب دائما، إذ ما أكثر الذين يعبدون الله ليلا ونهارا، ويقضون عمرهم بالصلاة والصيام والحج والانفاق ثم لايقبل الله ذلك منهم، لفقد عبادتهم لركن ركين أو شرط في القبول -كما دلّت عليه جملة من النصوص- فتكون عبادتهم هباء منثورا، ويكونون هم من الأخسرين أعمالا -اعاذنا الله منهم-

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

وكيف كان: فالظاهر أن «لعل» متعلق بالعبادة لا الخلق، وعليه فيكون المعنى: اعبدوا ربكم لعلكم تتقون، لاخلقكم لعلكم تتقون.

كما توهمه بعض فإنه وإن لم يعد غلطا إلا أنه بعيد جدا.

الثالثة: في معنى قوله تعالى: (وأنتم تعلمون) فقد قيل: باختصاصه بأهل الكتاب، فيكون المعنى: فلاتجعلوا لله شركاء وانتم تعلمون أنه ليس في كتبكم ذلك، وقيل: باختصاصه بعبدة الاصنام، فيكون المعنى: لاتجعلوا لله الذي

خلقكم وتفضل عليكم بنعم السماء والأرض، شركاء من الأصنام وانتم تعلمون أنها عاجزة عن منحكم تلك النعم، بل ولا ذرة من واحدة منها.

وقيل: باختصاصه بالمؤمنين فتكون الآية نهيا عن الارتداد والغلو والتشريك من حيث لايشعر.

وفي جميع هذه الأقوال ما لايخفى، ويكفي في ردها أنه تخصيص للآية الكريمة بلا مخصص، فإن الخطاب فيها عام، لاسيما بملاحظة السياق، وتلوها للآيات التي صنفت الناس إلى أصناف ثلاثة.

على أنه يرد على الأول: بأن أهل الكتاب لميكونوا يعلمون أنه ليس في كتبهم ذلك، إذ لميصل إليهم من كتبهم إلا المحرّف، وهو يتضمن الكثير من الأباطيل كتثليث الاله وغيره.

وقريب منه يرد على الثاني فإن عبدة الأوثان كانوا يرون أن الأمور من خيرها وشرها، زينها وشينها، إنما هي بيد الوثن يفعل ما يشاء، ومعه فلا معنى لأن يقال إنهم كانوا يعلمون أن الأصنام منحتهم تلك النعم.

إذن: فيتعين إمّا حمل العلم على العقل، فيكون المعنى: لاتجعلوا لله شركاء وأندادا والحال أنكم تعقلون وتميزون، فإن هذا الأمر مما يأباه العقل ولا يرتضيه اللب، ونظائره في الاستعمالات العرفية كثيرة.

وإمّا حمله على الشأنية والعلم بالقوة بحيث يكون المعنى: لاتجعلوا لله شركاء وأنتم تعلمون لو تدبرتم واعطيتم الانصاف من أنفسكم أنه لا اله غيره.

والأول أقرب.

قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مّمّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة مّن مّثله وادعوا شهدآءكم مّن دون الله إن كنتم صدقين(٢٣) فإن لّم تفعلوا ولن تفعلوا فاتّقوا النّار الّتى وقودها النّاس والحجارد أعدّت للكفرين(٢٤) وبشّر الّذين ءامنوا وعملوا الصّلحت أنّ لهم جنّت تجرى من تحتها الأنهر كلّما رزقوا منها من ثمرة رّزقا قالوا هذا الّذى رزقنا من قبل وأتوا به متشبها ولهم فيهآ أزواج مّطهّرة وهم فيها خلدون(٢٥)(

اللغة

الوقود: الحطب.

المتشابه: ما يشبه بعضه بعضا.

الاعراب

و: استئنافية.

إن: شرطية.

كنتم: من الافعال الناقصة والضمير اسمها.

في ريب: جار ومجرور في محل نصب خبر كان.

مما: جار ومجرور متعلق بالخبر.

نزلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير فاعل.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

على عبدنا: جار ومجرور ومضاف إليه.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

أتوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

بسورة: جار ومجرور.

من مثله: جار ومجرور ومضاف إليه.

و: حرف عطف.

ادعوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

شهداءكم: مفعول به منصوب والضمير مضاف اليه.

من دون الله: جار ومجرور ومضاف اليه.

إن: شرطية.

كنتم: من الافعال الناقصة والضمير اسمها.

صادقين: خبر كان.

وجواب الشرطيد هذه هو بعينه جواب الشرطية السابقة، وعليه فيكون المعنى: وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وكنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله...فـ: استئنافية.

إن: شرطية.

لم: جازمة.

تفعلوا: فعل مضارع مجزوم وعلامته حذف النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

و: حرف عطف.

لن: ناصبة.

تفعلوا: فعل مضارع منصوب وعلامته حذف النون والواو ضمير الجماعة فاعل -جملة معترضة-.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

اتقوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

النار: مفعول به.

التي: اسم موصول في محل نصب صفة.

وقودها: مبتدأ مرفوع والضمير مضاف اليه.

الناس: خبر مرفوع.

و: حرف عطف.

الحجارة: معطوف على الخبر.

والجملة صلة الموصول.

اعدت: فعل ماض مبني للمجهول والتاء تاء التأنيث الساكنة.

للكافرين: جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل.

و: استئنافية.

بشر: فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقدير أنت.

الذين: اسم موصول، مفعول به.

آمنوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

والجملة صلة الموصول.

و: حرف عطف.

عملوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

الصالحات: مفعول به منصوب.

أن: من الحروف المشبهة بالفعل.

لهم: خبر أن مقدم.

جنات: اسم أن منصوب وعلامته الكسرة لكونه جمعا مؤنثا سالما.

تجري: فعل مضارع.

من تحتها: جار ومجرور ومضاف اليه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الانهار: فاعل مرفوع.

كلما: ظرفية.

رزقوا: فعل ماض والواو ضمير الجماعة نائب فاعل.

منها: جار ومجرور.

رزقا: مفعول به ثان.

قالوا: فعل ماض والواو ضمير الجماعة فاعل.

هذا: مبتدأ مرفوع.

الذي: خبر مرفوعو.

رزقنا: فعل ماض والضمير نائب فاعل والجملة صلة الموصول.

من قبل: جار ومجرورو

و: حالية أو استئنافية.

أتوا: فعل ماض والواو ضمير الجماعة نائب فاعل.

به: جار ومجرور.

متشابها: حال منصوب.

و: استئنافية.

لهم: خبر مقدم.

فيها: جار ومجرور.

أزواج: مبتدأ مؤخر.

مطهرة: صفة للأزواج.

و: حالية.

هم: مبتدأ.

فيها: جار ومجرور.

خالدون: خبر مرفوع.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

بعد أن أمر الله العباد بعبادته ونهاهم عن الشرك وجعل الانداد، تحدّى المشركين والذين شككوا في الكتاب العزيز، ولم يؤمنوا بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، أن يأتوا بسورة من مثله إن كانوا صادقين في زعمهم أن القران من افتراء النبي صلى الله عليه وسلم وصنعه.

ثم إن في مرجع الضمير في (مثله) خلافا بينهم، فمنهم من يراه أنه النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون المعنى فأتوا بسورة من مثل هذا الرجل الامي الذي لم يكن يقرأ أو يكتب ولم يكن قد رأى استاذا ومعلّما.

ومنهم من يراه أنه القرآن، فيكون المعنى فأتوات بسورة من مثل سور القرآن من حيث الفصاحة والبلاغة والمضامين العالية.

والأول أقرب، فإن الثاني مفروغ عنه لدى العقلاء في جميع موارد التحدي بالاتيان بالمثل والشبيه.

وبهذه المناسبة لا بأس بالتعرض لمراحل ومراتب التحدي بالاتيان بالمثل في القرآن الكريم فنقول:

إن هذه المراتب بحسب الظاهر -والله العالم- أربع:

الاولى: التحدي بالاتيان بمثل القرآن باكمله قال تعالى: (قل لّئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(١)، وقال تعالى: (أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون* فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)(٢).

---

(١)الاسراء: الآية: ٨٨.

(٢)الطور، الآية: ٣٣-٣٤.

الثانية: التحدي بالاتيان بعشر سور من مثل سور القرآن، قال تعالى: (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)(١.(

الثالثة: التحدي بالاتيان بسورة واحدة مفتراة، لكن من رجل هو مثل النبي عليه السّلام، من حى كونه اميا لم يكن قد حضر مجلس درس أو شهد استاذا.

قال تعالى: (وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)(٢.(

الرابعة: التحدي بالاتيان بسورة من مثل سور القرآن، حتى ولو لم يكن ذلك من رجل كالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان من أبلغ بلغاء العرب وأفصحهم لسانا.

قال تعالى: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله)(٣.(

وكيف كان: فهذه مراتب تحدّى القرآن بها المشركين في الاتيان بمثل ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم إثباتا للحق وبرهانا على الصدق، لكنهم لم يفعلوا، بل ولعجزهم لن يفعلوا، ومع ذلك بقوا على الشرك عنادا وضلالا، ومن هنا كانوا هم والاصنام التي يعبدونها وقودا لنار جهنم هم فيها خالدون: (إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم)(٤.(

فليس على العبد-لأجل الوقاية من هذه النار والفرار من هذا العذاب-إلا إعمال عقله والالتفات إلى أن عجز عباقرة العرب وبلغائهم عن الاتيان بأقل مراتب التحدي على مرّ العصور لهو أدل دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم: (وما ينطق عن الهوى * إن هوَ إلاّ وحي يوحى)(٥.(

فيؤمن به ليكون بذلك من الفائزين في الدارين والمشمولين بقوله تعالى:

---

(١)هود، الآية: ١٣.

(٢)البقرة: الآية: ٢٣.

(٣)يونس، الآية: ٣٨.

(٤)الأنبياء، الآية: ٩٨.

(٥)النجم، الآية: ٢ و٣.

(وبشّر الذين آمنوا)، ولم يقتصروا في إيمانهم على اللفظ فقط، بل (وعملوا الصّالحات أن لهم جناب تجري من تحتها الأنهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل)، أي هذا الذي وعدنا به في دار الدنيا، أو هذا الذي رزقنا من قبل في دار الدنيا لتشابههما في الصورة وان اختلفا في الطعم واللذة.

)واتوا به متشابها) في الصورة واللون، أو الجودة والحسن، فتشبه الثمار بعضها بعضا وإن اختلفت في الطعم.

)ولهم فيها أزواج مطهّرة)، كأنهن الياقوت والمرجان، (وهم فيها خالدون) ودائمون دواما غير مهدد بالزوال والفناء.

قوله تعالى: (إنّ الله لا يستحى أن يضرب مثلا مّا بعوضة فما فوقها فأمّا الّذين ءامنا فيعلمون أنّه الحقّ من رّبّهم وأمّا الّذين كفروا فيقولون ماذآ أراد الله بهذا مثلا يضلّ به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضلّ به إلاّ الفسقين(٢٦) الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثقه ويقطعون مآ أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخسرون(٢٧) كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون(٢٨) هو الّذى خلق لكم مّا فى الأرض جميعا ثمّ استوى إلى السّمآء فسوّهنّ سبع سموت وهو بكلّ شىء عليم(٢٩).((

اللغة

الحياء: الخجل والاحتشام.

المثل: الشبيه والنظير.

الفسق: الخروج، فيقال: فسقت التمرة أي خرجت من قشرتها.

النقض: يقابله الإبرام وهو حل للأمر المبرم.

الإعراب

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

إنّ: من الحروف المشبهة بالفعل.

الله: لفظ الجلالة اسم ان منصوب.

لا: نافية.

يستحيي: فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والجملة خبر إن.

أن: ناصبة.

يضرب: فعل مضارع منصوب والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

مثلا: مفعول به.

ما: ابهامية تفيد العموم.

بعوضة: بدل أو مفعول به منصوب.

فـ: عاطفة.

ما: ابهامية.

فوقها: ظرف مكان وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

فـ: استئنافية.

أما: شرطية.

الذين: اسم موصول مبتدأ.

آمنوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة صلة الموصول.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة خبر.

انه: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

الحق: خبر ان.

من ربهم: جار ومجرور ومضاف اليه.

و: حرف عطف.

أما: شرطية.

الذين: اسم موصول مبتدأ.

كفروا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

يقولون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

والجملة في محل الرفع خبر.

ماذا: ما اسم استفهام في موضع رفع مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر.

أراد: فعل ماض مبني على الفتح والجملة صلة الموصول.

الله: لفظ الجلالة فاعل.

بهذا: جار ومجرور.

مثلا: تمييز.

يضل: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

به: جار ومجرور.

كثيرا: مفعول به منصوب.

و: حرف عطف.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يهدي: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

به: جار ومجرور.

كثيرا: مفعول به.

و: عاطفة.

ما: نافية.

يضل: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

به: جار ومجرور.

إلا: اداة حصر.

الفاسقين: مفعول به منصوب.

الذين: صفة للفاسقين.

ينقضون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل (صلة الموصول.(

عهد: مفعول به منصوب.

وهو مضاف.

الله: لفظ الجلالة مضاف اليه.

من بعد: جار ومجررو.

وهو مضاف.

ميثاقه: مضال اليه، وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

و: عاطفة.

يقطعون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

أمر: فعل ماضى مبني على الفتح.

الله: لفظ الجلالة فاعل ومرفوع.

به: جار ومجرور.

أن: ناصبة.

يوصل: فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

و: عاطفة.

يفسدون: فعل مضارع مرفوع بثبوت والواو ضمير الجماعة فاعل.

في الأرض: جار ومجرور.

اولئك: مبتدأ.

هم: مبتدأ ثان.

الخاسرون: خبر للمبتدأ الثاني وجملة هم الخاسرون خبر للمبتدأ الأول.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

كيف: اداة استفهام عن الحال.

تكفرون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

بالله: جار ومجرور.

و: حالية.

كنتم: من الافعال الناقصة والضمير اسمها.

أمواتا: خبر كان.

فـ: حرف ترتيب وتعقيب.

أحياكم: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

ثم: عاطفة.

يميتكم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

ثم: عاطفة.

يحييكم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

ثم: عاطفة.

إليه: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ترجعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة نائب فاعل.

هو: مبتدأ.

الذي: اسم موصول في محل رفع خبر.

خلق: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

لكم: جار ومجرور.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

في الأرض: جار ومجرور.

)صلة الموصول.(

جميعا: حال بمعنى مجتمعا.

ثم: عاطفة.

استوى: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

إلى السماء: جار ومجرور.

فـ: تفريعية.

سويهن: فعل ماض مبني والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، والضمير مفعول به.

سبع: مفعول ثان وهو مضاف.

سماوات: مضاف اليه.

و: حالية أو استئنافية.

هو: مبتدأ.

بكل: جار ومجرور متعلق بالخبر وهو مضاف.

شيء: مضاف اليه.

عليم: خبر مرفوع.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

روي أن هذه الآية نزلت عند ما استخف المشركون بقوله تعالى: (يا أيّها النّاس ضرب مثل فاستمعوا له انّ الّذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذّباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطّالب والمطلوب)(١)، وقوله تعالى: (مثل الّذين اتّخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)(٢.(

وروي أنها نزلت بعد استخفافهم بقوله تعالى: (مثلهم كمثل الّذي استوقد نارا فلمّا أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرن * صم بكم عمي فهم لا يرجعون * أو كصيّب من السّماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصّواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين...) (٣) الآية.

حيث انهم لم يدركوا معنى هذه الآيات فاستغربوا واستخفوا بالتمثيل المحقرات نظير الذباب والعنكبوت أو الذي استوقد نارا، فأنزل الله تعالى قوله: (انّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها)، فإنه لا خشية في ذلك ولا عيب، فإن لكل مقام مقالا ولابد في التمثيل من المقارنة بين المشبه والمشبه به، وحيث ان الكافر وما يلجأ اليه في حوائجه ويعبده من دون الله حقير ووضيع فناسب أن يشبّه هو بالذي (استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) إلى آخر ما تضمنته الآية الكريمة من أوصاف، وما يلجأ إليه ببيت العنكبوت.

---

(١)الحج، الآية: ٧٣.

(٢)العنكبوت، الآية: ٤١.

(٣)البقرة: الآية: ١٧.

(فأمّا الّذين آمنوا فيعلمون انه الحقّ من ربّهم) وإنه تعالى إنما أتى بهذه الامثال لبيان ضعف الكفار وعجز ارابهم، (وامّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) حيث انهم ولتحجر عقولهم واستيلاء العناد على ادراكاتهم لم يصلوا إلى كنه هذه الآيات والمغزى من هذه الأمثلة.

ثم إن المراد بقوله تعالى: (فما فوقها) إمّا المراد ما هو أعظم من البعوضة كالإبل والجبال والأنهار والسماوات والأرضين، فيكون المعنى على هذا: أن الله لا يخشى من التمثيل بالامور كافة، صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها، مادامت أن هناك مناسبة تقتضي ذلك التمثيل، وإمّا ما وفوق البعوضة من حيث الحقارة، وعليه فيكون المعنى: أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة وما هو أحقر من البعوضة، واستعمال الفوق بهذا اللحاظ أمر متداول وشائع، فيقول القائل: إن زيدا فاسق لأنه يشرب الخمر أو يفعل كذا وكذا، فيجاب بأنه فوق ذلك ويقصد به بأنه احقر مما تقول ويرتكب من المحرمات ما هو أعظم مما ذكرت.

)يضلّ به كثيرا) والكلام فيه هو الكلام في قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم) فإنه محمول عى معناه الحقيقي ولا مبرر للحمل على المجاز، إذ لا محذور في نسبة الختم والاضلال اليه تعالى بعد أن كان ذلك عقوبة وجزاءا على أعمالهم السيئة، وتركهم للحق عنادا واستكبارا، كما يشهد له قوله بعد ذلك: (وما يضلّ به إلاّ الفاسقين.(

)ويهدي به كثيرا) فيكون سببا لرشادهم وفوزهم بدرجات أعلى مما هم عليها.

)وما يضلّ به إلاّ الفاسقين) الذين خرجوا عن اتباع العقل وطاعة الله بعد أن جاءهم الحق من ربهم.

و (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) وهو العهد الذي أخذه الله

من عباده في عالم الذر وقبل خلقهم، فقال تعالى: (وإذا أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنّا كنّا عن هذا غافلين)(١.(

وقيل: إنه ترك استعمال المواهب منحها الله تبارك وتعالى لعبده من العقل والمشاعر والحواس، فيكون ذلك نقضا للعهد الفطري، والذي أوثقه الله بجعل العقول قابلة لادراك السنن الألهية التي أوجدها في الكون.

)ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) من اتاع العقل وطاعة الاله، ومن ثمّ القيام بالأفعال الخيرة بما فيها صلة الأرحام قال تعالى: (فهل عستم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم)(٢.(

)ويفسدون في الأرض) وكفاهم في ذلك اضلال العباد ودعوتهم إلى الشرك والنفاق.

)أولئك هم الخاسرون)، (الّذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة)(٣.(

)كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم) استفهام استنكاري يتضمن التعجب من فعل الكفار، حيث إنهم يكفرون بالله مع قيام البراهين الساطعة والأدلة الوجدانية التي لا تقبل الانكار على وجوده، وأبسطها خلق الإنسان بهذه الصورة المتكاملة مع ما فيه من عقل جبار، لا من شي إلا من قطعة قذارة تفقد الحياة وهي المني، فتتطور في الرحم فتكون انسانا فيولد ويتدرج في مراحل النمو حتى يبلغ أشده، وإذا به يبلغ من الطغيان والعصيان حدا ينسى ماضيه وانه كيف كان ومن أي شيء خلق، وإذا به في ذلك الحين

---

(١)الاعراف، الآية: ١٧٢.

(٢)محمّد، الآية: ٢٢.

(٣)الشورى، الآية: ٤٥.

يأتيه الأجل وهو لا يقدر على دفعه فيصبح جمادا هامدا ويدخل إلى عالم آخر وكأنه لم يكن شيئا مذكورا.

فاعتبروا يا أولي الأبصار.

)ثمّ يحييكم ثمّ اليه ترجعون) قيل: إن المراد بالإحياء هنا هو الإحياء في القبر للسؤال، أو انه الرجعة.

وعلى كلا التقديرين لابد من تقدير الإماتة بعده، ليرتبط بقوله بعد ذلك: (ثمّ اليه ترجعون) الذي يراد منه الحشر ويوم القيامة.

لكن الظاهر أنه لا حاجة الى ما ذكر، وان المراد بالإحياء هو الحشر ويوم القيامة، وأمّا قوله تعالى: (ثمّ اليه ترجعون) فليس إلا بيانا للأمر الواقع والنتيجة الحتمية لذلك اليوم: (ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)(١)، و (إلى الله مرجعمك جميعا فينبّئكم بما كنتم تعملون)(٢.(

)هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) بيان لبعض ما أنعم الله على عبده، وإنه سخّرها له ليتنعم بها.

)ثم استوى إلى السّماء فسويهنّ سبع سماوات) قيل: إنه بمعنى: أنه تعالى علا عليها فقهرها.

وقيل: إنه قصدها قصدا مستويا، بلا عاطف يثنيه من إرادة خلق شيء آخر في أثناء خلقها.

وقيل: إنه بمعنى أنه استوى وتفرّد بملكها، ولم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه.

ثم إن ظاهر هذه الآية أن خلق السماوات إنما كان بعد خلق الأرض، ومن هنا فقد يتوهم مناقضتها لقوله تعالى: (أأنتم أشدّ خلقا أم السّماء بناها * رفع سمكها فسوّاها * و أغطش ليلها وأخرج ضحاها * و الأرض بعد ذلك

---

(١)آل عمران، الآية: ٥٥.

(٢)المائدة، الآية: ١٠٥.

دحاها)(١.(

إلا أنه مدفوع: بأن الآية الثانية لا تتكفل إلا ببيان دحو الأرض وبسطها بعد خلق السماء، وهو لا ينافي خلقها قبل خلقه، على أن كلمة «بعد» تستعمل لافادة معنى: «وزيادة على ذلك»، فيقال: في مقام بيان تعداد النعم من دون نظر إلى التقدم والتأخر الزماني: إنه تعالى تفضّل على عبده بنعم الأرض والسماء، وبعده الحياة، ولا يقصد به إلا بيان التفضّل بهذه النعمة مضافا إلى سائر النعم.

)وهو بكلّ شيء عليم) أحاط علمه بكل ما كان وما يكون.

)وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيء علما)(٢)، و (إنّما إلهكم الله الّذي لا إله إلاّ هو وسع كلّ شيء علما)(٣.(

---

(١)النازعات، الآية: ٢٧-٣٠.

(٢)الطلاق، الآية: ١٢.

(٣)طه، الآية: ٩٨.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ قال ربّك للملئكة إنّى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّمآء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّى أعلم ما لا تعلمون(٣٠) وعلّم ءادم الأسمآء كلاّ ثمّ عرضهم على الملئكة فقال أنبؤنى بأسمآء هؤلآء إن كنتم صدقين(٣١) قالوا سبحنك لا علم لنآ إلاّ ما علّمتنآ إنّك أنت العليم الحيكم(٣٢) قال يادم أنبئهم بأسمآئهم فلمّآ أنبأهم بأسمآئهم قال ألم أقل لّكم إنّى أعلم غيب السّموت والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون(٣٣).((

اللغة

الخليفة: القائم مقام الأول والذي جاء بعده فصار مكانه.

السفك: الصب والإراقة.

التسبيح: التنزيه من العيوب والنواقص.

التقديس: التعظيم والتكبير.

الانباء: الإخبار.

الإبداء: الإظهار.

الكتمان: الستر والإخفاء.

الإعراب

و: استئنافية.

إذ: ظرفية معفول به للفعل اذكر المحذوف.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قال: فعل ماض مبني على الفتح.

ربك: فاعل مرفوع والضمير مضاف اليه.

للملائكة: جار ومجرور.

إني: من الحروف المشبة بالفعل والضمير اسمها (والجملة مقول القول.(

جاعل: خبر إن مرفوع.

في الأرض: جار ومجرور.

خليفة: مفعول به لاسم الفاعل.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

أتجعل: الهمزة استفهامة وتجعل فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (مقول القول.(

فيها: جار ومجرور.

من: مفعول به.

يفسد: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

فيها: جار ومجرور.

و: حالية.

نحن: مبتدأ مرفوع.

نسبح: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن، والجملة في موضع رفع خبر.

بحمدك: جار ومجرور ومضاف اليه.

و: عاطفة.

نقدس: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

لك: جار ومجرور.

قال: فعل ماض مبني على الفتح.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

إني: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

)الجملة مقول القول.(

أعلم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

لا: نافية.

تعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل (صلة الموصول)، وجملة أعلم ما لا تعلمون في محل رفع خبر ان.

و: استئنافية.

علّم: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

آدم: مفعول به أول.

الاسماء: مفعول به ثان.

كلها: كل توكيد وهي مضافة والضمير مضاف اليها.

ثم: عاطفة.

عرضهم: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير المتصل مفعول به.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

على الملائكة: جار ومجرور.

ف: تفريعية.

قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

أنبئوني: فعل أمر مبني والواو ضمير الجماعة فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به.

باسماء: جار ومجرور وهو مضاف.

هؤلاء: مضاف إليه.

إن: شرطية.

كنتم: من الأفعال الناقصة والضمير اسمها.

صادقين: خبر كان منصوب بالياء.

وجواب الشرط محذوف تقديره

فأنبئوني بأسماء هؤلاء.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم، والواو ضمير الجماعة فاعل.

سبحانك: منصوب على الصمدر والكاف مضاف اليه.

لا: نافية للجنس.

علم: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب.

لنا: جار ومجرور في محل رفع خبرها.

إلا: اداة استثناء.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

علمتنا: فعل ماض مبني على السكون والتاء في محل رفع فاعل ونا في محل نصب مفعول به (والجملة صلة الموصول.(

إنك: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

أنت: مبتدأ مرفوع.

العليم: خبر مرفوع.

الحكيم: خبر ثان مرفوع والجملة في محل رفع خبر لان.

قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

يا: حرف نداء.

آدم: منادى.

أنبئهم: فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والضمير مفعول به.

بأسمائهم: جار ومجرور ومضاف إليه.

فـ: عاطفة.

لما: ظرفية حينية تتضمن معنى الشرط.

أنبأهم: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

بأسمائهم: جار ومجرور ومضاف إليه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (جواب الشرط.(

ألم: الهمزة استفهامية ولم جازمة.

أقل: فعل مضارع مجزوم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

إني: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

اعلم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا (والجملة في محل الرفع خبر إن.(

غيب: مفعول به وهو مضاف.

السموات: مضاف إليه.

و: عاطفة.

الأرض: معطوفة على السموات.

و: عاطفة.

اعلم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

تبدون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل (صلة الموصول.(

و: عاطفة.

ما: اسم موصول معطوف على الاسم الموصول (ما) الأول.

كنتم: من الأفعال الناقصة والضمير اسمها (صلة الموصول.(

تكتمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة في محل النصب خبر كان.

التفسير

)وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل) أي خالق وصانع (في الأرض خليفة) وصفت الآية الكريمة آدم وبنيه بصفة ما أعظمها، فهو الذي يستخلفه الله ويكون خليفة عنه في الأرض يتصرف فيها تصرف الحاكم عليها، ويستمتع بلذائذ نعمها وينتفع بموفور خيراتها، ويسخرها لأغراضه الخاصة كيف يشاء، وليس ذلك إلا لما منحه الله من مواهب وقدرات وذلل له الصعاب،

ومع هذا وذاك كله، أفتراه شاكرا لأنعم الله؟ فإن صبغة الكفر والطغيان لازمت الإنسان وكأنها صبغة أزلية له.

ومن هنا كان سؤال الملائكة -على سبيل طلب معرفة الحكمة والغاية لا الاستنكار- منه تعالى عن خلق هذا النوع الجديد (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء) قيل: إن منشأ علمهم إنما هو قياس هذا النوع الجديد على الجان الذين كانوا يقطنون الأرض قبل الانس، كنه كما ترى فإن قوة السؤال وطرحه على نحو الجزم والبت لا تنسجم مع القياس الذي لا يورث إلا الظن، ومن هنا فلا يبعد دعوى أن الله تعالى كان قد أخبرهم بذلك.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

وكيف كان: فالمستفاد من هذه الآية الكريمة أنهم كانوا عالمين بصبغة جنس الإنسان وصفته هذه، وأمّا منشأ ذلك فليست هناك دلالة في الآية الكريمة على شيء مما ذكره المفسرون في كتبهم، وأكثرها لا يتجاوز حدّ التخرص والتكهن.

فهم علموا به واستغربوا ذلك حينما جهلوا الحكمة لا سيما وهم يخلصون في عبادته تعالى وتنزيهه من كل نقص واجلاله وتعظيمه (ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك)، وكأنهم رأوا أنفسهم بذلك أشرف وأجل من المخلوق الجديد، ومن هنا فقد جاء الجواب عن سؤالهم ب (إنّي أعلم لا تعلمون) فإن علم الملائكة مهما يكن فهو محدود، في حين أن علمه تعالى

ذاتي غير محدود، وعن ظنهم الأفضلية بتعليم آدم الأسماء كلها ثم عرض مسمياتها على الملائكة وأمرهم بالإخبار عن أسماءها (وعلّم آدم الاسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) في زعمكم وظنكم للأفضلية من آدم.

وحيث م يكن لهم ذلك (قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا انّك أنت العليم الحكيم)، فقد ظهر بطلان ظنهم وعدم أفضليتهم عن آدم، ثم زاد الله تعالى ذلك وضوحا حينما أمر آدم بتعليمهم وإخبارهم بأسمائهم (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم)، حيث إن فيه نوع دلالة على افضليته منهم، وإن كان علم كلا الفريقين مستقى منه تبارك وتعالى.

وحين أنبأهم آدم بأسمائهم وظهر لهم خطأ ما توهموه، قال تعالى لهم: (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)، قيل: إن المراد بالأول هو قولهم: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، والثاني: ما توهموه من أفضليتهم على بني آدم.

لكن الوجه هو العموم.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكفرين(٣٤) وقلنا يادم اسكن.

نت وزوجك الجنّة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظّلمين(٣٥) فأزلّهما الشّيطن عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم فى الأرض مستقرّ ومتع إلى حين(٣٦) فتلقّى ءادم من رّبّه كلمت فتاب عليه إنّه هو التّوّاب الرّحيم(٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينّكم مّنّى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٨٩) والّذين كفروا وكذّبوا بايتنآ أولئك أصحبت النّار هم فيها خلدون(٣٩.((

اللغة

السجود: الخضوع والتذلل وطأطأة الرأس.

أبي: استعصى وترفّع وكرهه.

الاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة، ورآه كبيرا وعظم عنده.

الزوج: كل واحد معه آخر من جنسه، والقرين والنظير والمثيل، ويطلق على كل من الرجل والمرأة.

الرغد: الكثير الواسع الذي لا يتعب فيه من العيش.

الزلّ: الانحناء عنه.

الهبوط: النزول والانحدار على سبيل القهر.

الحزن: الخشونة في الأرض أو النفس ضد السهولة والفرح.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

(الاعراب) و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

قلنا: فعل ماض مبني على السكون، والضمير في محل الرفع فاعل.

للملائكة: جار ومجرور.

اسجدوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل (مقول القول.(

لادم: جار ومجرور.

فـ: استئنافية.

سجدوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

إلا: اداة استثناء.

إبليس: منصوب على الاستثناء المنقطع.

أبى: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

و: عاطفة.

استكبر: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

و: استئنافية.

كان: من الافعال الناقصة.

واسمها ضمير مستتر تقديره هو.

من الكافرين: جار ومجرور في محل النصب خبر كان.

و: استئنافية.

قلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل الرفع فاعل.

يا: حرف نداء.

آدم: منادى في محل نصب.

اسكن: فعل أمر مبني على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

أنت: تأكيد للفاعل المستتر.

و: حرف عطف.

زوجك: معطوف على الفاعل وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

الجنة: مفعول به منصوب.

و: عاطفة.

كلا: فعل أمر والضمير فاعل.

منها: جار ومجرور.

رغدا: منصوب على النعتية لمصدر محذوف أي: (أكلا رغدا) او الحالية.

حيث: ظرفية، مبنية على الضم.

شئتما: فعل ماض والضمير فاعل.

و: عاطفة.

لا: ناهية.

تقربا: فعل مضارع مجزوم وعلامته حذف النون وضمير التثنية في محل الرفع فاعل.

هذه: اسم اشارة مفعول به.

الشجرة: بدل من المفعول به.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

فـ: سببية.

تكونا: من الأفعال الناقصة وضمير التثنية في محل الرفع اسمها.

من الظالمين: جار ومجرور في محل النصب خبر كان.

فـ: استئنافية.

أزلهما: فعل ماض مبني على الفتح وضمير التثنية في محل النصب مفعول به مقدم.

الشيطان: فاعل مرفوع.

عنها: جار ومجرور.

فـ: حرف عطف.

أخرجهما: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو وضمير التثنية في محل النصب مفعول به.

مما: جار ومجرور.

كانا: من الافعال الناقصة وضمير التثنية في محل الرفع اسمها.

فيه: جار ومجرور في محل نصب خبرها.

و: عاطفة.

قلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل الرفع فاعل.

اهبطوا: فعل أمر وواو الجماعة في محل الرفع فاعل (مقول القول.(

بعضكم: بعض مبتدأ مرفوع وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

لبعض: جار ومجرور.

عدو: خبر مرفوع.

و: استئنافية.

لكم: جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم.

في الأرض: جار ومجرور.

مستقر: مبتدأ مرفوع.

و: عاطفة.

متاع: معطوف على المبتدأ.

إلى حين: جار ومجرور.

فـ: استئنافية.

تلقى: فعل ماض مبني على الفتح.

آدم: فاعل مرفوع.

من ربه: جار ومجرور ومضاف إليه.

كلمات: مفعول به منصوب.

فـ: تعليلية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

تاب: فعلماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

عليه: جار ومجرور.

إنه: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

هو: تأكيد لاسم إن.

التواب: خبر أول.

الرحيم: خبر ثان.

قلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل الرفع فاعل.

اهبطوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة في محل الرفع فاعل.

منها: جار ومجرور.

جميعا: حال منصوب.

فـ: تفريعية.

إما: شرطية.

يأتينكم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التأكيد الثقيلة والضمير في محل النصب مفعول به مقدم.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

مني: جار ومجرور.

هدى: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

من: اسم موصول في محل رفع مبتدأ.

تبع: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (صلة الموصول.(

هداي: مفعول به منصوب.

فـ: واقعة في جواب الشرط.

لا: نافية للجنس.

خوف: اسم لا مرفوع.

عليهم: جار ومجرور في محل النصب خبر لا، والجملة في محل الرفع خبر للمبتدأ (من.(

و: عاطفة.

لا: نافية للجنس.

هم: ضمير مبتدأ.

يحزنون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة في محل رفع خبر.

و: عاطفة.

الذين: مبتدأ مرفوع.

كفروا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة في محل الرفع فاعل (صلة الموصول.(

و: عاطفة.

كذبوا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة في محل الرفع فاعل.

بآياتنا: جار ومجرور ومضاف اليه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

اولئك: تأكيد للمبتدأ.

اصحاب: خبر مرفوع وهو مضاف.

النار: مضاف اليه.

هم: مبتدأ.

فيها: جار ومجرور.

خالدون: خبر مرفوع.

التفسير

)وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) لما كان السجود من الافعال المتمحضة في العبادية وغاية الدلالة على الخضوع والتذلل، إذ ليس وراء تعفير الجبهة والأنف ما يدل على الحقارة والصغر في قبال المسجود له، اختص باستحقاقه لله تبارك وتعالى باعتبار أنه المولى الواقعي بكل ما للكلمة من معنى، فهو المتفرد بالخلق والرزق والعطاء والانعام، يفعل ما يشاء ويدع ما يشاء وليس غيره مثله.

ومن هنا وقع الكلام في معنى سجود الملائكة لادم فمنهم من قال: إنه محمول على معناه اللغوي من الخضوع والتذلل، وهو غير مختص بالله تبارك وتعالى.

ومنهم من قال: إنه كان لله وكان آدم قبلة لهم في ذلك، واستعمال اللام في الجهة شائع يقال: «صلى للقبلة»، والحال أن الصلاة لله عز وجلّ، غاية الأمر أنها باتجاه القبلة.

وكلا هذين القولين لا يخلوان من نظر، فإن الأول خلاف الظاهر جدا لا سيما بملاحظة قوله تعالى: (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)(١)، فإنه ظاهر في إرادة المعنى المتعارف من السجود لا صرف الخضوع والتذلل.

والثاني -مضافا إلى كونه خلاف الظاهر أيضا- ينافيه كون اباء ابليس ناشئا من زعمه لأشرفيته منه (قال ما منعك الآ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه(

---

(١)الحجر، الآية: ٢٩.

(خلقتني من نار وخلقته من طين)(١)، فإن صرف كونه جهة لهم في السجود لا يقتضي أفضليته عن الساجدين، فان النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة المعصومين عليهم السّلام طالما سجدوا باتجاه البيت العتق وهم أفضل منه جزما، وقد يؤمر الكبير الطالب للدلالة إلى جهة معينة، بالاتجاه نحو العبد أو الطفل الصغير بل ونحو الحيوان أحيانا، لصرف كونهم واقفين في قرب تلك الجهة التي يقصدها.

إذن: فيتعين حمل اللفظ على ظاهره، فيقال: إن السجود كان لآدم حقيقة، وما ذكر من قبحه لغيره تعالى فهو إنما يتم فيما إذا لم يكن ذلك بأمر منه عزّ وجلّ، وإلا فامتثال أمره تعالى يكون عين الإطاعة والعبادة والخضوع، بل خلاف ذلك يعد عصيانا وكفرا.

وما ذكرناه يتضح بأدنى تأمل في قضايانا المتداولة، فإنه إذا كانت هناك حاجه يختص بها الأب في داره أو المولى بحيث كان قد نهى استعمال غيره لها، لكنه ولغرض خاص لديه، أمر ابنه أو عبده بجعلها في اختيار عزيز عنده، كان امتناع الابن أو العبد عن ذلك بدعوى اختصاصها به عين العصيان وقبيحا، وعلى هذا الأساس اشتهر في الألسن: (الامتثال خير من الأدب.(

بل ويدل عليه قول الصادق عليه السّلام في جواب سؤال الزنديق: كيف أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ قال: عليه السّلام«إن من سجد بأمر الله فقد سجد لله، فكان سجوده لله إذا كان عن أمر الله.«

وقوله عليه السّلام: «امر أبليس بالسجود لآدم، فقال: يا رب وعزتك إن اعفيتني من السجود لآدم لاعبدنك عبادة ما عبدك أحد قط مثلها، قال الله جل جلاله: إني أحب أن أطاع من حيث اريد.«

فإن هاتين الروايتين تدلان وبوضوح على أن السجود لغيره تعالى لما كان بأمره فهو عين الإطاعة والامتثال، بل وخضوع وتذلل وسجود له.

---

(١)الاعراف، الآية: ١٢..

(إلاّ إبليس أى واستكبر وكان من الكافرين) ذهب الشيخ المفيد قدس سرّه وجماعة من الأصحاب إلى أن الاستثناء في المقام منقطع، وأن ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة، وقد ذكروا في وجه ذلك وجوها عقلية ونقلية إظهرها قوله تعالى: (فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه)(١.(

وقد خالف فيه شيخ الطائفة قدس سرّه موافقا في ذلك لابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريح والطبري، حيث ذهبوا إلى كونه منا الملائكة، وعليه فيكون الاستثناء متصلا، وقد حاول قدس سرّه لدفع كل ما استدل به للقول الأول فحمل قوله تعالى: (كان من الجنّ) على أنه صار منهم بعد ذلك، أو أنه كان من طائفة من الملائكة يسمون جنا لأنهم كانوا خزنة الجنة، أو لاختفائهم عن العيون.

والقول الأول هو الأظهر، فإن ما ذكره الشيخ قدس سرّه في قوله تعالى: (كان من الجنّ) لا يخرج عن التوجيه والتأويل، ولا مبرر لشيء منه، فإن ظاهر كلمة (كان) هو وجود الصفة في الزمان السابق لا وجوده بعد ذلك، بل وظاهر التعبير بالجن هو إرادة الجنس المقابل للإنس والملائكة على ما يظهر من التأمل في موارد استعماله في القرآن الكريم. فلاحظ.

معهد الخوئي
Khoei Institute

وكيف كان: فقد عصى إبليس أمر ربه بالسجود لآدم استكبارا منه وتكبرا، باعتبار أنه كان يعتقد أن نفسه أشرف من المخلوق الجديد (قال أنا خير منه خلقتني من نّار وخلقته من طين)(٢)، (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال مّن حمإمّسنون)(٣) و بذلك فقد خرج من زي العبودية فكان رجيما

---

(١)الكهف، الآية: ٥٠.

(٢)الاعراف، الآية: ١٢.

(٣)الحجر، الآية: ٣٣.

ومن الكافرين.

)وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)، وردت قصة آدم عليه السّلام في عدة من الأيات الكريمة في ضمن السور المختلفة تشتمل كل منها بيان جانب من جوانب القصة، وقد تتكرر في موارد مختلفة للتأكيد وبيان اهميته، وحيث إن في هذه القصة من الغوامض ما فيهايحسن بنا التعرض إليها مفصلا في هذا المقام، وبمناسبة تفسير هذه الآيات الكريمة التي هي وبحسب ترتيب القرآن-أول الآيات المتضمنة لهذه القصة، عسى الله يوفقنا إلى الصراط المستقيم فنقول- :

قصة آدم:

إن قصة خلق آدم، وأمره تبارك وتعالى لملائكة بالسجود له، وامتثالهم جميعا لأمره إلا أبليس، وإن كان قد ورد في سور عديدة من الكتاب العزيز وفي ضمن آيات كثيرة على اختلاف من حيث التفصيل والايجاز، إلا أن ما يرتبط بدخول آدم عليه السّلام للجنة واغواء الشيطان له وعصيانه لله تبارك وتعالى، ومن ثم إخراجه من الجنة، ينحصر في سور ثلاث هي كالآتي- :

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الاولى: سورة البقرة، حيث ورد ذكر القصة في مورد منها في ضمن أربع آيات هي: (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع الى حين * فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه انّه هو التوّاب الرحيم * قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا)

(خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١.(

الثانية: سورة الاعراف حيث ورد ذكرها في موردين منها في ضمن سبع آيات.

الأول: (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتماو لا تقربا هذه الشّجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشّيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهكما ربّكما عن هذه الشّجرة الاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * و قاسمهما إنّي لكما لمن النّاصحين* فدلّهما بغرور فلمّا ذاقا الشّجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشّجرة وأقل لّكما إنّ الشّيطان لكما عدو مبين * قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين)(٢.(

الثاني: (يا بني آدم لا يفتننّكم الشّيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواءتهما إنّه يراكحم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشّياطين أولياء للذين لا يؤمنون)(٣.(

الثالثة: سورة طه حيث ورد ذكرها في ثمان آيات هي: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ ابليس أبى * فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى * إنّ لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى* وأنّك لا تظموا فيها ولا تضحى * فوسوس إليه الشّيطان قال يا آدم هلى أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا(

---

(١)البقرة، الآية: ٣٥-٣٨.

(٢)الاعراف، الآية: ١٩-٢٤.

(٣)الاعراف، الآية: ٢٧.

(يخصفان عليهما من ورق الجنّة وعصى آدم ربّه فغوى * ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى * قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإمّا يأتينّكم مّني هدى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى)(١.(

فإن ملاحظة هذه الآيات باجمعها تدلنا على أن القصة بدأت بخلقه تعالى لأدم وزوجته، وأمره للملائكة بالسجود له وإطاعة الملائكة بأجمعهم لأمره، غير ابليس الذي كان من الن، حيث فسق عن أمر ربه ولم يكن من الساجدين استعلاء واستكبارا.

ثم أمره تعالى لأدم وزوجته بالسكون في الجنة والاكل منها رغدا حيث شاءا إلا شجرة في الجنة، وتحذيرهما عن الشيطان وبيان أنه عدو لهما ونهيهما عن اتباعه.

ثم وسوسة الشيطان لهما حسدا، وتغريزهما بأنه تبارك وتعالى إنما نهاهما عن تلك الشجرد لكي لا يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاهما بغرور على الأكل من تلك الشجرة، فأكلا منها عاصيين بذلك لنهيه تبارك وتعالى، وبذلك فقد نزع الشيطان عنهما لباسهما وبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، وبذلك فقد تحقق ما كان الله تعالى قد حذرهما منه: (انّ هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنّة) فاخرجهما منها (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين)، وعندئذ كان إحساس آدم وزوجته بالعصيان والغواية، وبعده فلم يكن لهما تخلص من ذلك المأزق إلا اللجوء إلى من لا فرار منه ولا ملجأ غيره، (فتلقّى آدم من ربّه كلمات) (قالا ربّنا انّا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين) (فتاب(

---

(١)طه، الآية: ١١٦-١٢٣.

(عليه إنّه هو التّواب الرّحيم)، ولكن ومع عفوه تعالى عن خطيئة آدم لم يكن له العود إلى الجنة، بل جاء الأمر بعد ذلك مؤكدا للأمر الأول: (قلنا اهبطوا منها جميعا فامّا يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فامّا يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى.(

هل تتحقق المعصية من الأنبياء؟

لكن ومع ذلك يبقى الحديث في جهة واحدة، هي أنه كيف يمكن صدور المعصية والخطيئة باتباع الشيطان ومخالفة امر الله تبارك وتعالى من الأنبياء، أو ليس أنهم معصومون يمتنع ذلك في حقهم؟

فنقول: إن الأقوال في وقوع الذنوب من الأنبياء مختلفة والآراء متضاربة، فالشيعة يقولون بعدم جواز صدور الذنب منهم مطلقا صغيرا كان أم كبيرا، قبل النبوة كان أم حينها، متعلقا بأداء الشريعة كان أم لا، عمدا أم سهوا، سرا وعلانية، والحشوية يرون جوازها قبل النبوة خاصة، ومنهم من جوزها في حين النبوة أيضا لكن غير الكذب في خصوص ما يتعلق بأداء الشريعة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ومنهم من جوزها سرا لا علانية.

ومنهم من جوزها بشكل عام.

والمعتزلة منعت من وقوع الكبائر والصغائر المستخفة منهم قبل النبوة وبعدها وجوزت الصغائر التي لا تستخف في الحالين.

ومنهم من سوغها على سبيل السهو والغفلة، مع الالتزام بكونهم مؤاخذين عليه.

والدليل على ما ذهب إليه الشيعة-قبل كل شيء-هو حكم العقل، فإن

النبوة والرسالة منصب الهي رفيع ومقام مقدس شامخ، يتوخّى منها أثر عظيم، ألا هو اصلاح البشرية بشكل عام وهدايتهم الى ما فيه صلاحهم ورشادهم.

ومن هنا فلابد من توفر جميع ما يكون دخيلا في تحقق هذاالهدف المقدس في شخص الرسول والنبي، بأن تكون فيه جميع المؤهلات الاجتماعية والشخصية، الخلقية وغيرها، ويكون نزيها عما يوجب اشمئزاز الناس منه وتنفرهم عنه.

فلا بد في النبي من أن يكون بريئا من المعاصي والذنوب بكافة أشكالها، وهذا لا يختص بحال النبوة بل هو جار فيما قبلها أيضا، فإن المتلطخ بالذنوب والمدّنس بالمعاصي لا تركن النفوس إليه ولا تطمئن بقوله، ومعه فلا يحصل الهدف المنشود من بعثه، والغرض الداعي إلى إرساله.

ولعل ما ذكرناه هو الحكمة في اعتبار طهارة المولد في إمام الجماعة ومرجع التقليد - على قول- إذ من هذا شأنه لا يصلح لهذا المنصب ولا تركن النفوس إليه وإن كان بالفعل ورعا تقيا.

ومن هنا يظهر أنه لا فرق في الحكم بين كون الذنب صغيرا أو كبيرا، متعلّقا بأداء الشريعة أم لا، سرا كان أم علنا.

فإنه على جميع التقادير واحد، وأمّا حال السهو فهو خارج عن الموضوع، لأنه حينئذ غير مكلف وهو دخيل في تحقق مفهوم الذنب.

هذا كله مضافا إلى صراحة جملة من النصوص -على ما سيأتي بيان بعضها- في عصمتهم وامتناع صدور الذنب بكافة أقسامه منهم.

إذا عرفت هذا يتضح وجوب تأويل كل ما دلّ بظاهره على صدور الذنب منهم وارتكابهم للمعاصي، وحمله على غير ذلك من الوجوه التي لا تخدش بعصمتهم، وعلى هذا الأساس لابد من حمل العصيان ومخالفة آدم لأمر الله تبارك وتعالى، على مخالفته لأمره الإرشادي أو المولوي الذي لم يصل إلى حدّ

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الوجوب أو التحريم، وإن الشيطان قد حملهما على مخالفة هذا الأمر كما يشهد له كون مخالفتهما له في الجنة، وهي ليست محطا للتكاليف المولوية كما تدل عليه رواية أبي الصلت الآتية.

فإن قلت: إن معه كيف يصدق عنوان المعصية والغواية، إذ المفروض في مثل هذه الأوامر الإذن في الخلاف.

قلت: إن ذلك إنما هو بلحاظ عموم الناس وغالب الأفراد، وأمّا بالنسبة إلى النبياء ومن هم بمنزلتهم فالأمر ليس كذلك، فإن المتوقع منهم الالتزام بالأوامر الاستحبابية وعدم معصية الاله حتى في النواهي الكراهتية.

وليس ذلك إلا لعلو مكانتهم ودنو منزلتهم إليه تعالى فيكون المتوقع منهم غير المتوقع من غيرهم.

وهذا المعنى أمر مركوز في الوجدان ويجده كل إنسان في معاملاته مع الغير في ضمن اليوم الواحد مرارا، فهو يتوقع من ابنه من الامتثال مالا يتوقع من ابن اخيه ومنه ما لا يتوقع من الغريب، ويتوقع من الصديق الميم ما لا يتوقعه من الصديق العادي، وينتظر ممن له عليه الفضل مالا ينتظره من غيره.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

بل قد يعتبر الفعل الواحد من أحدهما حسنة ومن الآخر سيئة، فإنه لو رقد في فراش المرض فترة طويلة وقد زاره في تمام تلك الفترة كل من صديقه الحميم الذي له من الفضل عليه ماله وصديقه العادي، مرة واحدة فقط، لاعتبر الصديق العادي متفضلا والصديق الحميم مقصرا، وليس ذلك إلا لكون علاقته مع الأول لا تقتضي الأكثر من ذلك، في حين أن المتوقع من الثاني عيادته في جميع أيام تلك الفترة، إلى غير ذلك من الشواهد التي يجدها الإنسان يوميا في علاقاته مع الغير وتوقعاته من الناس، وعلى هذا الأساس صحت الكلمة المشهورة: «حسنات الأبرار سيئات المقربين.«

وعلى ما ذكرناه تشهد جملة من النصوص الواردة في المقام، فعن أبي

صلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السّلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد حتى ألزم حجته كأنه ألقم حجرا، فقام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: «بلى» قال: فما تعمل بقول الله عز وجل: (وعصى آدم ربه فغوى) ؟...إلى أن قال فقال مولانا الرضا عليه السّلام: «ويحك يا علي اتق الله ولا تنسب إلى انبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله عز وجل برأيك، فإن الله عز وجل يقول: (وما يعلم تأويله الاّ الله والراسخون في العلم)(١)، أما قوله عز وجل في آدم: (وعصى آدم ربّه فغوى)(٢): فإن الله خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلما أهبط به الى الأرض وجعل حجة وخليفة، عصم بقوله عزّ وجلّ: (انّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)(٣.(

ثم إن مما تقدم من البيان يتضح معنى ظلمهما لانفسهما وغوايتهما وتوبتهما وعفوالله تبارك وتعالى عنهما، فإن جميع هذه الكلمات مستعمل في معانيها الحقيقية بلا استلزام أي محذور فإن مخالف أمر الله الإرشادي، الذي يقصد به هدايته إلى ما فيه صلاح العبد وخيره وإرشاده إلى الصراط المستقيم الذي لا نصب ولا تعب فيه، لمجرد قول الشيطان، ظالم لنفسه جزما إذ انه موقعها بذلك في التعب الذي لا حدّ له والنصب الذي لا ينتهي، وكذا غاو بلحاظ أنه لم يحسن تدبير نفسه ولم يقدر على حفظ مقصده.

---

(١)آل عمران، الآية: ٧.

(٢)طه، الآية: ١٢١.

(٣)آل عمران، الآية: ٣٣،الميزان ج ١ ص ١٤٥ نقلا عن أمالي الصدوق.

وأمّا التوبة: فليست هي إلا الرجوع، وهو متحقق في المقام، فإن آدم بعد أن أحس بخطيئته وراى ظلم نفسه٧رجع إلى الملجأ الذي يفزع إليه المذنبون، باعتبار أنه المالك المطلق للأمر والقادر على العفو، فناداه بكلمات عزيزد عنده، بأجابه الله تبارك وتعالى فتاب عليه وارجعه إلى الحالة السابقة من الرضا عليه: (ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى.(

فإن قلت: كيف الجمع بين قبول توبتهما وعدم ارجاعهما إلى الجنة؟

قلت: إن آدم وزوجته لم يخلقا ليبقيا في الجنة، وإنما خلقا للحياة على الأرض كما يدلّ عليه قوله تعالى: (وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة)، وإنما ادخلا الجنة لفترة زمنية محدودة كانت بالنسبة لهم فترة الاختبار ونقطة العبور إلى ما خلقوا له، وعليه فلا تنافيه توبته تعلاى عليهما ورضايته عنهما وعفوه عن زلتهما.

وإلى هذا المعنى يشير ما ورد عن الباقر عليه السّلام: «والله لقد خلق الله آدم للدنيا، واسكنه الجنة ليعصيه فيرده إلى ما خلقه له»(١.(

)فتلقى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه)، روي عن مجاهد أنه كان يقول: إن الكلمات هي: اللهم لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

إلا أن المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتب الفريقين أنها هي أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته عليهم السّلام.

ففي مناقب ابن المغازلي قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة، أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيد الله بن شوذب، حدثنا محمد بن عثمان

---

(١)الميزان ج ١ ص ١٤٩ نقلا عن العلل.

قال: حدثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدثنا حسين الأشقر، حدثنا عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه، قال: «سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت عليّ فتاب عليه»(١.(

وقريب منه ما أخرجه العلاّمة السيوطي في الدر المنثور، وما رواه الكليني والصدوق.

)قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينّكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تكرر الأمر بالهبوط تأكيدا للأمر الأول.

وقيل: إن الأول كان من الجنة إلى السماء، والثاني من السماء إلى الأرض.

وهذه الآية أول ما شرع من الدين على الإطلاق، فإن في اتباع هدى الله النجاة والطمأنينة، وفي تكذيبه والكفر به الضلال والتيه (أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.(

---

(١)مناقب ابن المغازلي ص ٦٣.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (يبنى إسرءيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإيّى فارهبون(٤٠) وءامنوا بمآ أنزلت مصدّقا لّما معكم ولا تكونوا أوّل كافر به ولا تشتروا بايتى ثمنا قليلا وإيّى فاتّقون(٤١) ولا تلبسوا الحقّ بالبطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون(٤٢) وأقيموا الصّلوة وءاتوا الزنكوة واركعوا مع الرّكعين(٤٣) أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون(٤٤) واستعينوا بالصّبر والصّلوة وإنّها لكبيرة إلاّ على الخشعين(٤٥) الّذين يظنّون أنّهم مّلقوا ربّهم وأنّهم إليه رجعون(٤٦).((

اللغة

الوفاء بالعهد: العمل به.

الرهبة: الخوف والانقطاع

اللبس: الخلط.

الظن: إدراك الذهن الشيء مع ترجيحه، وقد يكون مع اليقين.

البر: الاحسان.

الاعراب

يا: حرف نداء

بني: منادى وهو مضاف.

اسرائيل: مضاف إليه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

اذكروا: فعل أمر مبني على حذف النون ضمير الجماعة فاعل.

نعمتي: مفعول به منصوب وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه.

التي: اسم موصول صفة.

أنعمت: فعل ماض منبي على السكون والضمير في محل الرفع فاعل (صلة الموصول.(

عليكم: جار ومجرور.

و: عاطفة.

أوفوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة وضمير الجماعة في محل الرفع فاعل.

بعهدي: جار ومجرور ومضاف إليه.

أوف: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا.

بعهدكم: جار ومجرور ومضاف إليه.

و: عاطفة.

إياي: مفعول به منصوب بفعل مقدر تقديره ارهبوا، ولا يجوز أن يكون مفعولا مقدما لاشتغال الفعل المتأخر بضمير يعود عليه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ف: حرف تزيين.

ارهبون: فعل أمر مبني على حذف النون والواو ضمير الجماعة في محل الرفع فاعل، وهو يعمل في ضمير محذوف هو ياء المتكلم والنون نون الوقاية.

و: عاطفة.

آمنوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة وهي في محل الرفع فاعل.

بما: جار ومجرور.

ما اسم موصول.

أنزلت: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل الرفع فاعل (صلة الموصول.(

مصدقا: حال للضمير المحذوف من الفعل المتقدم (أنزلته) والعائد على اسم الموصول.

لما: جار ومجرور.

ما اسم موصول.

معكم: اسم متعلق بفعل محذوف تقديره كائن وهو مضاف والضمير مضاف اليه (صلة الموصول.(

و: عاطفة.

لا: ناهية.

تكونوا: من الافعال الناقصة والواو اسمها.

)وهو مجزوم بحذف النون.(

أول: خبرها وهو مضاف.

كافر: مضاف إليه.

به: جار ومجرور.

و: عاطفة.

لا: ناهية.

تشتروا: فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

بآياتي: جار ومجرور ومضاف إليه.

ثمنا: مفعول به.

قليلا: صفة.

و: عاطفة.

اياي: مفعول به منصوب بفعل مقدر تقديره اتقوا

فـ: عاطفة.

اتقون: فعل أمر مبني على حذف النون والواو ضمير الجماعة فاعل

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

والنون للوقاية، وهو يعمل في ياء المتكلم المحذوف.

و: عاطفة.

لا: ناهية.

تلبسوا: فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

الحق: مفعول به.

بالباطل: جار ومجرور.

و: عاطفة.

تكتموا: فعل مضارع مجزوم لكونه معطوفا على (تلبسوا) أو منصوب بأن المقدرة، وواو الجماعة فاعل.

الحق: مفعول به.

و: حالية.

انتم: مبتدأ.

تعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة الفعلية في محل الرفع خبر.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

و: عاطفة.

أقيموا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والضمير في محل الرفع فاعل.

الصلاة: مفعول به.

و: عاطفة.

آتوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والضمير في محل الرفع فاعل.

الزكاة: مفعول به.

و: عاطفة.

اركعوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والضمير في محل الرفع فاعل.

مع: اسم ملازم للإضافة.

الراكعين: مضاف إليه.

أ: استفهامية.

تأمرون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

الناس: مفعول به.

بالبر: جار ومجرور.

و: حالية.

تنسون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

أنفسكم: مفعول به وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

و: حالية.

أنتم: مبتدأ.

تتلون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

الكتاب: مفعول به.

أفلا: الهمزة استفهامية والفاء رابطة واللاء نافية.

تعقلون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

و: استئنافية.

استعينوا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة

Al-Khoei Institute

والضمير فاعل.

بالصبر: جار ومجرور.

و: استئنافية.

الصلاة: معطوف على الصبر.

و: استينافية.

انها: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

لكبيرة: اللام متزحلقة وكبيرة خبر إن.

الا: اداة استثناء.

على الخاشعين: جار ومجرور.

الذين: صفة.

يظنون: فعل مضارع مرفوع وعلامته ثبوت النون والواو في محل الرفع فاعل (صلة الموصول.(

أنهم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

ملاقوا: خبر ان مرفوع وهو مضاف.

ربهم: مضاف إليه وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

و: عاطفة.

أنهم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

إليه: جار ومجرور.

راجعون: خبر ان مرفوع.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

)يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم) قيل: المراد به خصوص أخبار اليهدو الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: إنه عام لليهود والنصارى، بلحاظ أنه تقسيم بلحاظ القومية لا العقيدة، فيعم كلا القسمين.

وبعض الآيات القادمة شهد على اختصاصه بعلمائهم احبارا كانوا أم رهبانا.

فالآية الكريمة تتضمن تذكير بني اسرائيل بما أنعم الله تبارك وتعالى عليهم وعلى اسلافهم: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وءاتاكم مّا لم يؤت أحدا من العالمين)(١.(

وقوله تعالى: (وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى)(٢.(

وقيل: المراد تذكيرهم بالنعم التي اختص اباؤهم بها، وإنما اضيفت إليهم لجوازه في لغة العرب، فيقال: نحن الذين فعلنا كذا، ويراد به فعل الآباء، قال الشاعر: ملكنا فكان العفو منا سجية.

)وأوفوا بعهدي) والمراد بالعهد هو العمل بما تضمنته كتبهم السماوية من الأوامر والنواهي بما في ذلك الإيمان بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

وقريب من هذا القول دعوى أن المراد به بيان ما جاء في كتبهم وعدم كتمانه.

قال تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا(

---

(١)المائدة، الآية: ٢٠.

(٢)البقرة، الآية: ٥٧.

(تكتمونه)(١.(

ويحتمل أن يراد به العهد الذي أخذه الله تبارك وتعالى من البشر في عالم الذر: (ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين)(٢.(

)اوف بعهدكم) من تكير سيئاتهم واسكانهم الأرض المقدسة في الدنيا، وفي الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار: (ومن أوفى بعهده من الله)(٣.(

)وايّاي فارهبون) لأنه المالك الحقيقي لجميع الامور والقادر عليها، دون غيره مهما وسع سلطانه في الدنيا أو كثرت رجاله وشوكته.

)وآمنوا بما أنزلت) وهو القرآن (مصدّقا لما معكم) من التوراة والانجيل (ولا تكونوا أول كافر به) أي رأس الكافرين بالقرآن، بحيث يكون الغير تبعا له في ذلك، أو يراد به أشد الكافرين به.

)ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) بأن تتركوا الاعتراف بالنبوة بعد العلم بها لأجل دنيا دانية وفضول حطامها، كما كان هو الحال بالنسبة إلى احبار اليهود ورهبان النصارى المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم وجدوا فيه صلى الله عليه وسلم ما ورد في كتبهم من صفات خاتم الأنبياء، إلا أنهم جحدوه لأن إيمانهم به كان يستلزم سلب ما لهم من السلطنة والسيطة على الناس، وما كان لهم نن الحكم والقدرة ومعاملتهم كفرد من أفراد المسلمين.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السّلام أنه قال في تفسيرها: «كان ليحيى بن أخطب وكعب بن أشرف وآخرين منهم، مأكلة على يهود في كل سنة وكرهوا بطلانها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره، فذلك الثمن

---

(١)آل عمران، آلاية: ١٨٧.

(٢)الاعراف، الأية: ١٧٢.

(٣)التوبة، الأية: ١١١.

القليل الذي أريد به في الآية(١.(

ثم إن تقييد النهي عن الكفر بكونه أول كافر، وعن الشراء بكون الثمن قليلا، إنما هو لبيان النهي عن الكفر على كل حال، وعن الشراء بأي ثمن كان، وليس ما ذكر إلا لعظم موقعه، وإلا فهو منهي عنه بقول مطلق.

)وايّاي فاتقون) بالعمل على وفق الحق والإعراض عن الباطل.

)ولا تلبسوا الحقّ) الذي عرفتموه من كتابكم (بالباطل) من عندكم، (وتكتموا الحقّ) عن الناس حفظا لمقامكم (وأنتم تعلمون) بالحق وإن ما تفعلونه خلط بينه وبين الباطل.

)وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة واركعوا مع الراكعين) إمّا بيان لإرادة صلاة والمسلمين، لا صلاتهم، حيث إن صلاتهم تخلو عن الركوع، وإمّا بيان لإرادة الصلاة جماعة لما فيها من الفضل العظيم.

والأول أنسب مع سياق الآيات السابقة واللاحقة، حيث إن الخطاب فيها لأهل الكتاب.

)أتامرون النّاس بالبرّ) وما فيه الصلاح من تحصيل مرضاة الله بامتثال أوامره والتجنب عما نهى عنه (وتنسون أنفسكم) حيث تفعلون ما يوجب سخط الله عليكم واستحقاقكم للعذاب وهو إنكار الحق بعد معرفته (وأنتم تتلون الكتا أفلا تعقلون) وتشعرون بما تقترفونه من المعاصي وترتكبونه من الآثام بفعلكم هذا.

)واستعينوا بالصّبر والصّلاة) أما الأول فبقمع النفس عن شهواتها ورغباتها، وذلك بمنعها عما حرّمه الله عليه وإكراهما على ما أوجبه الله.

ولذلك طرق من أحسنها الصيام، وعلى هذا الأساس ورد في غير واحد من النصوص تفسيره بالصوم، ففي الكافي عن الصادق عليه السّلام في تفسير الآية قال:

---

(١)نقلا عن التبيان ١٨٨/١.

«الصبر الصيام، وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم، إن الله عز وجل يقول: (واستعينوا بالصّبر والصّلاة) »(١)، وأمّا الثاني فلأنها التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي عمود الدين.

)وانّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين) أي الصلاة، فإنها ولا سيما بواقعها صعبة وثقيلة إلا عى المتواضعين والمخبتين لله تعالى، فإن في الصلاة لهؤلاء من اللذة ما ينسيهم ثقلها وشدتها.

)الّذين يظنون أنّهم ملاقوا ربّهم وأنّهم إليه راجعون) وصف للخاشعين.

والظن هنا بمعنى اليقين والعلم، واستعماله في ذلك ثابت في القرآن وشعر العرب، قال تعالى: (ورءا المجرمون النّار فظنّوا أنّهم مّواقعوها)(٢.(

وقال تعالى: (وظنّوا أن لاّ ملجأ من الله إلاّ إليه)(٣.(

وقال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مذحج * سراتهم في الفارسي المسرد

وفي تفسير العياشي عن علي عليه السّلام في قوله تعالى: (الذين يظنون أنّهم ملاقوا ربّهم) قال: «يوقنون أنهم مبعوثون، والظّن منهم يقين»(٤.(

---

(١)الميزان: ص ١٥٣.

(٢)الكهف، الأية: ٥٣.

(٣)التوبة، الأية: ١١٨.

(٤)نقلا عن الميزان ١٥٣/١.

قوله تعالى: (يبنى إسرءيل اذكروا نعمتى الّتى أنعمت عليكم وأنّى فضّلتكم على العلمين(٤٧) واتّقوا يوما لاّ تجزى نفس عن نّفس شيئا ولا يقبل منها شفعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون(٤٨).((

اللغة

الشفاعة: من الشفع ضد الوتر، وكأنه من ضم سؤال الشفيع إلى سؤال المشفوع له.

العدل: الفدية.

النصرة: المعونه لدفع الضرر.

الإعراب

يا: حرف نداء.

بني: منادى وهو مضاف.

اسرائيل: مضاف إليه.

اذكروا: فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة والواو في محل رفع فاعل.

نعمتي: مفعول به وهو مضاف وياء المتكلم مضاف إليه.

التي: اسم موصول صفة.

أنعمت: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل رفع فاعل.

عليكم: جار ومجرور.

مؤسسة الخوئي الإسلامية
Al-Khoei Institute

و: عاطفة.

أني: من الحروف المشبهة بالفعل وضمير المتكلم اسمها.

فضلتكم: فعل ماض مبني على السكون والتاء في محل رفع فاعل وضمير الجماعة مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لأن.

على العالمين: جار ومجرور.

و: عاطفة.

اتقوا: فعل أمر مبني على حذف النون والواو ضمير الجماعة في محل رفع فاعل.

يوما: مفعول به منصوب.

لا: نافية.

تجزي: فعل مضارع مرفوع.

نفس: فاعل ومرفوع.

عن نفس: جار ومجرور.

شيئا: مفعول به.

و: عاطفة.

لا: نافية.

يقبل: فعل مضارع مبني للمجهول.

منها: جار ومجرور.

شفاعة: نائب فاعل.

و: عاطفة.

لا: نافية.

يؤخذ: فعل مضارع، مبني للمجهول.

منها: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

عدل: نائب فاعل.

و: عاطفة.

لا: نافية.

ينصرون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة في محل الرفع نائب فاعل.

التفسير

)يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم) تكررت الأية تأكيدا والزاما لبني اسرائيل بأمر لا يمكنهم إنكاره.

)وأنّي فضلتكم على العالمين) في انزال المن والسلوى عليكم دون غيركم أو في انقاذكم من آل فرعون بالمعجزة الباهرة أو بكثة النبوات والرسالات فيكم (إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين) وكل ذلك لا يدلعلى افضليتهم كأمة بما هي على غيرها، فإن أمة نبينا صلى الله عليه وسلم هي أفضل الأمم لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، وغاية ما تدل الأية هو تفضيلهم على سائر الأمم في ذلك العصر لا مطلقا فلا تنافيها الآية الثانية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا) بدأت الآية بتحذير بني اسرائيل من مغبة أعمالهم السيئة، فحذرتهم من يوم القيامة، ذلك اليوم الذي (تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد)(١) و (يوم يفرّ المرء من(

---

(١)الحج، الآية: ٢.

(أخيه * و أمّه وأبيه * و صاحبته وبنيه)(١)، (ويوم لا ينفع مال ولا بنون * إلاّ من أتى الله بقلب سليم)(٢.(

)ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) فإنها الحياة الآخرة وليست هي كالحياة الدنيا، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين و (يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * و صاحبته وأخيه * و فصيلته الّتي تؤويه * و من في الأرض جميعا ثمّ ينجيه)(٣)، فلا تنفع هناك فدية ولا عشيرة تنصر المجرم، فإنه حكم الله ولا مبدل لحكم الله ولا شيء فوقه.

ما هي الشفاعة وهل هي ثابتة يوم القيامة؟

الشفاعة مأخوذة من الشفع ضد الوتر، وكأنه لأن الشفيع يضم صوته في طلب قضاء الحاجة إلى المشفعوع له، فيطلبان الحاجة معا.

وهي في الحين الذي تعتمد على أركان ثلاثة: الشفيع والمشفوع له والمشفوع لديه، تكون بلحاظ أحد امور ثلاثة أيضا، فإنها إمّا أن تستند إلى مقام الشفيع وعظمته -كما هو الغالب في موارد الشفاعة- وإمّا أن تستند إلى علوّ منزلة المشفوع لديه ورفعته، بحيث لا يكون من شأنه المؤاخذة على الذنب، وإمّا أن تستند إلى حقارة المشفوع له ووضاعته كضعف العبد وفقره وفاقته.

وهي ثابتة في يوم القيامة عند أكثر المسلمين، بل ذكر الرازي في التفسير الكبير ما هذا لفظه:

)أجمعت الامة على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك

---

(١)عبس، الآية: ٣٤-٣٦.

(٢)الشعراء، الآية: ٨٨.

(٣)المعارج، الآية: ١١-١٤.

قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربّك مقاما محمودا)(١)، وقوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربّك فترضى)(٢).(

وإن اختلفوا من حيث كونها موجبة لزيادة الفضل للمؤمنين أو العفو عن الخاطئين، ولم يخالف فيها إلا شاذ منهم حيث ذهب إلى امتناعها مستدلا بأدلة هي إمّا على خلاف مدعاه أولا، أو هي أوهن من بيت العنكبوت.

وهي أمر ممكن ويقرها العقل، فإنها ليست إلا التوبة والمغفرة التي لم يختلف اثنان في جوازها، والآيات الكثيرة صريحة في وقوعها، غاية ما هناك أنها تختلف عن التوبة في كون قبولها والمغفرة حاصلة بتوسط مقرب عند المشفوع لديه بحيث لا تكون استحابة المولى متفرعة على طلب العبد مباشرة، واللحاظات الثلاثة التي ذكرناها في الشفاعة كلها موجودة ومجتمعة في شفاعة النبي وأهل بيته صلى الله عليه وسلم لأهل المعاصي يوم القيامة، فلاحظ.

ثم إن الآيات الكريمة والنصوص الشريفة الدالة على ثبوت الشفاعة في الجملة كثيرة متظافة، قال تعالى: (إنّ ربّكم الله الّذي خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش يدبّر الأمر ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه)(٣).(

وقال تعالى: (وقالوا اتّخذ الرّحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم مّن خشيته مشفقون)(٤).(

قال تعالى: (ولا يملك الّذين يدعون من دونه الشّفاعة إلاّ من شهد(

---

(١)الاسراء، الآية: ٧٩.

(٢)الضحى، الآية: ٥، التفسير الكبير ٣/٥٥.

(٣)يونس، الآية: ٣.

(٤)الانبياء، الآية: ٢٦-٢٨.

(بالحقّ وهم يعلمون)(١).(

وقال تعالى: (يومئذ لاّ تنفع الشّفاعة إلاّ من أذن له الّرحمن ورضي له قولا)(٢)، وقال تعالى: (وكم مّن مّلك في السّموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(٣)، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تتضمن إثبات الشفاعة في الجملة.

وأمّا النصوص فهي متواترة ومتظافرة، حتى ذكر في كنز العرفان ما يريد على ثمانين رواية تدل على ثبوت الشفاعة يوم القيامة، فقد روى انس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة.

وأنا أكثر الناس تبعا»(٤)، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»(٥)، وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»(٦).(

وروى أبو الربيع عن حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار: أسمعت جابر بن عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يخرج قوما من النار بالشفاعة؟ قال: نعم(٧).(

بل في كثير من اخبار الفريقين تفسير قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربّك مقاما محمودا)(٨).(

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

---

(١)الزخرف، الآية: ٨٦.

(٢)طه، الآية: ١٠٩.

(٣)النجم، الآية: ٢٦.

(٤)صحيح مسلم ١٣٠/١ باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم انا أول الناس يشفع في الجنة.

(٥)صحيح مسلم ١٣٠/١ باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم انا أول الناس يشفع في الجنة.

(٦)صحيح مسلم ١٣١/١ باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لامته.

(٧)صحيح مسلم ج ١ باب أدنى اهل الجنة منزلة فيها ص ١٢٢.

(٨)الاسراء، الآية: ٧٩.

وقوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربّك فترضى)(١) بالشفاعة، إلى غير ذلك من النصوص التي دلت على ثبوت الشفاعة يوم القيامة في الجملة.

ومن هنا يتعين تقييد ما دلّ من الآيات على نفي الشفاعة بقول مطلق كقوله تعالى: (يوم لاّ بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة)(٢).

وقوله تعالى: (ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع)(٣).

وقوله تعالى: (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)(٤)، وغيرها من الآيات والنصوص، فيقل إنها ناظرة إلى شفاعة من لم يأذن الله لهم فيها، أو من لم يرتض الله دينهم وشفاعتهم.

وأمّا حمل الآيات المتضمنة للاستثناء على بيان النفي القطعي، فهو بعيد عن ظاهر أكثرها ومخالف لما كاد يكون صريحا في ثبوتها: (إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(٥) و غيرها.

ودعوى: أن إثبات الشفاعة يوجب نقض الغرض من بعث الأنبياء وإرسال الرسل، حيث إنه يوجب إهمال العبد للواجبات وارتكابه للمعاصي وعدم التزامه بالقوانين والأحكام الشرعية، تعويلا في ذلك على الشفاعة التي وعد بها.

مدفوعة: بأنها إنما تتم فيما إذا كان الوعد بالشفاعة مطلقا بحيث يقطع المكلّف بشمولها له مهما كانت معاصيه نوعا وكما، وأمّا إذا لم يكن الأمر كذلك بل كان الوعد بها وعدا مجملا لا يعلم المكلّف أنها تشمل أي ذنب من الذنوب، وهل أنها تشمله أم لا؟ فلا يوجب أي خدشة في التزام المكلّف بالأحكام

---

(١)الضحى، الآية: ٥.

(٢)البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٣)غافر، الآية: ١٨.

(٤)الشعراء، الآية: ١٠٠-١٠١.

(٥)النجم، الآية: ٢٦.

الشرعية، لا سيما وأن النصوص قد تضمنت التصريح بعدم ثبوتها لبعض الأفراد وبعض المعاصي، كقولهم عليهم السّلام: «لا تنال شفاعتنا مستخفا بالصلاة»، فإنه وبملاحظة هذه النصوص يظهر أنها مختصة بالخطيئة التي تصدر من الملتزم بمبادئ الشريعة المقدسة عفوا.

على أن هذا الإشكال لو تم فهو لا يختص بالشفاعة بل يجري حرفيا في الآيات والنصوص التي فاقت حدّ التواتر، الدالة على قبوله لتوبة العبد وأنه التواب الرحيم وأنه الغفار وأنه يغفر الذنوب جميعا إلى غير ذلك.

والحال أنه لا يمكن إنكار التوبة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ نجّينكم مّن ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء مّن رّبّكم عظيم(٤٩) وإذ فرقنا بكم البحر فأنجينكم وأغرقنا ءال فرعون وأنتم تنظرون(٥٠) وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثمّ اتّخذتم العجل من بعده وأنتم ظلمون(٥١) ثمّ عفونا عنكم مّن بعد ذلك لعلّكم تشكرون(٥٢) وإذ ءاتينا موسى الكتب والفرقان لعلّكم تهتدون(٥٣)(

اللغة

النجو: اصل النجاء الانفصال من الشيء.

والنجوة والنجاة المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل سمّي لكونه ناجيا منه السيل.

السوم: أصله الذهاب في ابتغاء الشيء ومنه التكليف والتولية.

الاستحياء: ابقاءهن احياء إذلالا.

البلاء: الامتحان والاختبار.

الفرق: الفصل بين الشيئين.

العفو: الصفح والتجاوز عن الخطيئة.

الشكر: اظهار النعمة والاعتراف بها، ويقابله الكفر الذي هو نسيان النعمة وسترها.

الفرقان: ما يفرق به بين الحق والباطل، والمائز بينهما.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الإعراب

و: عاطفة.

إذ: ظرفيء يعمل فيها الفعل اذكروا.

نجيناكم: فعل ماض مبني على السكون والنا ضمير متصل في محل رفع فاعل وكم في محل نصب مفعول به.

من آل فرعون: جار ومجرور ومضاف إليه.

يسومونكم: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل وكم في محل النصب مفعول به أول.

سوء: مفعول به ثان وهو مضاف.

العذاب: مضاف إليه.

والجملة بكاملها في محل نصب حال.

يذبحون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

ابناءكم: مفعول به منصوب وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

و: عاطفة.

يستحيون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل.

نساءكم: مفعول به منصوب وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

و: عاطفة.

في ذلكم: جار ومجرور ومضاف إليه، خبر مقدم.

بلاء: مبتدا مرفوع مؤخر.

عظيم: صفة للمبتدأ.

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

فرقنا: فعل ماض والضمير في محل الرفع فاعل.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

بكم: جار ومجرور.

البحر: مفعول به منصوب.

فـ: عاطفة.

انجيناكم: فعل ماض والضمير الأول المتصل في محل رفع فاعل والضمير الثاني مفعول به.

و: عاطفة.

اغرقنا: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

آل فرعون: مفعول به منصوب وهو مضاف وفرعون مضاف إليه.

و: حالية.

انتم: مبتدأ مرفوع.

تنظرون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر.

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

واعدنا: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

موسى: مفعول به أول منصوب.

اربعين: مفعول به ثان.

ليلة: تمييز.

ثم: عاطفة.

اتخذتم: فعل ماض مبني على السكون والضمير في محل رفع فاعل.

العجل: مفعول به أول منصوب، والمفعول الثاني محذوف تقديره الها أو معبودا.

من بعده: جار ومجرور ومضاف إليه.

و: حالية.

انتم: مبتدأ مرفوع.

ظالمون: خبر مرفوع.

ثم: عاطفة.

عفونا: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

عنكم: جار ومجرور.

لعلكم: من اخوات إن والضمير اسمها.

تشكرون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل.

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

اتينا: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

موسى مفعول به أول.

الكتاب: مفعول به ثان.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

و: عاطفة.

الفرقان: معطوف على المفعول الثاني.

لعلكم: من أخوات إن والضمير اسمها.

تهتدون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل.

التفسير

)وإذ نجّيناكم من آل فرعون) آل الإنسان كل من ينتمي إليه ويرتبط به ولو عقائديا، ثم إن الآية قالت: (نجّيناكم من آل فرعون) ولم تذكر: (نجّيناكم من فرعون) باعتبار أن الثاني لا يدل إلا على هلاكه شخصيا، بخلاف الأول حيث ان فيه الدلالة الواضحة على انقراض سبيله وطريقته، فيكون نجاة حقيقيا لهم.

)يسومونكم سوء العذاب) وذلك بما ذكرته الآية بعد ذلك (يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) حيث يبقونهن احياء فيتخذونهن اماء وجواري للخدمة والتسرية.

)وفي ذلكم بلاء مّن ربّكم عظيم) الظاهر أن اسم الإشارة متعلق بانجائهم من آل فرعون لا بذبح الابناء واستحياء النساء، وذلك لأنه وإن صح الاختبار والامتحان بكل منهما حيث يصح الامتحان بالخير والشر معا ولا يختص بالأول أو الثاني (ونبلوكم بالشّر والخير فتنة)(١)، (وبلوناهم بالحسنات والسّيئات لعلّهم يرجعون)(٢)، إلا أن الظاهر من الآية الكريمة كون الامتحان بالنعمة لا العذاب، ولعله لكونه أصعب اختبارا من الثاني فإن العبد المعترف بوجود البارئ يحس عند الشدة بخضوعه للاختبار بأدنى تأمل منه، على العكس من احساسه بالرخاء، فإنه قد يغفل تماما عن كون ذلك امتحانا له، بل قد يراه دليلا على قربه من المولى ومكانه السامي لديه، فيكون ذلك سببا في هلاكه ووقوعه في المعاصي.

---

(١)الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢)الاعراف، الآية: ١٦٨.

ولعل في التعبير بـ «ذلكم» بدلا من «هذا» ووصفه بالعظيم إشارة إلى ما ذكرناه، فتأمل ولا تعفل.

)وإذ فرقنا بكم البحر) وفصلنا بين الماء وفلقناه بكم، والباء بمعنى اللام (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون)، وهي نعمة أخرى منّ بها الله على بني إسرائيل، فإن هلاك العدو والانتقام منه نعمة، وكون المظلوم ينظر إلى كيفية معاقبة الظالم والانتقام منه نعمة اخرى لها اثرها البالغ في تسكين لوعة المظلوم وشفاء غليله.

وقيل: إنه الزام لبني اسرائيل بنعمه تبارك وتعالى، فإن من ينظر إلى النعمة والمعجزة بأم عينه ليس كمن يسمع بها.

والأول أقرب، حيث ان الخطاب في هذه الآيات الكريمة إنما هو لبني اسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وهم لم يروا تلكم النعم وانما شاهدها آباؤهم فأضيفت إليهم من باب أن النعمة على الآباء وانقاذهم من أعدائهم فخر وعز لهم ولأولادهم، إذ الابناء كثيا ما يفتخرون بما منح آباؤهم من المواهب والمزايا.

ومن هنا فحيث إن النظر على الرأي الأول نعمة في حق الاباء، صح اسنادها إلى الابناء، وهذا بخلاف الرأى الثاني حيث لا يكون النظر نعمة على الآباء كي تضاف إلى الأبناء.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) فقد اختاه الله تبارك وتعالى واصطفاه لميقاته مقدمة لإنزال التوراة عليه، فهذه الفترة أشبه الأشياء بالدورة التأهيلية والفترة التدريبية، لتحضير النفس بالانقطاع إلى الله وعبادته عبادة خاصة، مقدمة لتحمل اعباء المسؤولية الكبرى ألا وهي الرسالة الإلهية، والقيام بدور المعلم والمرشد الكبير للبشرية، وكيف كان فهذه المواعدة قد تمت في مرحلتين، الاولى ثلاثين ليلة والثانية عشر ليال (وإذ واعدنا موسى ثلاثين ليلة ثمّ أتممناها بعشر فتمّ ميقات ربّه أربعين ليلة)(١.(

---

(١)الأعراف، الآية: ١٤٢.

بقي أن نعرف أن تحديد فترة المواعدة بالليل دون النهار إنما جاء تمشيا مع العرف العربي في الجاهلية، حيث كانوا يحددون الأزمنة بالليل دون النهار، ولعل منشأه أن الليل هو الأصل في التعريف والتحديد بالزمان، فإن النهار يتبع الليل في ذلك -كما لا يخفى- فاليوم الأول من الشهر هو اليوم الذي يرى الهلال في الليلة السابقة عليه.

وهكذا، فاليوم الخامس عشر من الشهر هو اليوم الذي كانت ليلته السابقة عليه هي الليلة الخامسة عشرة من رؤية الهلال وهكذا.

فالنهار في تحديد الزمان تابع لليل لا سيما في الاشهر الهلالية حيث لا يثبت الشهر إلا برؤية الهلال.

)ثمّ اتخذتم العجل) وهكذا فعل بهم السامري حيث أضلهم عن طريقتهم المثلى، ليس بشيء الا بقبضة قبضها من أثر الرسول ثم صنع بها عجلا جسدا له خوار، (وأنتم ظالمون) ومن أظلم ممن اتبع الباطل بعد معرفته للحق، وأي ظلم يكون فوق هذا الظلم (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)(١)، فإنه حرمان للنفس من جميع ما اعد للمتقين من نعم وفضائل، والقاء لها في الرذائل والعذاب الأليم.

)ثمّ عفونا عنكم) من بعد أمركم بقتل أنفسكم (لعلّكم تشكرون) هذه النعمة العظيمة نعمة العفو عنهم والصفح عما اقترفوه من الجريمة.

)وإذ آتينا موسى الكتاب) التوراة (والفرقان) كل ما يفرق به بين الحق والباطل فيكون شاملا لجميع المعاجز التي كانت لموسىعليه السّلام، من اليد البيضاء والعصا وفرق البحر وانقاذهم مع اهلاك آل فرعون وإنزال المائدة من السماء إلى غير ذلك من النعم، حيث إن كل واحد من هذه يصلح لتمييز ذوي العقل والبصيرة للحق عن الباطل وللهدى عن الضلالة (لعلّكم تهتدون) فتتبعون الحق وتتركون الباطل.

---

(١)النحل، الآية: ١١٨.

قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه يقوم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لّكم عند بارئكم فتاب عليكم إنّه هو التّوّاب الرّحيم(٥٤) وإذ قلتم يموسى لن نّؤمن لك حتّى نرى الله جهرة فأخذتمك الصّعقة وأنتم تنظرون(٥٥) ثمّ بعثنكم مّن بعد موتكم لعلّكم تشكرون(٥٦) وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى كلوا من طيّبت ما رزقنكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون(٥٧)(

اللغة

القوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعا، وقيل للرجال خاصة دون النساء، ويستهشد له بقوله تعالى: (يآ أيّها الّذين ءآمنا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا مّنهم ولا نسآء من نّسآء عسى أن يكنّ خيرا مّنهنّ)(١.(

وبقول زهير- :

و ما أدري وسوف أخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء

ذهب إليه الجوهري وقال انه: ربما دخل النساء فيه على سبيل التبع، لأن قوم كل نبي رجال ونساء، وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته.

البارئ: هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان فيقال: برأ الله النسمة وخلق السموات والأرض.

الجهرة: ما ظهر ولم يكن بينهما ستر والمكشوف بلا حجاب.

---

(١)الحجرات، الآية: ١١.

الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد، وقيل: الموت، وقيل العذاب، وقيل المهلك منه.

البعث: اثارة بارك أو قاعد وإحياء الموتى.

الغمام: جمع الغمامة السحاب.

المن: كالطر نجبين قاله الجوهري.

وعن ابن سيده: طل ينزل من السماء، وقيل: هو شبه العسل، وقال الزجاج: ما يمن الله عز وجل به مما لا تعب فيه ولا نصب.

السلوى: طائر أبيض مثل السماني واحدته سلواة.

الإعراب

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

قال: فعل ماض مبني على الفتح.

موسى: فاعل مرفوع.

لقومه: جار ومجرور ومضاف إليه.

يا: حرف نداء.

قوم: منادى.

إنكم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

ظلمتم: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

أنفسكم: مفعول به وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

والجملة الفعلية في محل رفع خبر ان.

باتخاذكم: جار ومجرور ومضاف إليه.

العجل: معمول للمصدر.

فـ: سببية.

توبوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة في محل رفع فاعل.

إلى بارئكم: جار ومجرور ومضاف إليه.

فـ: عاطفة.

اقتلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة في محل رفع فاعل.

أنفسكم: مفعول به منصوب وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

ذلكم: مبتدأ مرفوع.

خير: خبر مرفوع.

لكم: جار ومجرور.

عند: ظرفية وهو مضاف.

بارئكم: مضاف إليه، وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

فـ: عاطفة.

تاب: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

عليكم: جار ومجرور.

انه: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

هو: مبتدأ مرفوع.

التواب: خبر أول.

الرحيم: خبر ثان والجملة في محل رفع خبر.

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

قلتم: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

يا: حرف نداء.

موسى: منادى.

لن: ناصبة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

نؤمن: فعل مضارع منصوب والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

لك: جار ومجرور.

حتى: حرف جر وغاية بمعنى الا.

نرى: فعل مضارع منصوب بأن المقدرة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

الله: لفظ الجلالة مفعول به منصوب.

جهرة: مصدر في موضع الحال.

فـ: سببية.

اخذتكم: فعل ماض والضمير في محل نصب مفعول به مقدم.

الصاعقة: فاعل مرفوع.

و: حالية.

انتم: مبتدأ مرفوع.

تنظرون: فعل مضارع مرفوع والواو في محل رفع فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر.

ثم: عاطفة.

بعثناكم: فعل ماض والضمير المتصل الأول في محل رفع فاعل والضمير الثاني في محل نصب مفعول به.

من بعد: جار ومجرور وهو مضاف.

موتكم: مضاف اليه وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

لعلكم: من الحروف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

تشكرون: فعل مضارع مرفوع والواو ضمير الجماعة فاعل والجملة في محل رفع خبر لعل.

و: عاطفة.

ظللنا: فعل ماضي والضمير في محل الرفع فاعل.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

عليكم: جار ومجرور.

الغمام: مفعول به.

و: عاطفة.

أنزلنا: فعل ماض والضمير في محل رفع فاعل.

عليكم: جار ومجرور.

المن: مفعول به.

و: عاطفة.

السلوى: معطوف على مفعول به.

كلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

من طيبات: جار ومجرور.

ما: اسم موصول في محل جر بالاضافة.

رزقناكم: فعل ماض والضمير المتصل الأول في محل رفع فاعل والضمير الثاني في محل نصب مفعول به«صلة الموصول.«

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

و: استئنافية.

ما: نافى.

ظلمونا: فعل ماض وواو الجماعة فاعل والضمير نا في محل نصب مفعول به.

و: عاطفة.

لكن: مخففة لا تعمل.

كانوا: من الافعال الناقصة والواو اسمها.

أنفسهم: مفعول به مقدم.

يظلمون: فعل مضارع مرفوع وواو الجماعة فاعل والجملة في محل نصب خبر كان.

التفسير

)وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنّكم ظلمتكم أنفسكم باتّخادكم العجل) تكرار التنبيه على الظلم لتأكيد عظم الذنب الذي اقترفوه والوزر الذي حملوه، فإنه أي ظلم أعظم من الشرك بالله العظيم باتخاذ العجل الها (إن الشّرك لظلم عظيم)(١)، لا سيما وإذا كان ذلك بعد ظهور الحق وانكشافه بما رأوه من المعاجز والنعم، بل والاصرار عليه بعد تنبيه الرسول لهم على الخطأ الذي وقعوا فيه والمعصية التي ارتكبوها (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنّما فتنتم به وإنّ ربّكم الرّحمن فاتّبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نَبرح عليه عاكفين حتّى يرجع الينا موسى)(٢.(

فهو ظلم، وأي ظلم هو؟ لكنه ظلم لانفسهم خاصة، إذ لا أحد غيرهم يجني تبعات ما اقترفوه، ولا أحد يخسر الهدى والسعادة إلا هم، فإنهم الذين باعوها بأبخس الاثمان، فتركوا عز الطاعة إلى ذل المعصية، والحرية الى العبودية لحيوان لا يفقه شيئا، بل هو مثل في البلادة والغباوة فيقال: أبلد من ثور، وهل هناك شقاوة بعد هذه؟ و إلا فقد تكرر قوله تعالى (إنّ الله لغني عن العالمين)(٣)، و (قل ما يعبؤابكم ربّي لو لا دعاؤكم)(٤.(نعم كان التكرار على التنبيه بالظلم لذلك، وللتمهيد للتفضل عليهم ببيان قبول التوبة منهم وكيفيتها، تخلصا مما حمّلوا أنفسهم ن الأوزاراً

)فتربوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم) قيل: أمر كل واحد منهم بالانتحار

---

(١)لقمان، الآية: ١٣.

(٢)طه، الآية: ٩٠-٩١.

(٣)العنكبوت، الآية: ٦.

(٤)الفرقان، الآية: ٧٧.

وقتل نفسه.

وقيل: إنهم لم يأمروا بالقتل حقيقة وإنما أمروا بمقدماته كجرح النفس وقطع بعض الأعضاء، كي يبقوا عبرة ونكالا للآخرين.

وقيل: إنهم أمروا بتذليل الأهواء والاستسلام للقتل وتوطين النفس عليه.

والذي يقتضيه ظاهر الآية الكريمة هو الأول، إلا أن النصوص من الفريقين دلّت على الثاني، فلابد من الالتزام به.

والتعبير عن الغير بالنفس إذا كان من أهله أو أصحابه أو ملته أو صنفه- بحيث كان يجمعه وأياه جامع يوجب تفردهم عن الغير وتميزهم عنهم-أمر شائع في الاستعمالات، قال تعالى: (ولا تلزوآ أنفسكم)(١)، و (لقد جآءكم رسول مّن أنفسكم)(٢)، و (فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم تحيّةً مّن عند الله)(٣).

وأمّا القولان الآخران فلا يمكن المساعدة عليهما لمخالفتهما للظاهر وفقدهما للدليل، وما قيل في توجيههما، من أن الأمر بالقتل أو التقتيل واهدار الدم قبيح لا يصدر من الله جل اسمه، باعتبار أنه لا يترتب عليه اي مصلحة لسقوط التكاليف بالموت فلا يكون موجبا لارتداع القوم عن العود إلى ما اقترفوه ثانيا.

مدفوع: بأنه إنما يتم فيما إذا لم يكن ذلك موجبا لحط ذنوبهم وغفران معصيهم، وإلا فهو عين المصلحة لهم، بل وأي مصلحة فوق هذه، فإن الحياة الدنيوية زائلة لا محالة، فيا حبذا أن يكون زوالها موجبا للسعادة في الحياة

---

(١)الحجرات، الآية: ١١.

(٢)التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣)النور، الآية: ٦١.

الأبدية الخالدة، وإلا يكون خاسرا للدارين و (ذلك هو الخسران المبين)(١.(

على أنه يكفي في المصلحة أن يكونوا نكالا وعبر لغيرهم كما هو الحال في موارد ثبوت القصاص والحد، فطن الجاني يقتل من دون أن يكون ذلك ملازما لغفران ذنبه دائما، بل قد يكون كذلك كما لو تاب عن ذنبه توبة نصوحا وتفضل الله عليه بقبولها، وقد لا يكون، فيكون من الذين خسروا الدنيا والآخرة.

بقي علينا أن نعرف أن التعبير عن الذات المقدسة بالبارئ في الآية الكريمة إنما هو محاولة بيانية رائعة لا قناع المدنبين بكون القتل خيرا لهم، فإن التفات المأمور إلى كون الأمر صادرا من الذي برأه وخلقه وأحب وجوده وفرض على نفسه العدل وحب الخير للمخلوق الضعيف، مما يقنعه بكون الفعل مصلحة له ومن ثمّ يسهل عليه الامتثال، فإن المأمور اذا أحس بكون المأمور به في مصلحته ولو من جهة صدوره ممن لا يتصور في حقه قصد الإضرار به، سهل عليه الاتيان به مهما كان شاقا وصعبا بحسب الظاهر.

ثم إن المأمورين بالقتل خصوص الذين اتخذوا العجل الها، وإنما نسب الخطاب إلى قوم موسى على نحو الإطلاق (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم)، لكونهم أمة واحدة يجمعها انتماء واحد، ونظائر هذا الاستعمال في الاستعمالات العرفية كثيرة.

ومما يشهد لما ذكرناه في الاختصاص قوله تعالى: (انّكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) فإنه خير شاهد على اختصاص الظلم بالذين اتخذوا العجل الها.

)ذلكم خير لكم عند بارئكم) وأي خير هو أعظم من تفضله تبارك وتعالى على عبده بقبول توبته ومحو ذنبه الموجب لخلاصه من العذاب الأليم.

)فتاب عليكم) بعد امتثالكم للأمر ولو بالتصدي له حقيقة بالقياس إلى

---

(١)الزمر، الآية: ١٥.

الذين أمروا بالكف (إنّه هو التوّاب الرّحيم.(

)وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اكثر المفسرين على أنها واردة في السبعين الذين اختارهم موسى من قومه لميقات ربه، كي يقدموا إليه توبتهم عما اقترفوه من عبادة العجل، فإنهم وبعد أن سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى: (لن نؤمن لك حتئى نرى الله جهرة) فعادوا إلى الكفر ثانيا من بعد إيمانهم وتوبتهم عن اتخاذهم العجل.

وقد ذهب بعضهم إلى أن الخروج إلى الميقات إنما كان بعد الأمر بالقتل وقبل نزول التوبة.

وقال ثالث: إنه لا دليل على ترجيح أحد الوجهين على الأخر.

أقول: بالنظر إلى سياق الآيات الواردة في بيان هذه الواقعة، وترتيبها في سورة الاعراف، لا يبعد دعوى الظهور في القول الأول.

قال تعالى: (واتّخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا لّه خوار ألم يرو أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين* ولمّا سقط في أيديهم ورأوا أنّهم قد ضلّوا قالوا لئن لّم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكوننّ من الخاسرين * و لمّا رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربّكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه قال ابن أمّ انّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظّالمين * قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الرّاحمين * إنّ الذين اتّخذوا العجل سينالهم غضب من رّبهم وذلّة في الحيوة الدّنيا وكذلك نجزي المفترين * و الّذين عملوا السّيئات ثمّ تابوا من بعدها وآمنوا إنّ ربّك من بعدها لغفور رحيم * و لمّا سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون * و اختار موسى)

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

(قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرّجفة قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي)(١.(

فإن ظاهر هذه الآيت الكريمة أن اختيار السبعين لميقات الله عز وجل انما كان بعد سكوت الغضب عن موسى نتيجة لاتخذ القوم العجل ونزول الغضب عليهم ثم غفران الله تبارك وتعالى لهم (والذين عملوا السيّئات ثمّ تابوا...)(٢.(

نعم، قد يظهر من قوله تعالى: (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السّماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم ثم اتّخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مّبينا)(٣.(

أنه إنما كان قبل اتخاذهم العجل وذلك للعطف عليه بـ «ثم» الظاهرة في الترتيب بالانفصال.

إلا ان الظاهر أنها غير مستعملة في المقام في ذلك، وإنما هي متعملة في صرف العطف.

وقد أجاز ذلك بعض أهل العربية -على ما نقله ابن هشام في مغنيه- وتشهد له بعض الاستعمالات العرفية حيث تستعمل «ثم» في مقام بيان الإشكالات الواردة على المطلب الواحد من غير أن يراد الترتيب بينها بان يكون الإشكال السابق مقدما بحسب الرتبة على اللاحق، بل قد يكون بالعكس من ذلك تماما، فتكون «ثم» في هذه المقامات بمنزلة قولنا «مضافا» لا غير.

ومنه قوله تعالى: (ثمّ افيضوا من حيث أفاض النّاس)(٤)، على ما

---

(١)الاعراف، الآية: ١٤٨-١٥٥.

(٢)الأعراف، الآية: ١٥٣.

(٣)النساء، الآية: ١٥٣.

(٤)البقرة: الآية: ١٩٩.

سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وأوضح منه في إرادة العطف خاصة قوله تعالى: (وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)(١.(

ومما يشهد لهذا الجمع قوله تعالى: (وما أعجلك عن قومك يا موسى* قال هم اولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى * قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السّامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربّكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من رّبكم فأخلفتم مّوعدي * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنّا خحمّلّنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامريّ * فأخرج لهم عجلا جسدا لّه خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى) الآية(٢.(

فإنها ظاهرة بل صريحد في تقدم الميقات الانفرادي لموسى عليه السّلام عن الميقات الثاني -الجماعي- الذي كان فيه مع السبعين من أصحابه، والذي طالبوه فيه برؤيتهم لله تبارك وتعالى، على ما يقتضيه قوله تعالى: (وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى.(

كما وإنها صريحة في اتخاذ القوم للعجل في فترة الميقات الانفرادي على ما يقتضيه قوله عزّ وجلّ (قال فإنّا قد فتنّا قومك من بعدك وأضلّهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا..)(٣)، وقوله تعالى: (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثمّ اتّخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)(٤) فلاحظ.

ثم هل أن قضية سؤال قوم موسى لرؤية الله عز وجل متحدة مع قضية

---

(١)طه، الآية: ٨٢.

(٢)طه، الآية: ٨٣-٨٨.

(٣)طه، الآية: ٨٥.

(٤)البقرة، الآية: ٥١.

سؤاله عليه السّلام لذلك (قال ربّ أرني أنظر اليك)(١)، بحيث كان موسى عليه السّلام في سؤاله ناطقا ولسانا لجماعته، أم هما قضيتان مختلفتان في واقعتين مختلفتين؟

الظاهر هو الثاني وأن سؤاله عليه السّلام لذلك كان في ميقاته الأول -الانفرادي- في حين أن سؤالهم له كان في الميقات الثاني، ومزيد التوضيح يأتي عند التعرض للآية الكريمة في سورة الاعراف إن شاء الله تعالى.

وكيف كان: فهذا الطلب بحدّ ذاته يعد من أبشع أنواع الجحود والعصيان، لا سيما وإذا كان ذلك بعد ظهور المعاجز والبينات القطعية على وجوده تبارك وتعالى وثبوت نبوة الرسول، ويمكن أن يستهشد لذلك بقوله تعالى: (أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وم يتبدلّ الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السّبيل)(٢).

وقوله تعالى: (يسئلك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتابا من السّماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم)(٣).

فإن الذي يظهر من الاستنكار في الأولى خصوصا بعد تعقيبه بقوله (ومن يتبدّل الكفر بالايمان)، وجعله أكبر مما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم في الثانية مع أخذهم بالصاعقة لظلمهم، أن لهذا الطلب خصوصية تجعله من المعاصي الكبار بل ومن تبديل الإيمان بالكفر فلاحظ.

)فأخذتكم الصّاعقة) قيل: إنها الموت، وقيل: إنها النار النازلة من السماء، (وأنتم تنظرون) وترون ما يحل بكم من العذاب جزاءا لما فعلتموه.

)ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون) في تفسير البرهان عن

---

(١)الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢)البقرة، الأى: ١٠٨.

(٣)النساء، الآية: ١٥٣.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

علي بن محمد بن الجهم في حديث طويل سمعه عن الرضا علي بن موسى عليهم السّلام انه قال: «فقالوا لن نؤمن لك بان الذي سمعناه كلام الله (حتّى نرى الله جهرة) فلما قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا وعتوا، بعث الله عليهم صاعقة فاخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبني اسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم كتم صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله عزّ وجلّ إياك، فاحياهم الله وبعثهم بعد»(١.(

أقول: وبمضمون هذا الحديث أحاديث أخر فراجع تعرف.

)وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسّلوى) في تفسير القمي: «إن بني اسرائيل لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة فقالوا: يا موسى اهلكتنا واخرجتنا من العمرن إلى مفازة لا ظل ولا شجر ولا ماء، وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المن فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشي يأتيهم طائر مشوي فيقع على موائدهم»(٢.(

)كلوا من طيّبات ما رزقناكم) تفضلا منّا عليكم (وما ظلمونا) بكفرهم وعصيانهم (فانّ الله لغني عن العالمين) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث لا خاسر في القضية إلا هم.

وروى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السّلام في قوله تعالى: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) قال: «إن الله أعز وأمنع من أن يظلم أو ينسب بنفسه إلى الظلم، ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته، ثم انزل الله بذلك قرآنا على نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: (وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) »قلت: هذا تنزيل؟ قال: «نعم»(٣.(

---

(١)البرهان: ١/١٠٠/٢.

(٢)تفسير القمي ١/٤٨.

(٣)البرهان: ١/١٠٢/٦.

وروى زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «سألته عن قول الله عز وجل: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) قال: «إن الله أعزّ وأجلّ وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول: (إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا)(١) يعني الأئمة منا، ثم قال: قال في موضع آخر: (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) »ثم ذكر مثله.

---

(١)المائدة، الآية: ٥٥.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطة نّغفر لكم خطيكم وسنزيد المحسنين(٥٨) فبدّل الّذين ظلموا قولا غير الّذى قيل لهم فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزا من السّماء بما كانوا يفسقون(٥٩) وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بّعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كلّ أناس مّشربهم كلوا واشربوا من رّزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين(٦٠) وإذ قلتم يموسى لن نّصبر على طعام وحد فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها وقثّائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الّذى هو أدنى بالّذى هو خير اهبطوا مصرا فإنّ لكم مّا سألتم وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة وبآء وبغضب مّن الله ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بايت الله ويقتلون النّبيّن بغير الحقّ ذلك بما عصوا وّ كانوا يعتدون(٦١) إنّ الّذين ءامنوا والّذين هادوا والنّصرى والصّبئين من ءامن بالله واليوم الأخر وعمل صلحا فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٦٢)(

اللغة

القرية: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وتطلق على أهلها على اتساع الكلام والاختصار.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الحطة: الحط إنزال الشيء من العلو، والحطة قول الصواب أو طلب حط الذنوب.

الخطيئة: الذنب على عمد.

الرجز: القذر والعذاب.

العثو: المبالغة في الفساد أو الكبر أو الكفر.

البقل: ما لا ينبت أصله وفرعه في الشتاء.

القثاء: الخيار، ولاواحد قثاءة.

الفوم: الحنطة وقيل الثوم.

العدس: من الحبوب المعروفة ويقال له العلس والبلس.

الضرب: إيقاع شيء على شيء.

الذلة: الهوان وضدها العز.

المسكنة: اسم من المسكين بمعنى الفقر والذل والضعف.

باء: رجع.

العصيان: الخروج عن الطاعة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الاعراب

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

قلنا: فعل ماضى مبني على السكون والضمير المتصل فاعل.

ادخلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

هذه: مفعول به.

القرية: بدل أو نعت لهذه.

فـ: عاطفة.

كلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

منها: جار ومجرور.

حيث: ظرفية مبنية على الضم.

شئتم: فعل ماض والضمير المتصل فاعل.

رغدا: منصوب على النعتية لمصدر محذوف تقديره أكلا رغدا.

و: عاطفة

ادخلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

الباب: مفعول به.

سجدا: حال من المضمر في ادخلوا.

و: عاطفة.

قولوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

حطة: خبر لمبتدأ محذوف تقديره سؤالنا أو رغبتنا.

نغفر: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

لكم: جار ومجرور.

خطاياكم: مفعول به والضمير المتصل مضاف إليه.

و: عاطفة.

سنزيد: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

المحسنين: مفعول به منصوب.

فـ: تعليلة.

بدّل: فعل ماض مبني على الفتح.

الذين: فاعل.

ظلموا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل

(صلة الموصول.(

قولا: مفعول به.

غير: صفة القول، مضاف.

الذي، اسم موصول مضاف إليه.

قيل: فعل ماض مبني للمجهول.

لهم: جار ومجرور.

فـ: عاطفة.

انزلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير المتصل فاعل.

على الذين: جار ومجرور.

ظلموا: فعل ماض مبني على الضم والواو ضمير الجماعة فاعل.

رجزا: مفعول به.

من السماء: جار ومجرور.

بما: جار ومجرور.

كانوا: من الافعال الناقصة وواو الجماعة اسمها.

يفسقون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل (الجملة خبر لكان.(

و: عاطفة.

إذ: ظرفية.

استسقى: فعل ماض مبني على الفتح.

موسى: فاعل.

لقومه: جار ومجرور ومضاف إليه.

فـ: عاطفة.

قلنا: فعل ماض مبني على السكون والضمير فاعل.

اضرب: فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

بعصاك: جار ومجرور ومضاف إليه.

الحجر: مفعول به.

ف: تعليلية.

انفجرت: فعل ماض مبني على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الاعراب.

منه: جار ومجرور.

اثنتا عشرة: فاعل.

عينا: تمييز منصوب.

قد: حرف يفيد التحقيق.

علم: فعل ماض مبني على الفتح.

كل: فاعل وهو مضاف.

اناس: مضاف إليه.

مشربهم: مفعول به والضمير مضاف إليه.

كلوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

و: حرف عطف.

اشربوا: فعل أمر والواو ضمير الجماعة فاعل.

من رزق الله: جار ومجرور ومضاف إليه.

و: عاطفة.

لا: ناهية.

تعثوا: فعل مضارع مجزوم والفاعل واو الجماعة.

في الأرض: جار ومجرور.

مفسدين: حال.

و: عاطفة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

إذ: ظرفية.

قلتم: فعل ماض مبني على السكون والضمير المتصل فاعل.

يا موسى: حرف نداء ومنادى.

لن: من ادوات النصب.

نصبر: فعل مضارع منصوب والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن.

على طعام: جار ومجرور.

واحد: صفة.

ف: تعليلية.

ادع: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

لنا: جار ومجرور.

ربك: مفعول به والضمير مضاف إليه.

يخرج: فعل مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (ومفعول الفعل محذوف أيضا تقديره مأكولا.(

لنا: جار ومجرور.

مما: جار ومجرور أيضا.

تنبت: فعل مضارع مرفوع.

الأرض: فاعل.

من بقلها: جار ومجرور ومضاف إليه، (بدل مما تنبت(

وقثائها: عطف على بقلها (بدل مما تنبت.(

وفومها: عطف على بقلها (بدل مما تنبت.(

وعدسها: عطف على بقلها (بدل مما تنبت.(

وبصلها: عطف على بقلها (بدل مما تنبت.(

قال: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

أ: استفهامية استنكارية.

تستبدلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو ضمير الجماعة فاعل.

الذي: مفعول به.

هو: مبتدأ.

أدنى: خبر (الجملة صلة الموصول.(

بالذي: جار ومجرور.

هو: مبتدا.

خير: خبر (الجملة صلة الموصول.(

اهبطوا: فعل أمر والواو ضمير الجامعة فاعل.

مصرا: مفعول به منصوب.

فـ: تفريعية.

ان: من الحروف المشبهة بالفعل.

لكم: جار ومجرور، خبر إن مقدم.

ما: اسم (إن) مؤخر.

سألتم: فعل ماض مبني على السكون والضمير المتصل فاعل (صلة الموصول.(

و: استئنافية.

ضربت: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: تاء التأنيث الساكنة

عليهم: جار ومجرور.

الذلة: نائب فاعل مرفوع.

والمسكنة: معطوف على الذلة.

و: عاطفة.

باؤوا: فعل ماض مبني على الضم، والواو ضمير الجماعة فاعل.

بغضب: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

من الله: جار ومجرور.

ذلك: اسم اشارة مبتدأ.

بانهم: الباء حرف جر وأن حرف مشبه بالفعل والضمير اسمها.

كانوا: فعل ماض ناقص والواو اسمها.

يكفرون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، والجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر أن.

بآيات: جار ومجرور وهو مضاف.

الله: لفظ الجلالة مضاف اليه.

و: عاطفة.

يقتلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

النبيين: مفعول به منصوب بالياء.

بغير الحق: جار ومجرور ومضاف إليه.

ذلك: اسم اشارة مبتدأ.

بما: الباء حرف جر وما مصدرية.

عصوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

و: عاطفة.

كانوا: فعل ماض ناقص والواو اسمها.

يعتدون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب خبر كان.

ان: حرف مشبه بالفعل.

الذين: اسم موصول مبني في محل نصب اسمها.

آمنوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

والذين: معطوف على الذين.

هادوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

مؤسسة الخوئي
Al-Khoei Institute

والنصارى: معطوف على الذين.

والصائبين: معطوف على الذين.

من: اسم موصول بدل من اسم ان.

آمن: فعل ماض مبني على الفتح.

بالله: لفظ الجلالة جار ومجرور.

واليوم: معطوف على لفظ الجلالة.

الاخر: صفة إلى اليوم مجرور.

و: عاطفة.

عمل: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

صالحا: مفعول به منصوب.

فـ: زائدة.

لهم: جار ومجرور خبر مقدم.

اجرهم: مبتدأ مرفوع هو مضاف والضمير مضاف اليه.

عند: ظرف وهو مضاف.

ربهم: مضاف اليه وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

و: عاطفة.

لا نافية مهملة.

خوف: مبتدأ مرفوع.

عليهم: جار ومجرور في محل رفع خبر.

و: عاطفة.

لا: زائدة لتأكيد النفي.

هم: ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ.

يحزنون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

)وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) في تعيينها أقوال للمفسرين تناهز العشرة، أشهرها أنها بيت المقدس، ولعل -والله العالم- أن الآية الكريمة تشير إلى ما جاء في قوله تعالى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسه الّتي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين)(١)، (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) هنيئا مريئا من فضل الله ورحمته عليكم.

)وادخلوا الباب) قيل باب بيت المقدس.

وقيل: إنها كناية عن الدخول في الطاعة والانقياد، (سجّدا) خضعا خشعا حيث إن معنى السجود هو الخضوع والخشوع والتذلل.

وقيل: ركعا لا متناع إرادة السجود المصطلح نظرا لعدم إمكان الدخول معه.

وفيه: أنه يمكن إرادة السجود فور دخولهم الباب، فإنه معنى عرفي قريب يصح حمل اللفظ عليه.

)وقولوا حطة) أي اطلبوا حط الذنوب واستغفروا مما اقترفتموه من المعاصي والآثام من غير أن تكون للفظ خصوصية، كما تشهد له جملة من الروايات المروية عن أئمة الهدى عليهم السّلام، والدالة على أنهم عليهم السلام: «باب حطتنا» (نغفر لكم خطاياكم) (ومن يغفر الذنوب الاّ الله)(٢).(

)وسنزيد المحسنين) (لهم مّا يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين)(٣).(

---

(١)المائدة، الآية: ٢١.

(٢)آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٣)الزمر، الآية: ٣٤.

(فبدّل الذين ظلموا) أنفسهم بعصيانهم وفعلهم ما لم يكن لهم فعله وخروجهم عن الطاعة (قولا غير الذي قيل لهم) فلم يفعلوا ما امروا بل (قالوا يا موسى إنّ فيها قوما جبّارين وإنّا لن نّدخلها حتّى يخرجوا منها)(١)، و (قالوا يا موسى إنّا لن نّدخلها أبدا مّا داموا فيها فاذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون)(٢).

وقيل: إنهم قالوا: «حنطة» بدل «حطة»، وقيل غير ذلك.

)فأنزلنا على الّذين ظلموا رجزا من السّماء بما كانوا يفسقون) قيل: إنه الطاعون، وإنه أخذ منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرين الفا، وقيل: إنه مطلق الغضب والعذاب وضروب البلاء الذي نزل بساحتهم.

ولا يبعد أن يكون من جملتها حرمانهم من دخول القرية وتيههم في الأرض (قال فإنّها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)(٣).

نعم، في تفسير البرهان عن العسكري عليه السّلام ما يدل على تأخر الأمر بدخول القرية عن التيه أربعين عاما(٤).

)وإذ استسقى موسى لقومه) في تيههم-على ما ادعي الإجماع عليه في كلمات بعض المفسرين-بعد امتناعهم من دخول القرية، وشكواهم العطش إليه.

)وأوحينا إلى موسى إذ استسقه قومه ان اضرب بعصاك الحجر)(٥).

)فقلنا اضرب بعصاك الحجر) قيل إن الالف واللام عهدية فكان الأمر متعلقا بضرب الحجر المعين.

---

(١)المائدة، الآية: ٢٢.

(٢)المائدة، الآية: ٢٤.

(٣)المائدة، الآية: ٢٦.

(٤)البرهان ١٠٢/١.

(٥)الاعراف، الآية: ١٦٠.

وقيل: إنها للجنس وان الماء كان يتفجر من كل حجر يضربه موسى عليه السّلام بعصاه. والثاني وإن كان أبلغ في الاعجاز، وأظهر للقدرة اللامتناهية، إلا أن ف بعض النصوص ما يرشد إلى الأول.

)فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) قيل: إن الانفجار أوسع من الانجلس الذي ورود في قوله تعالى: (فانبجست منه اثنتا عشرة عينا)(١) و إن الانفجار يكون مسبوقا بالانبجاس دون العكس، وقيل هما بمعنى واحد، حكي عن الهروي وغيره.

)قد علم كل أناس مَشربهم) لأن العيون كانت على عدد الاسباط (وقطّعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كلّ أناس مَشربهم)(٢.(

والمراد بالاسباط القبائل من بني اسرائيل، وقيل: إن تقسيمهم إلى اثني عشر سبطا كان على حسب انتمائهم إلى أولاد يعقوب عليه السّلام الاثني عشر.

)كلوا واشربوا من رزق الله) الذي رزقكم من المن والسلوى الذي انزله من السماء، والماء الذي اخرجه من الحجر.

)ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي لا تتمادوا في غيكم وكفركم وعصيانكم لأوامر الله عز وجل ونواهيه مفسدين.

وقد كرر المعنى تأكيدا وزيادة في الإيقاظ والتحذير مع اختلاف اللفظ، عسى أن ينفع ذلك لقوم عاندوا الحق بعد وضوحه واتبعوا غيّهم إلى حدّ لم يعهد لهم نظير في سائر الامم.

---

(١)الاعراف، الأية: ١٦٠.

(٢)الاعراف، الأية: ١٦٠.

ايقاظ:

لا أظن أن من الخفي على أحد تضمن الكتاب العزيز -في نقله لقصص الأنبياء عليهم السّلام ووقائعهم- لجملة من المعاجز التكوينية الخارقة للعادة، بحيث تكون خارجة عن مقتضيات القواعد الطبيعية ومجاري الامور الاعتيادية.

فإن ذلك مما يكاد -بل هو كذلك بالفعل- أن يكون من الضرورات القرآنية، بل ومن المسلّمات عند المسلمين قاطبة بل وأهل سار الأديان أيضا، فإن معاجز جميع الأنبياء عليهم السّلام-عدا نبينا صلى الله عليه وسلم الذي كانت معجزته الخالدة الكتاب العزيز- لتنحصر في الامور التكوينية الخارقة للعادة، كالسفينة لنوح عليه السّلام وغرق الأرض، وانفلاق البحر واليد البيضاء والعصا لموسى عليه السّلام، وإحياء الموتى لعيسى عليه السّلام إلى غير ذلك من المعاجز لهم ولغيرهم من الانبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين.

ولا غرابة في شيء من ذلك، لاحتياج كل نبي في إثبات دعواه واتصاله بعالم الغيب غير المحسوس إلى أمور تعجز عنها البشرية لتحملهم على الاعتراف به والتسليم له وإلا لما أمكن التشخيص بين الصادق والكاذب والرسول والمحتال.

وليس شيء من ذلك على الله بعزيز فانه على كل شيء قدير، وعلة العلل يتحكم فيما خلقه كيف ما يشاء.

ومن الواضح أن هذا لا ينافي جريان المشيئة الألهية والإرادة الربانية على إجراء الأمور وفق النظم التكوينية والقواعد الطبيعية، فإن ذلك إنما هو بحسب الطبع الأولي للقضية، وهو لا يعني عدم الخروج عنها في قضايا معدودة محدودة بالغة الأهمية إلى حدّ لا يمكنه دركه كإثبات الرسالة التي يرتبط بها مصير البشرية وانقاذهم من التيه والضلالة.

ولا اعتقد أن ذلك مما يخفى على ذي مسكة ممن القى السمع وهو شهيد، كي يحتاج إلى التنبيه عليه فضلا عن اثباته والبرهنة عليه.

والذي دعاني إلى التعرض له والتنبيه عليه ما وجدته في كتب بعض القاصرين الجاهلين أو المتجاهلين، حيث انكر وقوع المعاجز التكوينية بالمرة، مما ألجأه إلى حمل الآيات الكريمة المتضمنة لتلك الوقائع على محامل سخيفة وهزيلة يأباها العقل السليم، مدعيا لنفسه في ذلك التحقيق وتنزيه الكتاب العزيز مما نسب له جمهور علماء المسلمين تبعا لليهود والنصارى من حكايات وخرافات!!!

حتى زعم أن معنى قوله تعالى: (فاضرب بعصاك الحجر) هو الأمر بالمشي في الأرض والبحث عن الماء، مدعيا أن الانفجار المدخول لفاء التفريع يجيء بمعنى الوجود والعثور(١)، إلى غير ذلك من الأباطيل.

ولعمري أن هذه الدسائس الاستعمارية وغيرها مما قام به عملاء مأجورون ممن باع نفسه للأجنبي وآخرته بدنياه، تقربا إلى أسيادهم، وتضعيفا للمسلمين بنثر بذور الشك والفتنة بينهم، لهي أفضح من أن تحتاج إلى التصدي لبيان وهنها وانحطاطها، ولذا فقد تركت التعليق عليها.

وسيبقى القرآن-رغم انوفهم (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)(٢)، (إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون)(٣).

)وإذ قلتم) بعد أن أنزل الله من السماء المن والسلوى (وظلّلنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المنّ والسّلوى)(٤).

---

(١)تفسير القرآن، للسيد أحمد خان الهندي ترجمة محمد تقي فخر داعي گيلاني ص ٨٦ -١٠٣ باختصار.

(٢)البقرة، الآية: ٢.

(٣)الحجر، الآية: ٩.

(٤)البقرة، الآية: ٥٧.

(يا موسى لن نَصبر على طعام واحد) وهو المن والسلوى.

والوحدة إنما هي بلحاظ عدم التغير والتبدل في لون الطعام بحيث يكون المأكول في كل يوم هو مثله في اليوم السابق فلا ينافي تعدده في نفسه، ولذا يقال: لا ى.

كل فلان إلا طعاما واحدا، ويراد به مواظبته على نحو معين من الطعام كيفا بحيث لا يتغير ولا يتبدل وإن كان في الحقيقة متعددا كما لو واظب على اكل الخبز واللحم والخضروات فقط في كل يوم.

وقيل: إن المراد بالطعام الواحد هو خصوص السلوى، إذ المن -وكما عفت في محله- نوع من الحلوى يشبه العسل أو طل من السماء، وهو لا يعدّ طعاما.

)فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من بقلها) ما لا ينبت في الشتاء (وقثائها) الخيار (وفومها) قيل هو الثوم، وقيل: هو الخبز، فيقال: فوموا أي اخبزوا، وقيل هو الحنطة وهو مختار ابن عباس وجماعة، ورواه القمي في تفسيره.

)وعدسها وبصلها) العدس هو العلس وهو الحب المعروف.

ثم إن طلبهم لهذه الامور بالذات انما كان بلحاظ كونهم فلاحة قد الفوها زراعة واكلا، وحيث إنهم فقدوها فترة فقد اشتهوها واشتاقت أنفسهم إليها، وإلا فليس لكثير منها فضل عن سائر ما تنبته الأرض.

)قال أتستبدلون الّذي هو أدنى) الدناءة إما بلحاظ كون المن والسلوى أكلا تفضل به الله تبارك وتعالى، وما طلبوه مما تنبته الأرض، وليس الثاني كالأول من حيث البركة والفضل، أو بلحاظ أن الأول لا تعب فيه ولا نصب حيث كان ينزل عليهم من السماء، وما تنبته الأرض يحتاج إلى العمل وبذل مزى الجهد، أو بلحاظ دناءة ما طلبوه بحد ذاته بالقياس طلى المن والسلوى حتى مع غض النر عن كون الثاني منزلا من السماء (بالذي هو خير) المن والسلوى

النازلين من السماء.

ثم إن المفسرين قد اختلفوا في ارتكاب قوم موسى عليه السّلام للمعصية بسؤالهم أن يدعو ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض وعدمه، فمنهم من ذهب إلى الأول واستشهد لمدعاه بإنكاره عليه السّلام عليهم باستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ومنهم من ذهب إلى الثاني مجيبا عن الحجة السابقة بأن الإنكار قد يكون بلحاظ تفويت الأنفع لهم.

أقول: ملاحظة ورود هذه الآية في سياق الآيات الكريمة التي تضمنت قصة بني إسرائيل مع موسى عليه السّلام، وورودها في مقام بيان كفرانهم لأنعمه تبارك وتعالى، ومقابلة أفضاله والائه بالكفر والعصيان، ومخالفة نبيّه تساعد على القول الأول.

ويؤيد ذلك قوله عز اسمه بعد ذلك: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة)، فإنه وإن أمكن أن يقال بأن الذلة والمسكنة لم يكونا نتيجة لعصيانهم وجزاء على فعلهم وسؤالهم، وإنما كانا نتيجة قهرية لتركهم مائدة السماء التي كانت تنزل عليهم من غير تعب ولا جهد ويأكلون منها رغدا هنيئا، وطلبهم مما تنبت الأرض المستتبع للذلة والمسكنة قهرا، بلحاظ استلزام اخراجه من الأرض لبذل الجهد الكثير والعمل الدؤوب واحتياج بعضهم إلى بعضهم الآخر في قوته ورزقه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

إلا أنه بعيد جدا بالقياس إلى المعنى الآخر، أعني كونهما جزاء لعصيانهم، لا سيمابملاحظة قوله تعالى: (وضربت عليهم)، فإنه بمعنى الفرض عليهم، وهو ينسجم مع الجزاء دون كونه نتيجة طبيعية للتبديل كما هو واضح.

كما ويدل على المختار قوله تعالى: (وباؤ بغضب من الله) حيث إنه واضح الدلالة على العصيان وارتكاب المحرم.

نعم بناء على القول بكون الواو في قوله تعالى: (وضربت عليهم الذلّة*

(...) استئنافية -كما هو مذهب بعض أصحابنا- تكون الآية الكريمة أجنبية عن محل البحث ولا تصلح للاستدلال على المطلوب نفيا أو اثباتا.

)اهبطوا مصرا) قرأه بعضهم من غير تنوين وادعى أنها كانت مصر معينة وهي مصر فرعون، لكن الأكث على كونها نكرة وأن المراد بها مصرا من الأمصار من غير تحديد، ويكون المعنى: ادخلوا مصرا من الامصار.

)فإن لكم مَا سألتم) احتمل فيه وجهان: استجابة الله عز وجل لهم واعطاؤهم ما سألوه، وعدمها، وكون الجملة إخبارا عن وجود ما سألوه في الأمصار دون البوادي، وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة: أن الله تبارك وتعالى رفض طلب القوم مجيبا إياهم بأن ما سألتم إنما يكون لكم إذا دخلتم الأمصار وإلا فهو غير موجود في البوادي، وبهذا القول قال بعض من التزم بمعصية القوم بسؤالهم ذلك، حيث استدل عليه بعدم استجابة الله تعالى لهم ما سألوه.

أقول: لا يخفى ما في هذا القول من تكلف وعناء ومخالفة لظاهر اللفظ، فإن الآية الكريمة ولا سيما بملاحظة قوله تعالى: (لكم) الظاهر بالفعلية، ظاهرة بل تكاد تكون كالصريحة في استجابته عزّ وجلّ لهم وتحقيق طلبهم.

وبذلك فيكون معنى الآية الكريمة: أن الله تبارك وتعالى أمرهم بدخول المدينة ليحصلوا على ما طلبوه، وبين هذا وما ذكره البعض مستشهدا على رفض طلب القوم، فرق واضح.

)وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أكثر المفسرين على أن الواو عاطفة، وذهب بعض أصحابنا على أنها استئنافية، وأن مدخولها راجع إلى الذين اعتدوا في السبت، ولم أجد شاهدا على ذلك، بل في التفسير المنسوب إلى العسكري عليه السّلام ما يظهر منه خلافه.

وكيف كان فمعنى الاية الكريمة أنه احاطتهم الذلة والمسكنة وفرضت عليهم ذلك، كضرب الخباء في الأرض الموجب للإحاطة.

معهد الخوئي
Al Khoei Institute

والذلة والمسكنة، قيل: إنهما الجزية المفروضة على اليهود، وقيل: هي مع الخراج، وقيل: رفع المنعة عنهم وجعلهم مستعمرين -بالفتح- وقيل: دوام الاحتياج والتعب.

والأقرب أنهما بمعنى دناءة النفس وحقارتها المستتبع للاحساس بالاحتياج والنقص.

)وباؤ بغضب من الله) أي استوجبوا غضبا ورجعوا به.

)ذلك بانّهم كانوا يكفرون بايات الله)، وينكرونها عنادا من بعد ما رأوها وعقلوها.

)ويقتلون النبيين بغير الحق) بالاستخفاف والاستهزاء بهم.

وتنقيص شأنهم فضلا عن عدم الإيمان بهم المؤدي إلى قتلهم، أو بالرضا بفعل السابقين المباشرين للقتل أو المسببين له، كما يشهد له قوله تعالى: (الذين قالوا إنّ الله عهد الينآ ألا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النّار قل قد جآءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قتلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين)(١.(

حيث إن من الواضح أن الذين طلبوا قربانا تأكله النار المعاصرين لعصر الرسول الكريم لم يكونوا يباشرون قتل الأنبياء السابقين، لعدم دركهم لهم زمانا.

وتدل عليه صحيحة اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السّلام في قوله تعالى: (ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وّكانوا يعتدون) قال: «والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكن سمعوا احاديثهم فاذاعوها، فأخذوا عليها وصار قتلا واعتداء ومعصية»(٢.(

)ذلك بما عصوا) الأوامر وخالفوا الأنبياء (وكانوا يعتدون) أي يتجاوزون حدودهم.

---

(١)آل عمران، الآية: ١٨٣.

(٢)الكافي:..

(أنّ الذين آمنوا)، قيل: المراد به الذين آمنت السنتهم ولم تؤمن قلوبهم وهم المنافقون، كما يظهر من قرنهم باليهود والنصارى والصابئين، وقيل: الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه واله إيمانا حقيقيا.

وقيل: الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السّلام إيمانا حقيقيا في قبال الذين خلطوا أباطيل بدينهم، وادعوا أنهم يهود أو نصارى.

وقيل: إن هذه الجملة إنما هي بلحاظ الإيمان السابق -مرحلة الحدوث- في قبال قوله تعالى (من آمن)، الذي هو بلحاظ الاستمرار والثبوت على الإيمان.

وقيل: هم الحنيفيون، الذين كانوا ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه واله كأبي ذر وسلمان، وقيل: هم المؤمنون التقليديون المتسمون بالأيمان خاصة من دون العمل على وفق مقتضاه.

وقيل: هم من اتخذ الدين القيم ومن غير اختصاص بالمؤمنين بالرسول الكريم صلى الله عليه واله أو موسى عليه السّلام أو عيسى عليه السّلام.

وعلى هذا فذكر اليهود والنصارى والصابئين بعده تخصيص بعد التعميم وتفصيل بعد الإجمال.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)والذين هادوا) وهم اليهود، سمّوا به لانتسابهم إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب عليه السّلام، فقلبت العرب الذال دالا لأن الأعجمية إذا عرّبت غيّرت عن لفظها.

وقيل: لتوبتهم عن عبادة العجل فإن هاد لغة بمعنى تاب، والهائد هو التائب، ومنه قوله تعالى: (إنا هدنا اليك.(

)والنصارى) وهم المسيح، سموا بذلك نسبة لقرية الناصرة التي كان ينزلها عيسى عليه السّلام -كما في معاني الأخبار.-

وقيل: لنصرة بعضهم بعضا.

وقيل: مأخوذ من قول عيسى عليه السّلام: «من أنصاري إلى الله».

(والصابئين) في معتقداتهم اختلاف بين الأصحاب، فمنهم من يراهم موحدين، ومنهم من يعتقد كفرهم، ومنهم من يراهم اهل الكتاب، وسيأتي الحديث عن معتقداتهم في التنبيهات.

)من آمن بالله) قيل: المراد به الإيمان الحقيقي الواقعي الناشئ من صميم القلب، وهو مختار من حمل قوله تعالى: (انّ الّذين آمنوا) على المنافقين أو المستضعفين-وهم المؤمنون التقليديون المتسمون بالإيمان من دون العمل بلوازمه.-

وقيل: من آمن بنبينا صلى الله عليه واله، وهو مختار من حمل قوله تعالى: (ان الذين آمنوا) على الإيمان بالأنبياء السابقين إيمانا حقيقيا في قبال اليهود والنصارى الذين ادّعوا بالإيمان بموسى وعيسى عليهما السّلام، أو حملوه على الحنيفيين الذين كانوا ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه واله.

وقيل: إنه بيان لمعنى الإيمان وحقيقته، وإنه لا يتحقق بمجرد الإيمان بالله عز وجل وحده، بل لابد في حصوله من الإيمان بالمعاد والاتيان بالعمل الصالح، مضافا إلى الاعتقاد به عز وجل.

وقيل: إنه ناظر إلى الاستمرار والبقاء على الإيمان في قبال قوله تعالى: (ان الذين آمنوا)، الناظر إلى مقام الحدوث.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

أقول: إن كلا من هذه الأقوال قد ذهب إليه جملة من الأساطين، ولكن الذي يساعد عليه التأمل والتدبر هو القول بكون الجملة اعتراضية واردة في مقام بيان معنى الإيمان، وشرط ثبوت الجزاء الموعود في الآية الكريمة.

ومن هنا فيكون معنى الآية الكريمة وحاصلها: إن الذين آمنوا محمد صلى الله عليه واله والذين آمنوا بموسى عليه السّلام -الذين هادوا- والذين آمنوا بعيسى عليه السّلام- والنصارى-والصابئين من آمن بالله، أي الذين أخلصوا ايمانهم من هؤلاء ولم يخلطوا به شركا أو كفرا-كما هو الحال في معظم الذين يدّعون التهود والتنصر

والصبأ-وآمنوا بالمعاد وعملوا صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

ودعوى: رجوع جملة (من آمن بالله...) الخ، إلى خصوص الذين هادوا والنصارى والصابئين، وكون المراد من الآية الكريمة ثبوت الجزاء للذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه واله من اليهود والنصارى والصابئين.

بعيدة جدا بل غير محتملة باعتبار شمول قوله تعالى: (ان الذين امنوا) لهؤلاء-أعني اليهود والنصارى والصابئين الذين آمنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم-جزما، إذ لم يفرض فيهم أن لا يكون إيمانهم مسبوقا بالتهود أو التنصر، بل كانت ذلك هو الغالب في الذين آمنوا، ومعه فلا يكون وجه لتكراره ثانيا.

والحاصل: أن الذي يقتضيه التحقيق والتدبر في معنى الآية الكريمة هو القول بورودها في مقام بيان عدم اختصاص الأجر الالهي والفوز برضوان الله عز وجل بالمؤمنين بنبينا صلى الله عليه وسلم خاصة، بل ثبوته مضافا إلى الذين آمنوا به صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر وعملوا صالحا، للامم السابقة من الذين هادوا والنصارى والصابئين، الذين امنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا، فطن اولئك أيضا لهم أجرهم عند ربهم لعملهم بواجبهم الذي كان مفروضا عليهم من قبل الله تبارك وتعالى في زمانهم، من الإيمان بموسى عليه السّلام او عيسى عليه السّلام بل وحتى غيرهم من الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين.

فالعبرة في ثبوت الأجر إنما هي بالعمل على وفق الواجب الإلهي في كل ظرف، فالعامل بشريعة موسى عليه السّلام الواقعية قبل بعثة عيسى عليه السّلام، والعامل بشريعة عيسى عليه السّلام الواقعية أيضا قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم له أجره عند ربه ولا خوف عليه.

نعم الآية الكريمة لا تشمل الذين بقا على الأديان السابقة بعد نسخها، وليس ذلك لما قيل من الإجماع عليه -لعدم الحاجة إليه- بل لخروجه عن

عنوان (من آمن بالله...) الخ، حيث قد عرفت أنه الأساس في ثبوت الأجر، وذلك لما تقدم من أن الإيمان بالله يعني العمل وفق ما هو المفروض على المكلف في ظرفه، فإذا خرج المكلف عن ذلك وعصى النبي المفروض الطاعة عليه من قبل الله تعالى بعد ظهور معجزاته وبيناته لم يكن مؤمنا بالله واقعا وإن أظهر ذلك بلسانه.

بقي التنبيه على أمور- :

الأول: «من» في اللغة يقع على المفرد والجمع بلحاظ لفظه ومعناه، فيجوز أن يكون الضمير في الصلة مفردا بلحاظ اللفظ، وجمعا بلحاظ المعنى، وقد استعمل كذلك في القرآن الكريم أيضا قال تعالى: (ومنهم مَن يستمع اليك)(١.(

فافرد الضمير بلحاظ اللفظ، وقال تعالى: (ومنهم مَن يستمعون اليك)(٢) فجمعه بلحاظ المعنى، بل وقد جمع الكتاب العزيز بين الأمرين في آية واحدة، قال تعالى: (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيهاز(٣))، حيث أفرد ضمير الإدخال وجمع ضمير الخلود بلحاظ اللفظ والمعنى.

وعليه فلا يرد فيما نحن فيه إشكال على جمع الضمير في قوله تعالى: (فلهم أجرهم...) الخ، والحال أن قوله تعالى: (آمن) مفرد، لما عرفت من وقوع الموصول عليهما على حدّ سواء.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الثاني: هل الآية منسوخة؟

نسب إلى ابن عباس القول بنسخ هذه الآية بقوله تعالى: (ومن يبتغ غير(

---

(١)الانعام، الآية: ٢٥.

(٢)يونس، الآية: ٤٢.

(٣)النساء، الآية: ١٣.

(الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(١.(

ونفاه غيره وهو الحق.

ويظهر وجهه مما قدمناه في تفسير الآية الكريمة، فإن بملاحظته ينجلي نظر كل من الآيتين الكريمتين إلى مقطع زمني معين غير ما ينظر إليه الاخرى.

إذ قد عرفت أن ما نحن فيه من الآية الكريمة ناظرة إلى ثبوت الأجر الإلهي للعامل على ضوء ما يفرضه عليه تكليفه في ذلك الظرف، كالعامل بشريعة موسى عليه السّلام قبل بعثة عيسى عليه السّلام، أو العامل بشريعة عيسى عليه السّلام قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، وم الواضح الجلي أن هذا لا يتنافى مع خسران من يبتغ غير الإسلام دينا وعدم القبول منه كي يقال بنسخ الثانية للاولى، لأن مفروض الثانية نسخ الشريعة الاولى ومجيء نبينا صلى الله عليه وسلم.

وبعبارة اخرى: أن الآية الاولى ناظرة إلى مرحلة قبل الإسلام وبعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، في حين ان الثانية ناظرة إلى مرحلة بعد البعثة، فلا تنافي بينهما كي يقال بالنسخ.

الثالث: دخل العمل في الإيمان.

اختلف علماء الكلام والعقائد في ركنية العمل الصالح للإيمان فمنهم من يراه جزء له بحيث لا يكتفي في تحققه بمجرد الاعتقاد واظهاره باللسان، ومنهم من يراه شرطا مكملا لدرجة المؤمن ورافعا لمقامه.

أقول: الذي يظهر من الآيات الكريمة والنصوص الشريفة، توقف النتيجة المطلوبة من الإيمان على العمل الصالح، وأنه من اللوازم غير المنفكة عنه أصلا -سواء قلنا بجزئيته له أم قلنا بخروجه عن مفهومه-بحيث لا يكون المؤمن مؤمنا حقيقة إلا بالالتزام به.

ولو لم يكن لهذا الأمر شاهد إلا اقتران العمل الصالح بالايمان بالله في

---

(١)آل عمران، الآية: ٨٥.

ثلاث وسبعين آية في الكتاب العزيز لكفى، فإنها وبالإضافة إلى الأيات الكريمة الواردة في الحث على العمل الصالح مطلقا خير شاهد على المدعى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)(١.(

بل وفي بعض النصوص إشارة -إن لم تكن دلالة- على تقوم الإيمان به وتوقفه عليه، بحيث يكون الإيمان المجرد عنه اعتقادا كاذبا.

ففي رواية حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول: «الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل وصدّقه العمل بالطاعة والتسليم لأمره»(٢.(

وفي رواية عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: كتبت إليه أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب عليه السّلام: «الإيمان هو الإقرار باللسان، وعقد في القلب، وعمل بالأركان»(٣.(

إلى غير هما من النصوص.

وهذا المعنى هو الذي يقتضيه التدبر في مدلول الكلمة والتثبت عندها، فان العمل إذا لم يطابق القول يكشف عن عدم الاعتقاد الراسخ بالمبدأ الذي فرض العمل عليه وحذره عن عواقب مخالفته، وإلا فالذي يعتقد بالله اعتقادا راسخا ويؤمن بيوم القيامة وثبوت الجزاء على الأفعال إيمانا واقعيا وكأنه يرى كل شيء بعينه، لا يمكنه مخالفة البارئ عز وجل وتوطين نفسه على العقاب، كما يرشد إليه قول الإمام السجاد عليه السّلام في دعائه الذي علّمه لأبي حمزة الثمالي: «الهي لم اعصك حين عصيتك وانا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لو عيدك متهاون»، فإن التأمل والتدبر يرشد وبكل وضوح إلى استلزام المخالفة والعصيان للجحود بالربوبية، والاستخفاف بالأمر

---

(١)التوبة، الآية: ١٠٥.

(٢)الكافي: ٢/٢٦/٥.

(٣)الكافي: ٢/٢٧/١.

والتعرض للعقوبة والتهاون للوعية، ولذا نبّه عليها الإمام عليه السّلام وجعلها من ضمن دعائه إرشاد وتنبيها للناس إلى ما هم عنه غافلون.

بل ويظهر ذلك من قوله تعالى: (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون)(١.(

حيث جعلت العمل الصالح في مقابل الكفر، عصمنا الله من الزلل وسددنا في القول والعمل.

الرابع: هل الصابئة من أهل الكتاب؟

ورد ذكر الصابئين في آيات ثلاث من القرآن الكريم: - فقد قال تعالى: (إنّ الّذين امنوا والّذين هادوا والنّاصرى والصّابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صاحلا فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٢.(

وهي محل البحث في المقام.

وقال تعالى: (إنّ الّذين امنوا والّذين هادوا والصّابئون والنّصارى من آمن بالله واليوم الأخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٣.(

وقال تعالى: (إنّ الّذين امنوا والّذين هادوا والصّابئين والنّصارى والمجوس والّذين أشركوا إنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة إنّ الله على كلّ شيء شهيد)(٤.(

وقد وقع الخلاف بين علماء التفسير في دين الصابئة وعقائدهم اختلافا شديدا، بحيث دار بين تكفيرهم والحكم بوثنيتهم وبين كونهم موحدين يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل عليهم السّلام، ونحن تحريا للحق نحاول استقصاء كلماتهم

---

(١)الروم، الآية: ٤٤.

(٢)البقرة، الآية: ٦٢.

(٣)المقائدة، الآية: ٦٩.

(٤)الحج، الآية: ١٧.

وكلمات اعلام الفقهاء عسى أن تكون مقدمة جيدة لاستنتاج الحق في المقام.

فقد قال مجاهد والحسن وابن.

بي نجيح: هم طائفة من المجوس واليهود لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم.

وقال قتادة: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى الشمس كل يوم خمس صلوات.

وقال السدي واسحاق بن راهويه: هم من أهل الكتاب.

وقد نقل ابن المنذر عن اسحاق الحكم بحلية ذبائحهم، معللا ذلك بأنهم من أهل الكتاب.

وكذا حكم أبو حنيفة.

وعن الخليل: أن الصابئة قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السّلام.

وقد ذكر الزمخشري والنسفي أن الصابئين هم الخارجون عن دين مشهور إلى غيره، من صبأ إذا خرج من الدين، وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، وقيل: هم يقرؤون الزبور.

وقال الرازي في التفسير الكبير: الأقرب أنهم قوم يعبدون الكواكب.

ولهم قولان:

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الأول: أن خالق العالم هوالله سبحانه، إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للصلاة والدعاء والتعظيم.

الثاني: ان الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب، ثم إن الكواكب هي المدبرة لما في هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض، والخالقة لها، فيجب على البشر تعظيمها لأنها هي الالهة المدبرة لهذا العالم، ثم إنها تعبد الله سبحانه.

وهذا القول منسوب إلى الكلدانيين الذين جاءهم ابراهيم عليه السّلام رادا عليهم ومبطلا لقولهم.

وذكر القرطبي: أن الذي يتحصل من مذهبهم أنهم قوم موحّدون

يعتقدون تأثير النجوم وأنها فعالة، ولهذا أفتى أبو سعيد الاصطخري القادر بالله بكفرهم حين سأله عنهم.

واختار الطنطاوي في الجواهر.:

نهم عبدة الملائكة، فالكواكب، فالأصنام، ويقولون إنها شافعة، فالأصنام تقوم مقام الكواكب، والكواكب كأنها أجسام أو محال التصرف للملائكة، والملائكة شفعاء عند الله.

وفي تفسير ابن عباس: أنهم قوم من النصارى يحلقون وسط رؤوسهم ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة، يقولون: صبأت قلوبنا، أي رجعت قلوبنا إلى الله.

وفي الفتوحات لابن عمر الشافعي الشهير بالجمل: قيل إنهم من اليهود، وقيل من النصارى ولكنهم عبدوا الملائكة.

وقيل عبدوا الكواكب.

ونقل الثعالبي عن مجاهد القول بأنهم لا دين لهم، وعن ابن زيد: أنهم يقولون لا اله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب، وعن قتادة أنهم يصلون إلى القبلة.

وقال الألوسي: إنهم قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، واتخادهم، وسائط، ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت طائفة منهم إلى هياكلها، فصابئة الروم مفزعها السيارات، وصابئة الهند مفزعها الثوابت.

وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئا.

فالفرقة الأولى هم عبدة الكواكب.

والثانية هم عبدة الأصنام.

ولكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات والتعبدات، والإمام أبو حنيفة يقول إنهم ليسوا بعبدة أوثان وإنما يعظمون النجوم كما نعظم الكعبة.

وقيل: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم، ويقرون ببعض الأنبياء كيحيى عليه السّلام.

وقيل: إنهم يقورن بالله تعالى ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة.

وقيل: إلى مهب الجنوب وقد أخذوا من كل دين شيئا، وفي جواز مناكحتهم وأكل ذبائحهم كلام للفقهاء.

وفي تفسير ابن كثير عن ابن أبي زناد عن أبيه قال: الصابئون قوم مما يلي العراق، وهم بكوثى، وهم يؤمنون بالنبيين كلهم، ويصومون من كل سنة ثلاثين يوما، ويصلّون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات.

وعن وهب بن منبه: الذي يعرف الله وحده ليست له شريعة يعمل بها ولم يحدث كفرا.

وعن ابن العالية والربيع بن أنس والسدي وجابر بن زيد والضحاك واسحاق بن راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور.

وعن عبد الرحمن بن زيد: الصابئون أهل دين من الاديان كانوا يجزيرة الموصل، يقولون لا اله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا اله إلا الله.

قال: ولم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هؤلاء الصابئون.

وفي تفسير القمي: الصابئون قوم لا مجوس ولا يهود ولا نصارى ولا مسلمون، وهم يعبدون الكواكب والنجوم.

وفي الميزان: أن ما نسب إلى بعض من تفسير الصابئة بالمذهب الممتزج من المجوسية واليهودية مع أشياء من الحرانية، هو الأوفق بما في الآية.

وفي المجمع والتبيان: أنهم ليسوا أهل الكتاب.

أقول: إن الحكم بكفر الصابئة أو كونهم اهل الكتاب استنادا إلى المنقول من معتقداتهم وأحكامهم أمر غير صحيح، فإن من الواضح أن ذلك لا يكشف عن حقيقتهم وأصلهم شيئا، فلا ان اعتقادهم لخالق فوق جميع المقدسات

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ورب مدبّر للكواكب المدبرة للكون يقتضي كونهم أهل الكتاب ولا ان اعتقادهم تأثير الكواكب والنجوم والتوجه إليها يقتضي كفرهم، فإن الأول لا ينافي كون نبوتهم مفتراة، والثاني قد ينشأ من الدس والتحريف في الدين، كما هو الحال في اليهودية والنصرانية بل وجميع الأديان المتشعبة إلى المذاهب المختلفة، فإنه لا يمكن الحكم بوجه على كونه الدين سماويا صحيحا بالنظر إلى ما ينقل من احكام بعض مذاهبه الناشئة من اجتهادات أصحابها.

وحسبنا دليلا على ذلك أصل وجود الاختلاف بين اصحاب المذاهب من الدين الواحد، لأنه إن كان ذلك عائدا إلى دعوى تكذيب بعضهم بعضا فيما يروونه عن الأصل، فتلك هي دعوى تحريف الأصل بعينها، وإن كان عائدا إلى تخطئة الاجتهادات فلا يمكن الاعتماد على قول الطرفين أو الأطراف بعد فقدان الأصل الصحيح، بل لو لم يكن القرآن متفرضا لذكر من ذكرهم من الأنبياء لما أمكن إثبات نبوتهم استنادا إلى الكتب المنسوبة إليهم، لما تتضمن تلك الكتب من الأباطيل والخرافات بل التهافت الصريح والتناقض.

والحاصل: أن اتفاق أهل ملة واحدة على عقائد وأحكام منسوبة إلى نبي أو رسول من الأنبياء صلى الله عليه وسلم لا يسوّغ لنا الحكم بوجب تلك العقائد بكفرهم أو ايمانهم بحسب، الأصل والأساس.

فضلا عن اختلافهم فيها وتشعبم إلى مذاهب وشيع، ما لم يكن هناك برهان ساطع يسند ذلك ويدلّ عليه.

وليست الصابئة مستثناة من هذه القاعدة، فقد دخل الدس والتحريف عقائدهم كما شمل عقائد غيرهم، وتفرّقوا شيعا ومذاهب كتفرّق غيرهم.

فقد نقل الاستاذ الحسني عن كتاب أبكار الأفكار أنهم أربعة أقسام: الأول: أصحاب الروحانيات، وهم قوم يعتقدون ان أصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدث، وهو أجلّ وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية له والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل

والشهوات، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات، وهي امور روحانية مقدسة عن المواد الجرمانية والقوى النفسانية والحركات المكانية والتغييرات الزمانية في جوار رب العالمين، وهي مجبولة على تقديسه وتمجيده وتعظيمه دائما وسرمدا وبهم يتقرب إلى الله تعالى.

وهي المدبرة للكواكب الفلكية على التناسب المخصوص، حيث تتبعها انفعالات في العناصر السفلية، وهؤلاء زعموا أن الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات، وأن نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها والتدوير نسبة الأنفس الإنسانية إلى أبدانها.

الثاني: أصحاب الهياكل: فإنهم قالوا إذا كل لا بد للإنسان من متوسط بينه وبين ربه، فلا بد وأن يكون مشاهدا مرئيا كي يتقرب إليه، والروحانيات ليست كذلك، فلا بد من متوسط بينها وبين الإنسان، وأقرب ما إليها هياكلها فهي الالهة والأرباب المعبودة، والله تعالى رب الأرباب وإليه التوسل والتقرب.

والهياكل عند هؤلاء مدبرة لكل ما في عالم الكون، وهي أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها.

الثالث: أصحاب الأشخاص: وهم قوم منهم زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرئي فالكواكب وان كانت مرئية إلا أنها قد ترى في وقت دون وقت لطلوعها وأفولها، فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب أعيننا تكون لنا وسيلة إلى الهياكل التي هي، وسيلة إلى الروحانيات، التي هي وسيلة إلى الله تعالى.

فاتخذوا لذلك أصناما وصورة على صورة الهياكل السبعة.

الرابع: الحلولية أو الحرانية، وهم قالوا بوحدة الاله المعبود في ذاته، وإنه أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب، وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي، وان الله تعالى يظهر في الكواكب السبعة ويتشخص بأشخاصها من غير

تعدد في ذاته(١.(

بل ويظهر من كلام ابن النديم في الفهرست تقمص جملة من الكفار اسم الصابئة زورا، لحقن دمائهم والنجاة من الهلكة، فقد ذكر في كتابه أن أبا يوسف ايشاع القطيعي النصراني قد قال في كتابه في الكشف عن مذاهب الحرانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة: إن الخليفة العباسي المأمون مرّ بديار مضر قاصدا غزو الروم، فتلقّاه الناس يدعون وكان بينهم جماعة من الحرانيين، وكان زيهم إذ ذاك لبس الأقبية وشعورهم طويلة جدا، فأنكر المأمون عليهم زيهم وسألهم من أنتم؟ فقالوا: نحن الحرانية، فقال: أنصارى أنتم؟ قالوا: لا.

قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا.

فقال: فمجوس أنتم؟ قالوا: لا، فغضب المأمون وقال: أفلكم كتاب أو نبي؟ فجمجموا في القول، لهم: فأنتم إذن الزنادقة عبدة الأوثان، وقد خيّرهم بين انتحال الإسلام أو دين من الأديان التي ذكرت في الكتاب العزيز وإلا فالقتل، وقد أمهلهم حتى عودته من سفره، فخاف الحرانيون على حياتهم وصاروا في اضطراب عظيم، ثم راجعوا شيخا فاضلا وفقيها كبيرا من فقهاء حران وسألوه عن تدبير لهم، فقال لهم الشيخ: لا تخافوا ولا تضطربوا فإني أوصلكم إلى طريق النجاح، وقال لهم في آخر الأمر: إذا رجع المأمون من حربه وسألكم عن دينكم فقولوا له نحن الصابئون، فهذا اسم قديم قد ذكره الله في كتابه فانتحلوه، وإنكم لناجون)(٢.(

أقول: والذي يتحصل بعد كل الذي قدمناه أنه لا مرجع لتحديد مذهب الصابئة وغيرهم وكونهم كتابيين وعدمه، سوى الكتاب العزيز والنصوص الشريفة، لما عرفت من عدم إمكان الاعتماد على ما في أيديهم من الكتب وعدم وجود دليل حي على صدق نبوة أنبيائهم إلى زماننا هذا.

---

(١)الصابئة قديما وحديثا ص ١٦-٢١ باختصار.

(٢)الصابئة قديما وحديثا ص ١٦-٢١ باختصار.

والذي يقتضيه التأمل في سياق الآيات الكريمة التي تلوناها عليك، والتدبر في مداليلها هو الحكم بكون الصابئة من أهل الكتاب، حالهم في ذلك حال اليهود والنصارى والمجوس، فإنهم قرنوا في الآيتين الاولى والثانية بأهل الكتاب، وجعلوا في عداد الذينلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا ما أخلصوا في دينهم وعملوا بما يفرضه عليهم الواجب الشرعي في ذلك الظرف، فإن ذلك يدلّ وبوضوح على كونهم من أهل الكتاب وأصحاب الرسالات السماوية، خصوصا انهم واليهود والنصارى والمجوس جعلوا في قبال الذين أشركوا في الآية الثالثة.

ودعوى: أن ذكر الذين أشركوا في الآية الكريمة من قبيل ذكر العام بعد الخاص.

لا تنسجم مع اشتمالها على اليهود والنصارى، فإنهم من أهل الكتاب جزما.

واحتمال رجوع«الذين أشركوا»إلى الصنفين الأخيرين -الصابئين والمجوس- خاصة بعيد جدا، فإن القيد أو الوصف المتعقب لجمل متعددة إمّا أن يرجع إلى الأخير خاصة أو إلى الجميع على حدّ سواء -على الخلاف المحرر في علم الأصول- وأمّا رجوعه إلى اثنتين من تلك الجمل دون اثنتين، فهو بعيد غايد البعد ويحتاج إلى الدليل وهو مفقود، خصوصا إذا لم يكن الأمران الودعى رجوع القيد إليهما متتاليين، كما هو الحال في الآية الكريمة، فإنها اشتملت على الأصناف الأربعة على النحو الآتي: اليهود ثم الصابئة ثم النصارى ثم المجوس، فدعوى رجوع القيد المتعقب لها إلى الثاني والأخير خاصة دون الأول والثالث، بعيدة غاية البعد بل غير واردة بحسب الذوق العرفي العربي.

ومما يؤيد كونهم من أهل الكتاب اتفاق أغلب المفسرين بل جميعهم على كونهم اناسا موحدين يؤمنون بالله الواحد رب الأرباب.

وأما حكم بعض الأعلام بأنه لا دين لهم، فلعل نظره إلى ما ذكره ابن زيد وابن منبه من أنهم يقولون لا اله إلا الله ويعرفون الله وحده وليس لهم عمل ولا كتاب.

وكذا تصريح البعض الآخر بكفرهم، فإنه ناش من بعض الاعتقادات الباطلة والخرافات التي دخلت دينهم.

لكنك قد عرفت أن ذلك غير ضائر لوجود أمثاله في جميع الأديان السماوية السابقة، فليس اعتقادهم بتأثير الكواكب والنجوم في الحوادث السفلية أو خلقها لها بأشد من قول اليهود بأن عزيزا ابن الله، ولا قول النصارى بالثالوث المقدس، وكون الله مركبا من الأب والأبن وروح القدس.

فضلا عن سائر الخرافات والأكاذيب التي تضمنته كتبهم.

فإن ذلك كله لا يعني عدم كونهم بالأصل من أهل الكتاب، وإنما دخلت تلك الامور في جملة معتقداتهم على نحو التدريج وبمرور الزمان ونتيجة لاختلاطهم بسائر والأقوام والملل.

بل ويظهر من المسعودي ذلك بوضوح حيث قال: أقام الصابئة على عبادة الأصنام برهة من الزمان وجملة من الأعصار، حتى نبههم بعض حكمائهم إلى أن الأفلاك والكواكب أقرب الاجسام المرئية إلى الله تعالى، وأنها حية ناطقة وأن الملائكد تختلف فيما بينها وبين الله، وأن كل ما يحدث في هذا العالم فإنما هو على قدر ما تجري به الكواكب على أمر الله، فعظموها وقربوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهرا طويلا، فلما رأوا الكواكب تختفى بالنهار وفي بعض أوقات الليل لما يرعض في الجو من السواتر، أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلوا لهم أصناما بعدد الكواكب المشهورة، وكل صنف منهم صار يعظم كوكبا منها ويقرّب له نوعا من القربان خلاف ما للآخر.

على أنهم إذا عظموا ما صوّروا من الأصنام تحركت لهم الأجسام العلوية

السبعة بكل ما يريدون، فبنوا لكل صنم بيتا وهيكلا مفردا وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب(١.(

ومما يؤيد كونهم كتابيين أيضا ما تقدم من خبر ايشاع القطيعي، فإنه وإن كان ظاهرا في كفر الحرانيين وتقمّصهم لاسم الصابئة زورا، إلا أنه واضح الدلالة أيضا على كون الصابئة الأصليين من أهل الكتبا، ولذا أمر شيخ حران الحرانيين بتلبس اسم الصابئة لانقاذهم مما وعده المأمون.

إذن: فمجرد وجود الاباطيل في معتقداتهم الفعلية لا يكشف عن كفرهم بالأصل، بل وسياق الآية الكريمة شاهد على الخلاف وأنهم من أهل الكتاب.

ومنه يظهر أنهم ليسوا قوما من اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا مختلطا منهم أيضا، فإن الأية قد جعلتهم في قبال تلك الأصناف والملل، وقد روى القمي ذلك في تفسيره صريحا، وعليه فلا وجه للقول به -كما عن بعض أصحابنا المفسرين- وإن كانت عقائدهم الفعلية كذلك.

نعم إحراز معتقداتهم الواقعية صعب جدا، فإنهم مضافا إلى ما دخل مذهبهم من التحريف والتشويه، أناس بالطنيون لا يكشفون عن معتقداتهم.

نعم جاء في كتاب (تعاليم دينية لأبناء الصابئة، تأليف غضبان رومي الناشي ص ١١):

أن الخالق هو الحي الرب الأزلي وهو سبحانه وتعالى، وأن أول نبي للصابئين هو آدم عليه السّلام ثم شيث ونوح وسام وادريس وابراهيم، وآخرهم يحيى بن زكريا عليهم السّلام.

وقد اعترف بهذا المعنى زعيمهم الروحي عندما حضر عند سيدنا الوالد- دام ظله-في دار سماحته بالكوفة طالبا منه تأييد كونهم من أهل الكتاب، وهؤلاء هم المسمون بالصابئة المندياثية في قبال الحرانيين الذين تقمصوا الاسم زورا.

---

(١)الصابئة قديما وحديثا ص ١١-١٢.

وكيف كان: فعقائدهم الفعلية في غاية الصعوبة، فإنهم لا يقطنون إلا على ضفاف الأنهر، لكثرة احتياجهم إلى التعميد والتطهير بالماء الجاري، بل وإني لا ذكر أن شيخهم عندما كان عند سيدنا الوالد -حفظه الله- عطش واحتاج إِلى الماء فلم يشرب من الأنابيب رغم جريان الماء وغزارته، بل أمر سائقه فذهب إلى نهر الفرات -في الكوفة- وأتى له بالماء الجاري

ومن هنا فهم تناقص وانقراض مستمر.

والذي يتلخص مع جميع ما تدقم أمور:

الأول: أن الصابئة المندائية من أهل الكتاب كما يظهر من الآيات الكريمة.

الثاني: أن قول بعض المنسوبين إلى الاسم بالكفر واعتقاد الباقين بما يوجب الكفر، لا يقتضي عدم كونهم كتابيين بالأصل، وإلا فاليهود والنصارى أشد كفرا منهم.

الثالث: استقلال الصابئة عن اليهود والنصارى والمجوس.

الرابع: تركّب عقائدهم الفعلية من التقاليد اليهودية والنصرانية والمجوسية، بل وبعض المعتقدات الإسلامية مع جملة من تقاليدهم الخاصة.

الخامس: صعوبة عقائدهم الفعلية إلى حدّ تشرف الطائفة معها على الانقراض.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثقكم ورفعنا فوقكم الطّور خذوا ما ءاتينكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلّم تتّقون(٦٣) ثمّ تولّيتم مّن بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم مّن الخسرين(٦٤) ولقد علمتم الّذين اعتدوا منكم فى السّبت فقلنا لهم كونوا قردة خسئين(٦٥) فجعلنها نكلا لّما بين يديها وما خلفها وموعظة لّلمتّقين(٦٦)(

اللغة

الميثاق: مفعال من الوثيقة ويعني العقد المؤكد بيمين أو عهد.

الطور: اسم جبل مخصوص وقيل اسم لكل جبل.

التولية: الموالاة أو الإعراض.

الفضل: الزيادة عن الاقتصار، الطول.

الخسران: نقصان رأس المال من المقتنيات الخارجية كالأموال، أو النفسية كالعقل والإيمان.

الاعتداء: مجاوزة الحق.

السبت: القطع.

الخاسئ: المزجور المطرود.

نكال: العقاب.

الموعظة: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الإعراب

وإذ: الواو عاطفة، إذ اسم مبني في محل نصب مفعول به لفعل محذوف.

أخذنا: أخذ فعل ماض مبني على السكون، والضمير (نا) فاعل.

ميثاقكم: مفعول به وهو مضاف والضمير مضاف إليه.

ورفعنا: الواو حالية، رفعنا مثل اعراب أخذنا.

فوقكم: ظرف مكان منصوب وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

الطور: مفعول به منصوب.

خذوا: فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

آتيناكم: مثل اعراب أخذنا والضمير (كم) مفعول به.

بقوة: جار ومجرور.

واذكروا: الواو عاطفة، اذكر فعل امر مبني على الضم والواو فاعل.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

فيه: جار ومجرور.

لعلكم: لعل حرف مشبه بالفعل والضمير اسمها.

تتقون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

ثم: حرف عطف.

توليتم: فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل والميم حرف لا محل له من الاعراب.

من بعد ذلك: جار ومجرور ومضاف اليه.

فلولا: الفاء استئنافية، لولا: حرف امتناع لوجود وهو شرط غير جازم.

فضل: مبتدأ مرفوع والخبر محذوف وجوبا تقديره موجود.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الله: لفظ الجلالة مضاف اليه مجرور.

عليكم: جار ومجرور.

ورحمته: الواو عاطفة ورحمة معطوف على فضل وهو مضاف والهاء مضاف اليه.

لكنتم: اللام واقعة في جواب الشرط وكان فعل ماض ناقص و«تم» اسمها.

من الخاسرين: جار ومجرور خبر كان.

ولقد: الواو عاطفة واللام توكيدية وقد حرف تحقيق.

علمتم: فعل وفاعل.

الذين: اسم موصول مفعول به.

اعتدوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

منكم: جار ومجرور.

في السبت: جار ومجرور.

فقلنا: الفاء عاطفة، قل فعل ماض والنا فاعل.

كونوا: كن فعل أمر والواو اسمها.

قردة: خبر كان منصوب بالفتحة.

خاسئين: نعت منصوب بالياء.

فجعلناها: الفاء استئنافية، جعلنا فعل وفاعل والها مفعول به أول.

نكالا: مفعول به ثان.

لما: اللام حرف جر وما اسم موصول مبني على السكون في محل جر.

بين يديها: بين ظرف مكان منصوب وهو مضاف ويدي مضاف اليه مجرور بالياء لأنه مثنى وهو مضاف و «هاء» مضاف اليه.

وما: الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف على الأول.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

خلفها: ظرف مكان منصوب و «هاء» ضمير مضاف اليه.

وموعظة: الواو عاطفة وموعظة معطوفة على نكال.

للمتقين: جار ومجرور.

التفسير

)وإذ أخذنا ميثاقكم) في المراد بالميثاق واختصاصه ببني اسرائيل وعدمه أقوال للمفسرين.

قيل: إنه مطلق العهد المؤكد، وقيل خصوص العهد بقبول التوراة والعمل بها والمحافظة عليها (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا»(١))، وقال تعالى: (ألم يؤخذ عليهم مّيثاق الكتاب أن لاّيقولون على الله إلاّ الحقّ)(٢.(

أو الميثاق بعدم سفك دمائهم وظلم انفسهم (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون)(٣.(

وقيل: ما أودع الله تعالى في العقول من الدلائلعلى وجوده وقدرته وحكمته وصدق انبيائه ورسله، والمأخوذ على ذرية آدم بقوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)(٤.(

وقيل: هو الميثاق المأخوذ من النبيين بقوله تعالى: (وإذ أخذنا من(

---

(١)البقرة، الآية: ٨٣.

(٢)الاعراف، الآية: ١٦٩.

(٣)البقرة، الآية: ٨٤.

(٤)الاعراف، الآية: ١٧٢.

(النبيين ميثاقهم)(١)، وقوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النّبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنّ به ولتنصرنّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري)(٢).(

أقول: الذي يظهر من سياق الآيات الكريمة، وذكر هذا المطلب في عداد مخالفات بني إسرائيل وتجاوزاتهم على الحق، خصوصا مع اضافة الميثاق إلى ضمير «كم» الظاهر في الرجوع إلى بني اسرائيل، ولا سيما مع تعقيبه برفع الطور المختص ببني إسرائيل جزما، هو إرادة الميثاق المختص ببني إسرائيل دون غيرهم، لكن في تحديد ذلك بكونه ميثاق ألا يعبدوا إلا الله، وأن لا يقولوا عليه إلا الحق المعبّر عنه بميثاق الكتاب، أو ميثاق عدم سفك الدماء واخراج الأنفس من الديار، صعوبة بالغة، فإن كلا منهما محتمل بالنظر لكونه ميثاقا أخذ لعلى بني إسرائيل ثم خالفوه ونقضوه، ولا دليل على ترجيح أحدهما على الأخر عدا ما ورد في تفسير العسكري عليه السّلام، من تفسير الميثاق بالعهد بالعمل بما في التوراة والفرقان، فيكون مؤيدا للقول الأول، كما ويشهد له ذهاب جل المفسرين من الفريقين إليه، وأن رفع الطور كان بعد امتناع بني إسرائيل من قبول التوراة، كما يشير إليه قوله تعالى: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنّوا أنّه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون)(٣).(

نعم لا يبعد دعوى اتحاد الميثاقين وكون الثاني من جزئيات الأول، فإن ميثاق الكتاب وعدم القول على الله إلا الحق، يقتضي عدم الظلم والجور الذي منه سفك الدماء البريئة وإخراج الأنفس من الديار.

وأمّا احتمال كون المراد به هو مطلق العهد أو العهد المأخوذ على ذرية

---

(١)الأحزاب، الآية: ٧.

(٢)آل عمران، الآية: ٨١.

(٣)الاعراف، الآية: ١٧١.

آدم عليه السّلام فهو بعيد، غايته فإنه لا ينسجم وسياق الآيات ومناسبة المقام، بل وإضافة الميثاق إلى الضمير الظاهر في الرجوع إلى بني إسرائيل.

وأبعد منه احتمال إرادة ميثاق النبيين، فإنه غير مرتبط بالمقام بالمرة، خصوصا مع إضافته إلى ضمير المخاطبين وتعقيبه برفع الطور عليهم.

)ورفعنا فوقكم الطور) قيل: إنه جبل من جبال سيناء او فلسطين، وقيل: إنه خصوص الجبل الذي ناجى موسى ربه عليه.

وكيف كان: فالمشهور بينهم انه لما رجع موسى عليه السّلام من مناجاة ربه وأتى بالتوراة وأمر قومه العمل بها أبوا عن قبولها ورفضوا الانصياع للحق رغم كل الأدلة والبراهين القطعية التي أظهرها عليه السّلام لهم، فنتق الله الجبل وقلعه من الأرض ورفعه فوقهم كأنه واقع بهم، فلما رأو ذلك وأحسوا بقرب العذاب منهم أخذوا الكتاب وآمنوا به.

قال تعالى: (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنّوا أنه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون)(١.(

ودعوى: أن رفع الجبل فوقهم كأنه واقع بهم، إكراه لهم على الإيمان وهو غير جائز.

مدفوعة: بأن القبيح إنما هو الالجاء وسلب قدرة العبد على الاختيار، وأمّا حمله على الإيمان بفعل المعاجز وإقامة البراهين القطعية بحيث يجد العبد نفسه -وبتمام اختياره- أمام الإيمان وأنه لا محيص له عن قبوله إلا اللجوء طلى العناد والعصيان الموجب لاستحقاق أشد العقاب فمن أفضل نعم الله على العبد وإحسانه في حقه.

ثم إن بعض المفسرين ذهب إلى أن رفع الطور كان بعد نقض بني إسرائيل للميثاق، وهو خلف ظاهر الآية الكريمة حيث قرنت رفع الطور بأخذ

---

(١)الاعراف، الآية: ١٧١.

الميثاق ثم ذكرت بعد ذلك نقضهم له وتوليهم عنه.

)خذوا ما ايتناكم) من التوراة والألواح والفرقان: (وإذ ءاتينا موسى الكتاب والفرقان لعلّكم تهتدون)(١.(

)بقوة) بجد وجهد وإيمان واعتقاد.

وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السّلام: عن قول الله عز وجل: (خذوا ما اتيناكم بقوة)(٢)، «أبقوة بالأبدان أم بقوة بالقلوب؟ فقال عليه السّلام: بهما جميعا.«

)واذكروا ما فيه) أي احفظا وحافظوا ولا تغفلوا عما فيه المستلزم للعمل به والمواظبة عليه.

)لعلكم تهتدون) رجاء أن تهتدوا وتدخلوا في سلك المتقين.

ثم إن في استعمال كلمة الترجي «لعل» دلالة على اختيارية الأمر بالنسبة إليهم وعدم فرضه عليهم.

)إنا هديناه السبيل إمّا شاكرا وإما كفورا)(٣.(

)ثمّ تولّيتم من بعد ذلك) واعرضتم عن الحق بعد وضوحه وقيام البراهين الساطعة عليه، فنقضتم ميثاقكم وخالفتم نبيكم وعصيتم أوامر الله واتبعتم أهواءكم.

ثم إن بعض المفسرين يرى انتهاء الخبر بهذه الجملة، وأن قوله تعالى بعد ذلك: (فلو لا فضل الله عليكم) الخ رجوع بالكلام إلى أوله.

لكنه في غاية البعد بالنظر إلى سياق الآية الكريمة حيث إن الظاهر منه كون الجملة متفرعة على ما سبق.

)فلو لا فضل الله عليكم) بإمهالكم وعدم تعجيل العقوبة وإنزال العذاب عليكم، بل وهدايتكم إلى التوبة وتفضله بقبولها منكم بعد ما جنته أيديكم من

---

(١)البقرة، الآية: ٥٣.

(٢)الأعراف، الآية: ١٧١.

(٣)الانسان، الآية: ٣.

المخالفة والعصيان.

)لكنتم من الخاسرين) الهالكين بالعذاب.

)ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السّبيت) السبت القطع والاستراحة من الشيء قال تعالى: (وجعلنا نومكم سباتا)(١.(

وقد سمي اليوم المعروف من الأسبوع بالسيت، لأنه فرض عطلد لليهود وحرم عليهم العمل والاصطياد فيه.

وكيف كان: فالمراد بالسبت في الآية الكريمة هو اليوم المعين من أيام الأسبوع، والمتوسط بين الجمعة والأحد على ما هو المشهور بينهم، بل لم أجد مخالفا فيه.

ويحتمل قويا أن يكون المراد به هنا معناه اللغوي، اعني القطع والانتهاء من العمل وإن كان ذلك مصادفا لليوم المعروف من الأسبوع بحث كان سبتهم في السبت وانتهاؤهم من العمل فيه، فإنه لا يعني كون اليوم المعين هو المراد، بل يبقى المراد هو المعنى اللغوي وإن كان هو متفقا في الخارج مع اليوم المعلوم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: (وسئلهم عن القرية الّتي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السّبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)(٢.(

فإن إضافة السبت إليهم بل واشتقاق المضارع منه شاهد على إرادة المعنى اللغوي منه، وإلا فاليوم المعين سبت للجميع وهو اسم جامد غير قابل للاشتقاق.

كما ويشهد له قوله تعالى: (إنّما جعل السّبت على الّذين اختلفوا فيه(

---

(١)النبأ، الآية: ٩.

(٢)الاعراف، الآية: ١٦٣.

(وإن ربّك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون)(١.(

وعلى كل: فالمعروف أمر بني إسرائيل بالانتهاء من العمل في يوم الجمعة وجعله يوم عطلة لهم فلم يرضوا به وطلبوا تعيين السبت مكانه، فتفضل عليهم بالإجابة، لكنه ابتلاهم وامتحنهم بإرسال الحيتان المحرم اصطيادها إليهم يوم سبتهم حتى قيل إنه ما كان من حوت في البحر إلا أخرج خرطومه من الماء في ذلك اليوم، فإذا مضى ذلك اليوم تفرقت وذهبت -على ما تضمنته الآية الواردة في سورة الأعراف- فاحتار بنو اسرائيل في أمرهم، فإنهم كانوا يحبون لحم الحيتان كثيرا وقد حرموا منه زمانا، فاهتدا إلى حيلة حسبوا أنها تخلصهم من ورطتهم فعمدوا إلى حفر الحياض عند البحر وشرعوا إليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها في يوم السبت فتحبس فيها فيصطادونها في يوم الأحد.

وقيل: إنهم عمدوا إلى ربط الحيتان بالأوتاد في يوم السبت واخراجها في يوم الأحد من الماء.

فكان ذلك سقوطا في الامتحان وتجاوزا على الأمر.

)فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) مبعدين مطرودين من رحمة الله.

ثم إن أكثر الاعلام ذهب إلى أن المسخ حقيقي بالنسبة إليهم، بمعنى أنهم انقلبوا حقيقة وواقعا إلى القردة، كما يشهد له ظاهر الآية الكريمة هنا، وفي قوله تعالى: (قل هل أنبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله من لّعنه غ وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطّاغوت)(٢)، وقوله تعالى: (فلمّا عتوا عن مّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)(٣.(

إلا أن بعضهم زعم أن المسخ إنما كان بالنسبة إلى القلوب خاصة دون

---

(١)النحل، الآية: ١٢٤.

(٢)المائدة، الآية: ٦٠.

(٣)الاعراف، الآية: ١٦٦.

الأجسام بحيث كان هؤلاء مشابهين للناس في الصورة وليسوا منهم، فيما زعم آخر أن ذلك على نحو المثل لا الحقيقة نظير قوله تعالى: (كمثل الحمار يحمل أسفارا)(١.(

وكلاهما مناف لظاهر الآيات جدا من غير دليل يدل عليه، أو ضرورة تدعو إليه.

ودعوى: أن مسخهم إلى القردة ينافي الإمهال، واضحة الاندفاع فإن حاله في ذلك حال كل عقوبة تنزل بالعاصين بعد إقامة الحجة والبرهان وتشدد العبد في الغي والعصيان.

كما أن توهم أن المسخ حقيقة ينافي كون الفعل نكالا وموعظة لهم، لخروجهم عن التكليف بذلك.

واضح الفساد حيث لم يفرض في الآية الكريمة كون الفعل نكالا لأولئك العاصين بالذات، وإنما فرض كونه نكالا وعبرة لغيرهم مما بين يديها وما خلفها، وهو حاصل لاطلاعهم على ما آلت تلك الأقوام إليه نتيجة لمخالفاتهم وعصيانهم فيكون عبرة لهم.

)فجعلناها) المسخة أو تلك القرية.

)نكالا) وعبرة.

)لما بين يديها وما خلفها) أي لما بين يدي المسخة من الشاهدين، وما خلفها الذين يجيئون بعدهم، أو لما بين يدي تلك القرية من القرى أي ما حولها، وما خلفها مما تباعد عنها.

)وموعظة للمتقين) ليزيد اطمئنانهم بالحق ويقينهم بالصدق.

---

(١)الجمعة، الآية: ٥.

قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتّخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجهلين(٦٧) قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لّنا ما هى قال إنّه يقول إنّها بقرة لاّ فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون(٦٨) قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لّنا ما لونها قال إنّه يقول إنّها بقرة صفراء فاقع لّونها تسرّ النّظرين(٦٩) قالوا ادع لنا ربّك يبيّن لّنا ما هى إنّ البقر تشبه علينا وإنّا إن شاء الله لمهتدون(٧٠) قال إنّه يقول إنّها بقرة لاّ ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلّمة لاّ شية فيها قالوا الئن جئت بالحقّ فذبحوها وما كادوا يفعلون(٧١) وإذ قتلتم نفسا فادّرءتم فيها والله مخرج مّا كنتم تكتمون(٧٢) فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم ءايته لعلّكم تعقلون(٧٣) ثمّ قست قلوبكم مّن بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهر وإنّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغفل عمّا تعملون(٧٤)(

اللغة

الهزؤ: السخرية بالشيء أو منه.

الاستعاذة: الاعتصام والالتجاء إلى الغير.

الجهل: السفه والجفاء.

الفارض: الكبير المسن.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

البكر: التي لم تلد.

العوان: المتوسطة في العمر بين الصغر والكبر من النساء والبهائم.

الفاقع: الصادق والخالص من اللون، يقال أصفر فاقع إذا كان صادق الصفرة.

الذلول: الدابة المنقادة في قبال الصعبة.

المسلّمة: الخالية من الدغل والآفات.

شية: أصلها الوشية وهي بمعنى وجود الأثر المخالف لمعظم لون الشيء.

الدرء: الميل إلى أحد الجانبين أو دفع الشيء عن جانبه.

القسوة: غلظ القلب.

التشقق: التخرم الواقع في الشيء.

الاعراب

وإذ قال موسى لقومه: تقدم اعرابها في الآية ٥٤.

إن: حرف مشبه بالفعل.

الله: لفظ الجلالة اسمها منصوب.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يأمركم: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والضمير مفعول به.

أن: مصدريه ناصبة.

تذبحوا: فعل مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل.

بقرة: مفعول به منصوب بالفتحة.

قالوا: فعل ماض والواو فاعل.

أتتخذنا: الهمزة للاستفهام وتتخذ فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير

مستتر تقديره أنت والضمير (نا) في محل نصب مفعول به أول.

هزوا: مفعول به ثان.

قال: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو.«

اعوذ: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقدير «انا.«

بالله: جار ومجرور.

أن: حرف نصب.

أكون: فعل مضارع ناقص منصوب، اسمه ضمير مستتر تقديره أنا.

من الجاهلين: جار ومجرور خبر اكون.

قالوا: فعل ماض والواو فاعل.

ادع: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره «انت.«

لنا: جار ومجرور.

ربك: مفعول به منصوب وهو مضاف والكاف مضاف إليه.

يبين: فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره «هو.«

لنا: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ما هي: ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و «هي» في محل رفع خبر.

قال: فعل ماض والفاعل مستتر تقديره «هو.«

إنه: حرف مشبه بالفعل والضمير اسمه.

يقول: فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره «هو.«

إنها: إن من الاحرف المشبهة بالفعل والضمير اسمها.

بقرة: خبر إن مرفوع بالضمة.

صفراء: صفة لـ «بقرة» مرفوعة.

فاقع: صفة ثانية لبقرة مرفوع.

لونها: لون فاعل لاسم الفاعل مرفوع وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

تسر: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

الناظرين: مفعول به منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي: تقدم إعرابها.

إنّ: حرف مشبه بالفعل.

البقر: اسمها منصوب بالفتحة.

تشابه: فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو.

علينا: جار ومجرور.

وإنّا: الواو عاطفة، إنّ حرف مشبه بالفعل ونا اسمها.

إن: حرف شرط جازم.

شاء: عل ماض مبني على افتح في محل جزم فعل الشرط.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

لمهتدون: اللام مزحلقة ومهتدون خبر إنّ مرفوع بالواو وجواب الشرط محذوف.

قال إنه يقول إنها بقرة: تقدم اعرابها.

لا: نافية.

ذلول: صفة لبقرة مرفوع.

تثير: فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

الأرض: مفعول به منصوب بالفتحة.

ولا: الواو عاطفة، لا نافية.

تسقي: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هي.

الحرث: مفعول به منصوب بالفتحة.

مسلمة: صفة لبقرة مرفوع.

لاشية: اللام نافية للجنس، شية اسمها مبني على الفتح في محل نصب.

فيها: جار ومجرور خب لا.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

الآن: ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب.

جئت: فعل ماض والتاء فاعل.

بالحق: جار ومجرور.

فذبحوها: الفاء عاطفة وذبحوا مثل اعراب قالوا والهاء مفعول به.

وما: الواو حالية، ما نافية.

كادوا: فعل ماض ناقص مبني على الضم والواو اسم كاد.

يفعلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والوا فاعل.

وإذ: الواو عاطفة، إذ ظرف للزمن الماضي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكروا.

قتلتم: فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل والميم للجماصة.

نفسا: مفعول به منصوب.

فادارأتم: الفاء عاطفة وادارأ فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل والميم للجماعة.

فيها: جار ومجرور.

والله: الواو حالية، الله لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة.

مخرج: خبر مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل مخرج.

كنتم: كان فعل ماض ناقص والتاء اسمها والميم للجماعة.

تكتمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والنون والواو فاعل والجملة في محل

نصب خبر كان.

فقلنا: الفاء استئنافية، قلنا فعل وفاعل.

اضربوه: فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به.

ببعضها: جار ومجرور ومضاف اليه.

كذلك: الكاف حرف جر وذلك اسم اشارة مبني في محل جر.

يحيي: فعل مضارع مرفوع.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

الموتى: مفعول به منصوب.

ويريكم: الواو عاطفة، يري فعل مضارع مرفوع والفاعل هو والكاف مفعول به اول.

اياته: مفعول به ثان وهو مضاف والضمير الهاء مضاف اليه.

لعلكم: حرف مشبه بالفعل والكاف اسمه.

تعقلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر لعل.

ثم: حرف عطف.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قست: فعل ماض والتا تاء التأنيث الساكنة.

قلوبكم: فاعل مرفوع وهو مضاف والكاف مضاف اليه.

من بعد: جار ومجرور ومضاف.

ذلك: اسم اشارة مضاف اليه.

فهي: الفاء تعليلية، وهي ضمير في محل رفع مبتدأ.

كالحجارة: جار ومجرور خبر المبتدأ.

أو: عاطفة.

أشد: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي.

قسوة: تمييز منصوب.

وإن: الواو عاطفة، إن حرف مشبه بالفعل.

من الحجارة: جار ومجرور خبر إن مقدم.

لما: اللام للتوكيد، وما اسم موصول في محل نصب اسم إن مؤخر.

يتفجر: فعل مضارع مرفوع بالضمة.

منه: جار ومجرور.

الانهار: فاعل مرفوع بالضمة.

وإن منها: تقدم نظيره.

لما يشقق: مثل اعراب لما يتفجر.

فيخرج: فعل مضارع مرفوع.

منه: جار ومجرور.

الماء: فاعل مرفوع بالضمة.

وإنّ منها لما يهبط: تقدم إعراب نظيره.

من خشية الله: جار ومجرور ومضاف ومضاف اليه.

وما: الواو حالية وما نافية تعمل عمل ليس.

الله: لفظ الجلالة اسمها مرفوع بالضمة.

بغافل: جار ومجرور خبر ما.

عما: جار ومجرور.

تعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

Al-Khoei Institute

التفسير

تضمنت الآيات الكريمة لواقعة اخرى من وقائع بني إسرائيل المعروفين بالشغب ومعاندة الحق حتى بعد ظهوره ووضوحه، بل وحتى بعد مؤاخذتهم بشتى أنواع العذاب ومعاقبتهم بأصناف العقاب.

فمن اتخاذهم العجل إلى طلب رؤية الله جهرة، ومن امتناعهم من دخول الأرض المقدسة وتبديلهم لطلب الغفران، ومن طلبهم لتبديل الطعام السماوي إلى قتل الأنبياء بغير الحق، ومن قتل النفس البريئة إلى الاستهزاء بالرسول والتثاقل في امتثال الأمر، إلى غير ذلك من المعاصي والمخالفات التي لم تعهد لقوم من الأقوام على الإطلاق.

وكيف كان: فالمشهور بين المفسرين-بل لم أجد فيه مخالفا عدا أبي حيان الأندلسي-أن ترتيب تلاوة هذه الآيات مغاير لترتيب معانيها، وأن قوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه) إلى قوله تعالى: (وما كادوا يفعلون) مقدم في الذكر، مؤخر من حيث المعنى عن قوله تعالى: (وإذ قتلتم نفسا)، وإن الأمر بذبح البقرة إنما جاء بعد أن قتلوا نفسا وتخاصموا فيها، وعلى هذا الأساس فقوله تعالى: (وإذ قال موسى لقومه انّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وإلى قوله تعالى: (وما كادوا يفعلون) جملة اعتراضية في الكلام، لبيان معنى ما يليه في الخطاب، مع باين سوء أدب القدم وايذانهم لرسولهم برميه بفضول الكلام ولغو القول وفقدهم لروح الاطاعة والامتثال.

وقد ذكروا في وجه بيان القصة على هذا الترتيب وتقديم ما هو مؤخر في المعنى وجوها:

الأول: أن هاتين قصتان كل واحدة منهما مستقلة عن الاخرى بنوع من التقريع لبني اسرائيل، وإن كانتا في الواقع متصلتين متحدتين، فالاولى: لتقريعهم

على الاستهزاء بالأوامر وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك.

والثانية: لتقريعهم على قتل النفس المحترمة عمدا ثم التخاصم فيه.

وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة، ولذهب الغرض في تثنية التقريع والتأنيب.

ففي تقديم قصة الأمر بالذبح دلالة على تثنية التقريع مع الاحتفاظ على وحدة القصتين من حيث المعنى، كما يظهر ذلك بالالتفات إلى استخدام الضمير -العائد إلى البقرة- في الثانية والاستغناء به عن ذكر لفظ البقرة الصريح، فإنه دال على اتحادهما معنى وإن كان ظاهر الثانية كونها قصة مستأنفة.

الثاني: أن ذلك للابتداء بأشرف القصدين من معنى التشريع، الذي هو القائم على أفعال الاعتداء وأقوال الخصومة.

الثالث: أن ذلك المراعاة الفنون الأدبية كتهيئة النفوس للاصغاء إلى ما هو المقصود بالذات، وجلب انظارهم إليه واهتمامهم به، فيكون أدعى للبحث عن سببه ومن ثمّ تقبّله واستيعابه، فيكون من قبيل ما يذكر تمهيدا وتوطئة للإخبار عن أمر مهم.

وعلى كل حال: فهذا الاسلوب من البيان ليس بعزيز في كتاب الله الكريم ولا الأدب العربي.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قال الله تعالى: (حتّى إذا جاء أمرنا وفار التّنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن ءامن وما ءامن معه إلاّ قليل *و قال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها إنّ ربّي لغفور رحيم)(١.(

والحال أن من الواضح كون الأمر بالركوب سابقا على فوران التنور والهلاك، ومما يشهد لهذا ورود جملة من النصوص من الفريقين متضمنة لذلك صريحا، فإنها وإن لم تكن من حيث الاسانيد معتبرة إلا أن اتفاقها بحد ذاتها

---

(١)هود، الآية: ٤٠، ٤١.

واتفاق المفسرين من الفريقين على مضمونها هذا، يمنع من القول بخلافها.

ولو لا هذه الجهة لأمكن القول بمقالة أبي حيان الأندلسي، حيث ذهب إلى كون ترتيب القصة على وفق تلاوتها في الكتاب العزيز، وأن القوم إنما أمروا أولا بذبح البقرة فتثاقلوا وتباطؤا في امتثال الأمر لجهلهم بالواقع وما سيحدث بعد ذلك، ثم حدثت واقعة القتل وتخاصموا فيها، فأمروا بضرب بعضه ببعض تلك البقرة المذبوحة ليحيى الميت ويخبرهم بقاتله.

وقد ذكر في وجه ذلك أنه هو الذي يقتضيه سياق الكلام، وعكسه يحتاج إلى الدليل القطعي وهو مفقود، باعتبار ان جميع النصوص الواردة في المقام ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها.

وعلى كل فلنعد إلى تفسير الآيات الكريمة:

)وإذ قال موسى لقومه) من بني إسرائيل بعد أن تخاصموا في أمر القتيل (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) لتعرفوا القاتل.

)قالوا أتتّخذنا هزوا) جواب لسؤال ينساق فورا إلى الذهن، تقديره فماذا كان موقف قومه من الأمر؟

نعم إنهم لقصور عقلهم وقلة ادراكهم لم يتعقلوا وجود مصلحة فيما أمروا به، بل وعلى العكس من ذلك تماما وجدوه نوع استهزاء بهم لعدم ارتباطه ظاهرا بما سألوا عنه، فهم يسألون عن القاتل، والرسول يجيبهم بالأمر بذبح البقرة.

والهزو بمعنى المهزوء به نظير قوله تعالى: (أحلّ لكم صيد البحر)(١)، والمراد المصيد، ويحتمل ان يراد بالهزو هو نفسه لكن بتقدير حذف المضاف، أي مكان هزو أو أهله، كما يحتمل أن يكون استعماله للمبالغة نظير ما يقال: زيد عدل وعمرو كرم.

---

(١)المائدة، الآية: ٩٦.

(قال اعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي اعتصم بالله والتجئ إليه من أن أكون من الجاهلين.

وفي الإجابة بالاستعاذة من الجهل -مع كون التهمة هي الاستهزاء- دلالة على عدم صدور الاستهزاء من غير الجاهلين، ووجهه واضح فإن الهزو ولا سيما اثناء التبليغ عين الجهل والسفاهة، فاستعاذ عليه السّلام منه لعلو ساحة الأنبياء عليهم السّلام عن ذلك.

كما أن في الاية الكريمة إرشادا إلى عصمة الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ورفعة شأنهم عن كونهم من الجاهلين.

)قالوا ادع لنا ربّك يبين لّنا ما هي) فإنهم وبعد وثوقهم واطمئنانهم بجدية الأمر أخذوا بالتعنت والتثاقل عن طريق اكثار الأسئلة وطلب بيان المواصفات، وأول ما سألوا عنه أن البقرة ما هي؟ و السؤال وإن كان ظاهرا في طلب بيان حقيقة البقرة كما هو شأن السؤآل بـ (ما هي)، إلا أنه وبقرينة وضوح معنى البقرة عند الكل إلى حدّ لا يصح السؤال عن حقيقتها، وبقرينة الجواب بالأوصاف، فلا بد من حمله على السؤال عن صفتها وحالها (قال إنه يقول إنّها بقرة لاّ فارض ولا بكر) الفارض المسنة سميت به لأنها فرضت سنها، أي قطعتها وبلغت آخرها.

والبكر الفتية التي لم يطرقها فحل (عوان بين ذلك) أي النصف والوسط بين الفارض والبكر.

وقال مجاهد: إن العوان هي التي ولدت مرة بعد مرة، وقد حكاه بعض أهل اللغة.

)فافعلوا ما تؤمرون) أمر يتضمن الزجر والتوبيخ على المماطلة والمخالفة.

)قال انه يقول انّها بقرة صفراء فاقع لونها) قافع صف كمال في الصفرة

ومبالغة فيها نظير الحالك في الأسود، والقانئ في الأحمر والناصع في الأبيض والناظر في الأخضر.

وعن الحسن أن صفراء فاقع بمعنى سوداء شديدة السواد، وهو خلاف الظاهر وبعيد جدا.

)تسرّ الناظرين) تعجبهم وتدخل السرور والانشراح إلى صدورهم.

)قالوا ادع لنا ربّك يبين لّنا ما هي) تكرار للسؤال عن أوصاف البقرة المطلوبة بصيغة (ما هي) لزيادة استكشاف حالها وتمييزها عن غيرها، كما يشهد له تعليلهم لذلك بقولهم: إن البقر تشابه علينا.

)إن البقر تشابه علينا) لكثرة سؤالهم وتقصّيهم لأوصافها وأحوالها.

)وإنا إن شاء الله لمهتدون) إلى البقرة المطلوبة، ويحتمل قويا أن يكون المراد به اظهار الندامة عما فعلوه من المعصية بتأخير امتثال الأمرو المماطلة فيه، وبذلك فيكون معنى الآية الكريمة: وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى الحق، وتائبون عما صدر منا.

ولعل إلى هذا المعنى يشير ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو لا ما استثنوا ما اهتدوا إليها أبدا.«

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) ذلول صفة للبقرة بمعنى الذليلة، وهي التي تعمل لحراثة الأرض أو سقي الحرث في قبال المكرّمة التي تكون معفية عن ذلك.

)مسلّمة) سالمة من العيوب، وقيل: المعفية من العمل.

)لا شية فيها) الوشية بمعنى وجود اللون المخالف للون المجموع في الحيوان، ومن هنا سمّي من يغيّر الكلام ويلونه بالواشي، لأنه يجعله ضروبا ويزين منه ما شاء.

وكيف كان: فالمراد في المقام بيان صفاء لون البقرة (الصفرة) بحيث لا

يكون قد خالطه لون آخر.

)قالوا الان جئت بالحق) أي الحقيقة والأمر الواضح، فيكون المعنى: إنك بعد هذه الأوصاف والتفصيلات والتبينات جئت بالحقيقة والأمر الواضح.

والتعبير بهذه الجملة في جوابه عليه السّلام يظهر منه تشكيكهم في كلام نبيهم قبل ذلك واحتمال عدم الحق فيه.

)فذبحوها وما كادوا يفعلون) اعتراض على تباطنهم واستثقالهم في امتثال الأمر، وأنه لفرط تطويلهم للأسئلة وكثرة مراجعاتهم، ما كان ينتهي خيط اسهابهم وما كادوا يذبحون البقرة.

فالمعنى: أنهم تعسّروا في ذبحها وتثاقلوا فيه ثم ذبحوها، فوقع الذبح بعد نفي مقاربته.

وقيل: ما كادوا يفعلونه خشية الفضيحة، وقيل: لغلاء ثمنها.

ثم إن المروي من الفريقين أن القوم لو عمدوا إلى بقرة (مطلقة وغير مقيدة بشيء) أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم.

وهو إن دلّ على شيء فإنما يدل على عدم رجحان زيادة السؤال والتنقيب عما سكت عنه المولى ولم يبينه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

بقي أخيرا أن نعرف ان الحكمة في ذبح البقرة خاصة دون غيرها من الحيوانات لعلها تكمن في كونها من جنس ما كانوا يعبدونه -العجل- سابقا.

فيكون ذبحها سببا لهوان ما كانوا يرون من تعظيمه وتقديسه.

)وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها) شروع في بيان أصل الواقعة، والمروي أنه كان في بني إسرائيل شيخ موسر يملك ثورة طائلة ولا وارث له سوى بني عمه، فقتلوه طمعا في ميراثه ثم حملوه إلى قرية أخرى والقوا بجثته بفنائها فرارا من الفضيحة، ثم جاؤوا يطالبون أهل تلك القرية بالدية مدعين على اناس منهم أنهم هم القتلة، فوقع التخاصم بينهم ورفعوا أمرهم إلى موسى عليه السّلام، فسألهم عن

الحقيقة فجحدوا كونهم القتلة.

واشتبه الأمر، فسألوا موسى عليه السّلام أن يدعوالله ليبين لهم ما خفي من أمر القاتل، فنزلت الآية الكريمة وأمروا ليذبحوا بقرة ليضربوا بعض الميت ببعضها كي يحيى ويخبرهم بالواقع، ففعلوا ذلك وعاد المقتول حيا يخبرهم بقاتله ثم سقط ومات.

وقريب من هذا المضمون مروي في كتب الفريقين، وروي غير ذلك.

وعلى كل: فالتدارؤ هو التخاصم والتنازع ودفع كل من الفريقين القتل والجريمة عن نفسه، ومرجع الضمير في «فيها» هو النفس المقتولة أو القتلة.

)والله مخرج ما كنتم تكتمون) جملة اعتراضية دالة على عدم الفائدة في الكتمان وإنكار الواقع فـ: (إنّ الله يعلم غيب السموات والأرض)(١.(

)فقلنا اضربوه ببعضها) أي القتيل ببعض البقرة.

وعدم التصريح بلفظ البقرة هنا واستعمال الضمير الراجع إلى الآية السابقة دليل على وحدتهما في الواقع ومن حيث المعنى.

وفي تحديد ذلك البعض من البقرة أقوال للمفسرين، إلا أنه لا شاهد على شيء منها من الأخبار الصحيحة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)كذلك يحيّ الله الموتى ويريكم آياته لعلّكم تعقلون) حكاية لقول موسى عليه السّلام لقومه، أو خطاب من الله للامة تنبيها على قدرته على إحياء الموتى، وبث الروح والحركة في الجماد ثانيا (إنّ الّذين أحياها لمحي الموتى إنّه على كلّ شيء قدير)(٢.(

وأي آية تكون أكبر من هذه الآية؟ و ما ذلك كله إلا رجاء رجوع الإنسان إلى عقله ورشده وترك غيّه وعناده ليكون -وبكل صدق- خليفة الله في الأرض.

)ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك) عن ابن عباس أن المجرمين-قتلة

---

(١)الحجرات، الآية: ١٨.

(٢)فصّلت، الآية: ٣٩.

الشيخ-كذبوا بالحق بعد ما رأوه وانكروا قتلهم له بعد ما سمعوه من المقتول نفسه.

وقيل: إن المراد مطلق يهود زمان موسى عليه السّلام، لأنهم تمادوا في غيهم وعصيانهم من بعد ما رأوا من الآيات والبراهين.

وقيل: بل المراد الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، فإنه قد اشتدت قلوبهم من بعد ما جاءتهم من البينات، وحكاية ما جرى على أوائلهم من العذاب نتيجة معصيتهم ومخالفتهم للأمر.

وقيل: إنه يشهد للأخير تبدل الخطاب من كونه للغائبين إلى كونه للمشافهين.

والأول أقرب للظاهر من حيث اللفظ، وإن كان الحكم عاما للجميع من حيث الواقع: (فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة) اختلف أهل العربية في معنى «أو» بعد الاتفاق على استحالة كونها للشك في حق الله تبارك وتعالى.

فقال بعضهم: إنها بمعنى الواو كقوله تعالى: (ولا تطع منهم آثما أو كفورا)(١) و قوله تعالى: (عذرا أو نذرا)(٢) و قوله تعالى: (لَعله يتذكّر أو يخشى)(٣)، وقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلاّ لبعولتهنّ أو آبائهن..)(٤).

وقال آخرون: إنها بمعنى بل نظير قوله تعالى: (إذا فريق منهم يخشون النّاس كخشية الله أو أشدّ خشية)(٥).

وقوله تعاى: (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون)(٦).

---

(١)الانسان، الآية: ٢٤.

(٢)المرسلات، الآية: ٦.

(٣)طه، الآية: ٤٤.

(٤)النور، الآية: ٣١.

(٥)النساء، الآية: ٧٧.

(٦)الصافات، الآية: ١٤٧.

وقوله تعالى: (فكان قاب قوسين أو أدنى)(١.(

وقال ثالث: إنها للحصر بين الأمرين على سبيل منع الخلو، بمعنى أن قلوب هؤلاء لا تخرج عن أحد هذين القسمين، فقسم منها كالحجارة في القسوة وقسم منها أشد منها.

وقال رابع: انها للابهام على المخاطب.

قال تعالى: (وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)(٢.(

وقال ابو الأسود الدؤلي:

أحب محمدا حبا شديدا * و عباسا وحمزة أو عليا

فان يك حبهم رشدا أصبه * و لست بمخطئ ان كان غيا

ولم يشك أبو الأسود أن حبهم رشد ظاهر، وإنما قصد الأبهام على السامع.

وقد قيل له حين قال ذلك: شككت؟ قال: كلا، ثم استشهد بقوله تعالى: (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) وقال: أو كان شاكا من أخبر بهذا؟

)وإن من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار وانّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء) بيان لأشدية قسوة قلوب أولئك بالقياس إلى صلابة الحجارة، فإن الحجارة على الرغم من صلابتها تلين فيتفجر منها الأنهار ويشّقق فيخرج منها الماء وتهبط من خشية الله وقلوب أولئك لا تعرف اللين أبدا، فلا تخشع للحق مهما جلي الأمر ووضح.

والفرق بين الانفجار والخروج من الشق أن الأول عبارة عن الخرق الواسع في الشيء المستلزم لخروج الماء منه بوصف الكثرة والقوة، في حين أن الثاني عبارة عن مطلق الخروج من الخرم الواقع في الشيء.

---

(١)النجم، الآية: ٩.

(٢)سبأ، الآية: ٢٤.

وعليه فيكون معنى الآية أن من الحجارة ما ينفجر وتحصل فيه خروق واسعة فيخرج منه الماء بكثرة وغزارة، ومنها ما يحصل فيها خرم وثقب فينبع مه الماء.

)وإنّ منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عمّا تعملون) احتمل ابن حزم في الفصل امورا:

الأول: رجوع الضمير في «منها» إلى القلوب المذكورة وبذلك تكون هذه الجملة مستقلة عما قبلها.

الثاني: رجوعه إلى الحجارة وون الخشية المذكورة هي التصرف بحكم الله تعالى وجري اقداره، كما هو الحال في قوله تعالى حكاية عن السماء والأرض: (قالتا أتينا طائعين)(١.(

الثالث: أن يراد به الجبل الذي صار دكا يوم سأله كليمه عليه السّلام الرؤية، فإنه من جملة الحجارة جزما وقد هبط من مكانه من خشية الله.

ثم اختار الأول مدعيا أنه هو الظاهر المتيقن الصحة.

أقول: ما جعله الظاهر فهو خلاف الظاهر جدا كما يشهد له الوجدان والتأمل في الآية الكريمة، فإنها إنما هي بصدد بيان قسوة قلوب القوم وشدة تلك القسوة إلى حدّ وصفها بأنها كالحجارة أو أشد منها قسوة، ومعه كيف يمكن أن يقال إن قوله تعالى: (وإنّ منها لما يهبط من خشية الله) راجع إلى تلك القلوب، خصوصا مع وحدة الضمير والسياق الظاهرين في الرجوع إلى الحجارة.

وهل التناقض يكون غير هذا؟

والحاصل: أن هذا الاحتمال بعيد غاية البعد ولا مجال للمصير إليه، فضلا عن دعوى كونه هو الظاهر.

ومما يشهد لذلك قوله تعالى بعد ذلك: (وما الله بغافل عما تعملون(

---

(١)فصلت، الآية: ١١.

الظاهر ولو بقرينة السياق وتعقبه لتلك المخالفات والمعاصي في التوبيخ والمؤاخذة، فإنه لا ينسجم مع مدح القلوب ووصفها بالخشية.

ومثله في البعد ما ذكره غير واحد من الجماعة من أن المراد من الآية الكريمة هو سقوط البرد من السحاب.

فإنه وكما تراه تأويل بعيد عن الظاهر ولا شاهد له بالمرة، ومنه يظهر بطلان زعم بعضهم كون ذلك -اسناد الخشوع إلى الحجارة- من المجاز في التعبير، وأن الخشيد تحصل لغير الحجر لكن بدلالته على صانعه وعظيم قدرته، كما يقال: ناقة تاجرة، إذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو الناس إلى الرغبة فيها.

كما قال جرير بن عطية- :

و اعور من نبهان اما نهاره * فاعمى واما ليله فبصير

فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من أجل أنه كان فيهما على ما وصفه به.

والظاهر -بل الواقع- أن الذي دعا القوم إلى ارتكاب مثل هذه المخالفة لظاهر الكتاب العزيز وتوطين أنفسهم عليها إلى حدّ تقبلها -على أساس أنه هو الظاهر- عدم تعقّلهم للمعنى الحقيقي الظاهر من الآية الكريمة، أعني هبوط الحجر واقعا من خشية الله تبارك وتعالى، بتوهم أن ذلك من مختصات المدركات والحجر لا ادراك له، غافلين عن قوله تعالى: (لّه ما في السّموات والأرض كلّ له قانتون)(١.(

وقوله تعالى: (وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لاّ تفقهون تسبيحهم)(٢)، وقوله تعالى: (ويسبّح الرّعد بحمده والملائكة من(

---

(١)البقرة، الآية: ١١٦.

(٢)الاسراء، الآية: ٤٤.

(خيفته)(١).(

وقوله تعالى: (ولله يسجد من في السّموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والاصال)(٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الدالة صريحا على حصول الاطاعة والامتثال من الجمادات والنباتات أيضا، وأن جميع ما في الكون خاضع -وبحكم تكوينه- لأمره تبارك وتعالى-بحيث لا يمكنه التخلّف عن الوظيفة الملقاة على عاتقه في الخلق أبدا.

ومنه يظهر بطلان احتمال إرادة خصوص الجبل الذي صار دكا يوم سأله كليمه عليه السّلام الرؤة، فاننا إذا تعقلنا امتثال الجماد لأمره تبارك وتعالى وخضوعه لإرادته، فلا فرق في ذلك بين الجبل الخاص وغيره فإن: (كل له قانتون.(

وسيجيء مزيد التوضيح له في تفسير قوله تعالى: (كل له قانتون) فانتظر.

---

(١)الرعد، الآية: ١٣.

(٢)الرعد، الآية: ١٥.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق مّنهم يسمعون كلم الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون(٧٥) وإذا لقوا الّذين ءامنوا قالوا ءآمنّا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم أفلا تعقلون(٧٦) أو لا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون(٧٧) ومنهم أميّون لا يعلمون الكتب إلاّ أمانىّ وإن هم إلاّ يظنّون(٧٨) فويل لّلّذين يكتبون الكتب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لّهم مّمّا كتبت أيديهم وويل لّهم مّمّا يكسبون(٧٩) وقالوا لن تمسّنا النّار إلاّ أيّاما مّعدودة قل أتّخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون(٨٠) بلى من كسب سيّئة وأحطت به خطيئة فأولئك أصحب النّار هم فيها خلدون(٨١) والّذين ءامنوا وعملوا الصّلحت أولئك أصحب الجنّة هم فيها خلدون(٨٢).((

اللغة

الطمع: نزوع النفس إلى الشيء شهوة له.

الفريق: الجماعة المنشعبة عن آخرين.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الويل: القبح ويستعمل في مقام التحسر.

العهد: الوصية والأمر، ومنه الميثاق.

الإحاطة: الإحداق بالشيء من جميع جوانبه.

الاعراب

أفتطمعون: الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة تطمعون فعل مضارع ومرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

أن: ناصبة.

يؤمنوا: فعل مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل.

لكم: جار ومجرور.

وقد: الواو حالية، قد حرف تحقيق.

كان: فعل ماض ناقص.

فريق: اسم كان مرفوع.

منهم: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

يسمعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب خبر كان.

كلام: مفعول به منصوب وهو مضاف.

الله: لفظ الجلالة مضاف اليه مجرور.

ثم: حرف عطف.

يحرفونه: مثل اعراب يسمعون والهاء مفعول به.

من بعد: جار ومجرور.

ما: حرف مصدري.

عقلوه: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل والهاء مفعول به.

وهم: الواو حالية، هم ضمير منفصل مبتدأ.

يعلمون: مثل اعراب يسمعون في محل رفع خبر والجملة في محل نصب حال.

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا: تقدم اعرابها في الآية ١٤.

خلا: فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الال.

بعضهم: فاعل مرفوع بالضمة وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

إلى بعض: جار ومجرور.

قالوا: فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل.

اتحدثونهم: الهمزة للاستفهام التوبيخي تحدثون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والضمير (هم) مفعول به.

بما: الباء حرف جر وما اسم موصول مبني في محل جر.

فتح: فعل ماض مبني على الفتح.

الله: لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

عليكم: جار ومجرور.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

ليحاجوكم: اللام للتعليل ويحاجوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والواو فاعل: والكاف مفعول به والميم للجماعة.

به: جار ومجرور.

عند: ظرف مكان منصوب وهو مضاف.

ربكم: مضاف اليه وهو مضاف والكاف مضاف اليه.

أفلا: الهمزة للاستفهام التوبيخي، والفاء عاطفة ولا نافية.

تعقلون: مث اعراب تحدثون.

أولا: الهمزة للاستفهام التقريري أو التوبيخي، والواو عاطفة ولا نافية.

يعلمون: مثل اعراب تحدثون.

أن: حرف مشبه بالفعل.

الله: لفظ الجلالة اسمها منصوب بالفتحة.

يعلم: فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر والجملة في محل رفع خبر أن.

ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به.

يسرون: مثل اعراب تحدثون.

وما يعلنون: الواو عاطفة وما يعلنون مثل ما يسرون.

ومنهم: الواو عاطفة، منهم جار ومجرور خبر مقدم.

اميون: مبتدأ مؤخر مرفوع بالواو.

لا يعلمون: لا نافية ويعلمون كما تقدم.

الكتاب: مفعول به منصوب.

إلا: اداة استثناء.

أمانيّ: منصوب على الاستثناء المنقطع.

وإن: الواو عاطفة وإن نافية.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

هم: ضمير مبني في محل رفع مبتدأ.

الا: اداة حصر.

يظنون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر.

فويل: الفاء استئنافية، ويل مبتدأ مرفوع.

للذين: جار ومجرور في محل رفع خبر.

يكتبون: كما تقدم.

الكتاب: مفعول به منصوب.

بأيديهم: جار ومجرور ومضاف ومضاف اليه.

ثم يقولون: ثم عاطفة ويقولون كما تقدم.

هذا: اسم اشارة مبتدأ.

من عند: جار ومجرور خبر وهو مضاف.

الله: لفظ الجلالة مضاف اليه.

ليشتروا: اللام للتعليل ويشتروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والواو فاعل.

به: جار ومجرور.

ثمنا: مفعول به منصوب.

قليلا: صفة منصوبة.

فويل: الفاء عاطفة وويل كما تقدم.

لهم: جار ومجرور في محل رفع خبر ويل.

مما: من حرف جر وما اسم موصول في محل جر.

كتبت: فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة.

أيديهم: فاعل مرفوع بالضمة المقدرة وهو مضاف والضمير هم مضاف اليه.

وويل لهم مما يكسبون: الواو عاطفة والباقي كما تقدم.

Al-Khoei Institute

وقالوا: الواو حرف عطف وقالوا فعل ماض والواو واو الجماعة فاعل.

لن: ناصبة.

تمسنا: فعل مضارع منصوب ونا ضمير مبني في محل نصب مفعول به.

النار: فاعل مرفوع بالضمة.

الا: أداة حصر واستثناء.

اياما: ظرف زمان منصوب.

معدودة: صفة لأيام.

قل: فعل أمر مبني والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت.

اتخذتم: الهمزد للاستفهام، اتخذتم فعل ماض مبني والتاء فاعل.

عند الله: عند ظرف مكان منصوب وهو مضاف والله لفظ الجلالة مضاف اليه.

عهدا: مفعول به منصوب.

أم: عاطفة.

تقولون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل.

على الله: جار ومجرور.

ما: اسم موصول مفعول به.

لا: نافية.

تعلمون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

بلى: حرف جواب ايجاب لنفي متقدم لا محل له.

من: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ

التفسير

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

)أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) استفهام انكاري للدلالة على اليأس بمن إيمان اليهود نظرا لعدم أهليتهم له، نتيجة استيلاء الكفر والانانية والعناد على قلوبهم.

والطمع هي الرغبة الملحّة.

والخطاب في الآية الكريمة للمؤمنين جميعا حيث كانوا حريصين أشد الحرص على إسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم من جهة، ولنزعتهم الخيّرة وحبهم الخير والتوفيق للجميع من جهة أخرى.

وعن ابن عباس ومقاتل أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وأن الجمع للتعظيم والاحترام.

والأول أقرب.

وفي قوله تعالى: (لكم) دلالة على حصول اليأس عن إيمان القوم استجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خاصة، بأن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتهم وإلا: (ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا)(١.(

والحاصل: أن الآية الكريمة إنما تضمّنت -وبصيغة الاستفهام الإنكاري- لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين باليأس عن إيمان اليهود لهم، وأنه لا ينبغي الطمع في التأثير فيمن علمتم تفاصيل شؤون اسلافهم ومعانداتهم للحق وإصرارهم على الباطل، فإن القوم ذرية أولئك ويحملون نفس طبائعهم وخلقهم.

)وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) قد تحقيقية، والفريق اسم جمع لا واحد له نظير الطائفة والرهط والقوم.

قيل: المراد بهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السّلام لميقاته، فإنهم سمعوا كلام الله عزّ وجلّ ثم أوّلواه وحرّفوه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

إلا أنه في غاية البعد، فإن الظاهر من سياق الآية الكريمة إرادة اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، الذين كان المسلمون يحرصون على اسلامهم وهدايتهم.

فالآية الكريمة كالتعليل لإخباره عزّ وجلّ لهم باليأس عن إيمانهم وعدم هدايتهم.

ودعوى أنه لا منافاة بين الأمرين، إذ يمكن تعليل اليأس عن إسلام الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بتحريف أسلافهم لكلام الله من بعد ما سمعوه

---

(١)يونس، الآية: ٩٩.

وعقلوه، بلحاظ ما هو المألوف في مقام القدح والعتاب من ذكر سابقة الآباء والاجداد لتبرير سوء أدب الأولاد، وأنه ليس بأمر جديد عليهم بل هو مكتبس ممن سبقهم.

مدفوعة: بإنه مضافا إلى كونه بعيدا في نفسه ومحتاجا إلى القرينة والدليل، مخالف لظاهر التقسيم والمقابلة في قوله تعالى: (ومنهم اميّون)، فإن ظاهر ذلك تقسيم هؤلاء اليهود المأيوس من إيمانهم إلى أحبار يقومون بتحريف الكتاب واميين لا يعلمون الكتاب إلا أماني.

وبعبارة أخرى: أن مقتضى سياق الآية والظاهر منها اتحاد المرجع في كل من قوله عزّ وجلّ (وقد كان فريق منهم)، وقوله (وإذ لقو الّذين آمنوا)، وقوله (ومنهم اميون)، وحيث إن من المتفق رجوع الضمير في الأخيرين إلى اليهود الموجودين في عصر البعثة يتعيّن كون مرجع الأول أولئك أيضا.

والحاصل: أن المراد بالآية الكريمة هم الأحبار من اليهود الموجودين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، الذين كانوا يسمعون كلام الله، أي التوراة ثم يحرفونها في قبال أولئك الاميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني يتمنونها.

ولا يقدح في ذلك استعمال (كان) الظار في السبق والمضي، فإنها مستعملة في المضي بلحاظ زمن نزول الآية الكريمة، مضافا إلى استعمالها كثيرا لبيان حتمية الأمر ولا بديته، مع التجرد عن السبق الزماني قال تعالى: (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة)(١.(

ثم إن المراد بالسماع هو الأدراك والبلاغ، كما أن المراد بالتحريف الأعم من التغيير بالحذف أو الإضافة والتأويل، فإن كل ذلك تحريف للكتاب وحرام.

وعلى كل: فالآية الكريمة تضمّنت التقبيح والتشنيع لفعل اولئك الأحبار الذين قاموا بتحريف التوراة وتغيير صفات النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة فيها وتأويلها

---

(١)الممتحنة، الآية: ٦.

بما لا ينسجم مع الحقيقة وعلى حسب مشتهياتهم النفسية الدنيئة، من بعد ما عقلوه وادركوه وهم يعلمون بما يقومون به من الجريمة والخطيئة: -قال تعالى: (الّذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنآءهم وإنّ فريقا منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون)(١.(

وقال تعالى: (الّذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنآءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)(٢.(

)وإذا لقوا الذين آمنا قالوا آمنا) وتلك صفة كل منافق، فإنه يظهر للمؤمنين الإيمان ويبطن لهم البغض والعدوان، قيل: اولئك جماعة من اليهود كانوا إذا لقوا الذين آمناو قالوا آمنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو النبي المنتظر الذي بشرت التوراة به، وقيل: أولئك جماعة من الذين آمنوا وتظاهروا به.

إلا أن الظاهر أن الاية الكريمة لا تشير إلى طائفة مستقلة من أهل الكتاب في قبال الأحبار الذين كانوا يقومون بتحريف التوراة، وإنما هؤلاء هم من اولئك أنفسهم كان يغلبهم الحق في بعض الأحيان فيعترفون بانطباق البشائر الموجودة في كتابهم على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقولون آمنا بأنه هو الموعود المبشّر به، لكنهم إذا انقلبوا إلى أهليهم وخلا بعضهم ببعض أخذ المعاندون في عتابهم على ما اعترفوا به.

)وإذا خلا بعضهم إلى بعض) ذمّ بعضهم بعضا، وعاتب الأحبار الذين اظهروا ما في كتبهم من البشائر واعترفوا بانطباقها على النبي صلى الله عليه وسلم.

)قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) أي أتعترفون لهم بما عرفكم الله من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقضى به عليكم في الكتاب والزمكم بالإيمان به، فإن الفتح يستعمل بمعنى القضاء والحكم، قال تعالى: (ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ(

---

(١)البقرة، الآية: ١٤٦.

(٢)الانعام: الآية: ٢٠.

(وأنت خير الفاتحين)(١.(

)ليحاجوكم به عند ربكم) اللام للعاقبة، فيكون المعنى: أنكم تعترفون لهم بذلك لتكون عاقبة الأمر أنهم يتخذون اعترافكم حجة ودليلا عليكم عند ربكم، الذي يراد به يوم القيامة.

وعن الراغب: أن المراد من (عند ربكم) هو: في حكم الله وكتابه نظير قوله تعالى: (فأولئك عند الله هم الكاذبون)(٢) أي في كتاب الله.

)أفلا تعقلون) قيل: إنه كلام مستأنف، والخطاب فيه من الله تعالى للمؤمنين، وإنه يتضمن العتاب والإنكار عليهم بأنهم كيف يطمعون في إيمان هؤلاء المنافقين الذين يتصدّون لتحريف التوراة عن علم وقصد.

لكن الأقرب كونه من تمام التوبيخ والعتاب الموجّه من رؤساء اليهود وأحبارهم إلى الذين كانوا يظهرون البشائر ويعترفون بالحقائق، وبذلك فيكون معنى الآية الكريمة: بأنكم أفلا تعقلون وتدركون بأن ما تعترفون به سوف يكون حجة ودليلا عليكم عند ربكم.

)أو لا يعلمون بانّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون) استفهام إنكاري، فإن الأحبار كانوا يعرفون الحق وأن الله عليم بما يفعلون، وإنما كانوا يقدمون على ذلك لمحض ارضاء أهوائهم والاحتفاظ بمناصبهم وبقائهم رؤساء وامراء على القوم.

ومنه يظهر ما في استدلال صاحب الميزان قدس سرّه بالآية الكريمة على أن بني اسرائيل -ولاعتقادهم بأصالة المادة- كانوا يحكمون في الله بما للمادة من الأحكام، ولذا كانوا يرون خفاء جرائمهم ونفاقهم عليه.

إذ لا دلالة في الآية الكريمة على شيء من ذلك، بل ومقتضى الاسفتهام

---

(١)الاعراف، الآية: ٨٩.

(٢)النور، الآية: ١٣.

الإنكاري هو عكس ذلك، وأنهم كانوا يقدمون على جرائمهم مع اليقين باطلاع الله عليه.

)ومنهم امّيون) وهؤلاء هم الصنف الثاني من اليهود وهم الأكثرية، وهم عوامهم وجهلتهم في قبال علمائهم وأحبارهم، الذين كانوا يتعمدون التحرف والانكار.

سموا بالاميين نسبة إلى الام، أي أنهم في جهلهم كحال ولادتهم من امهاتهم، أو لعدم تعلم النساء سابقا لقراءة والكتابة غالبا.

)لا يعلمون الكتاب إلاّ أمانيّ) الاماني جمع امنية تقرأ بالتشديد والتخفيف.

وهي إمّا بمعنى التلاوة والقراءة، نظير قوله تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رّسول ولا نبيّ إلا ذا تمنّى ألقى الشّيطان في أمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثمّ يحكم الله اياته والله عليم حكيم)(١.(

وقال الشاعر:

تمنى كتاب الله أول ليله * و اخره لا قى حمام المقادر

وعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة: ومنهم جهلة لا يدرون ما في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم وحدود وأحكام إلا مجرد تلاوة وقراءة سطحية، ومن غير تعمق والتفات يرشدهم إلى الصحيح من الباطل والسمين من الغث.

وإمّا بمعنى التقدير والخرص -تمني القلب.-

وعليه يكون معنى الآية الكريمة: ومنهم جهلة لا يدرون ما في التوراة إلا ظنونا يظنونها متمنين ومقدرين كونها من الكتاب.

قال تعالى: (وقالوا لن يدخل الجنّة إلا من كان هودا أو نصارى تلك(

---

(١)الحج، الآية: ٥٢.

(أمانيّهم)(١) أي تلك تقديرهم وتمنيهم.

وقال تعالى: (لَيس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب من يعمل سوا يجز به)(٢.(

وإمّا هي بمعنى اختلاق الكذب وتخرصه وافتعاله.

قاله ابن جرير وجعله أولى الوجوه.

وعليه فمعنى الآية الكريمة: أن هؤلاء الاميين لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله شيئا، ولكنهم يتخرّصون الكذب ويتقوّلون الأباطيل كذبا وزورا.

أقول: الظاهر أن المراد من الآية الكريمة بيان أن اولئك الاميين الجهلة لا يدرون من حقيقة الكتاب وواقعه شيئا، وإنما الذي يعتقدونه عبارة عن امنيات غرست في أذهانهم واستولت على عقولهم بفعل أحبارهم وساداتهم، من قبيل عدم دخولهم النار وشفاعة أبائهم وأحبارهم لهم يوم القيامة، وكونهم أبناء الله وأحباءه، وما إلى ذلك مما اعتقدوه من الكتاب نيتجة لتحريف الأحبار للتوراة ومن ثمّ القاء المحرّف عليهم وتلقينه لهم على أساس أنه كتاب الله.

وهذا الاحتمال هو أقرب شيء إلى الوجه الثاني من الوجوه الثلاثة المتقدمة.

وعلى كل: فالاستثناء عى جميع التقادير -ما عدا الأول- منقطع، فإن الكذب والتقدير والتخرّص بل وحتى الاعتقاد بما لا واقع له -على ما اخترناه- ليس من الكتاب في شيء كما هو أوضح من أن يخفى.

بل ويمكن أن يقال بذلك في الوجه الأول أيضا، فإن القراءة السطحية التي لا توجب تمييز الحق من الباطل ليست من الكتاب.

)وإن هم إلا يظنون) قيل: إنه إخبار عنهم بأنهم قوم ظانون غير متيقنين،

---

(١)البقرة، الآية: ١١١.

(٢)النساء، الآية: ١٢٣.

فلا يرجى منهم ما هو مبني على قواعد اليقين كالإيمان.

أقول: هذه الجملة تستعمل كثيرا في مقام ردّ الزعم وإبطاله حتى ولو كان المدعي واثقا تمام الثقة بالمدعى، فيقال لمن يدعي أمرا لا يقبله السامع: «انك تتصور أو تتخيل أو تظن ذلك» و ليس المراد بها الإخبار عن كونه بالفعل على تلك الصفة، وإنما المراد بها أن ما تدعيه لا يعدو بحسب واقعه ذلك، وأنه في حقيقته ليس إلا ظنا وتخرصا وإن كنت أنت على يقين منه.

)فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لّهم مّما كتبت أيديهم وويل لّهم مّما يكسبون.(

الويل النقمة والحسرة والفضيحة، وفي بعض الأخبار أنه من طبقات جهنم السفلى، والظاهر أنه من باب التطبيق.

وفائدة ذكر اليد مع أن الكتابة لا تكون إلا بها هي تحقيق مباشرتهم ما حرّفوه بأنفسهم زيادة في تقبيح فعلهم وشناعته، فهو تأكيد يفيد اليقين بصدور الجريمة عن قصد وعمد وكناية عن كونه من تلقاء أنفسهم، فهو نظير قوله تعالى: (يقولون بأفواههم مّا ليس في قلوبهم)(١) و قوله تعالى: (يقولون بألسنتهم مّا ليس في قلوبهم)(٢.(

وعليه: فمعنى الآية الكريمة: أن النقمة والعذاب لأولئك الأحبار الذين يتعمدون تحريف التوراة ثم يلقونها إلى العوام مدعين أنها هي التوراة النازلة على موسى عليه السّلام، وأنها هي كتاب الله كل ذلك ليشتروا به ثمنا قليلا ويحصلوا على حطام لا تدوم وملذات لا تستقر.

فويل لأولئك مما كتبت أيديهم واقترفت من جريمة، وويل لكسبهم وما يأخذونه بأزاء ذلك.

---

(١)آلعمران، الآية: ١٦٧.

(٢)الفتح، الآية: ١١.

وقلة الثمن قد تكون بلحاظ أن الحق لا يقابل بشيء ولا يجوز الاعتياض عنه وتبديله، فإنه أجلّ وأرفع من أن يجعل في كفة الميزان على الإطلاق.

وقد تكون بلحاظ أن الثمن الذي كاوا يحصلون عليه.

فان وزائل، ومن حطام الدنيا وما هو كذلك قليل بالقياس إلى ما حملوه من الأوزار.

وأدلّ دليل على ذلك تكرار الويل في الآية الكريمة ثلاث مرات، فإنه خير شاهد على عظم ما حملوه واقترفوه.

من بعد ذلك فأي شيء في الدنيا كلها يمكن أن يكون ثمنا منصفا وعقلائيا له؟

نعم، كل ما في الدنيا فهو قليل القليل بالقياس إليه وفي مقابله، فإن جريمة أولئك لا تقاس بشيء من الجرائم على الإطلاق، فإنها جريمة في حق البشرية جمعاء والإنسانية ككل.

فأي ذنب أعظم من ابقاء البشرية في الغي والتيه والضلالة والعمى وحرمانها من الهداية والنور والحياة الآمنة السعيدة عن علم وعمد وسبق إصرار، مع ما في ذلك من نقض العهد وخيانة ما أخذه الله عليهم من الميثاق.

)وإذ أخذ الله ميثاق الّذين أوتوا الكتاب لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون)(١).

فقد خانوا الله في عهدهم، وهم قبلة الناس وإليهم يرجع العوام ومنهم يأخذون دينهم، ولذا كان وزرهم أعظم من وزر الجهلة بمراتب، بل هما لا يقبلان القياس أصلا.

نعم صدر كل ذلك منهم لا لشيء وهدف إلا بقاء رئاستهم وزعامتهم أياما معدودة أخرى، لينالوا فيها من حطام الدنيا الأكثر فالأكثر.

والذي يتحصّل من مجموع ما تقدم من الآيات الكريمة: هو قطع الأمل

---

(١)آلعمران، الآية: ١٨٧.

واليأس من إيمان اليهود الموجودين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم على صنفين- :

إمّا أحبار منافقون يحرّفون الكتاب عن عمد وقصد.

وإمّا هم اميون جهلة لا يعلمون من الكتاب إلا امنيات باطلة غرست في اذهانهم.

ولا أمل في إيمان الطائفة الاولى لأنها هي رأس الفتنة وأساس الشر، فهم يكتمون الحق وهم يعلمون.

وكذا لا أمل في إيمان الطائفة الثانية لأنها ترجع في أحكامها وعقائدها إلى الأحبار والزعماء، وتنقاد لها انقياد الأعمى للبصير الآخذ بيده، فإذا كان اولئك على ما عرفتهم من الصفة فكيف يبقى أمل في إيمان هؤلاء؟

ومن هنا يظهر الجواب عما ذكر في كلمات بعضهم من أنه كيف يجوز اليأس من إيمان الجميع باليأس من إيمان البعض؟

فإن اليأس ليس من إيمان الجميع حقيقة، كيف وقد قال تعالى: (وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنّ الله سريع الحساب)(١.(

وإنما اليأس من إيمان الأعم الأغلب خاصة، وذلك بلحاظ ما قدمناه من الوجه، فإن علماءهم يتعمدون الكتذب وهم يعلمون، والاميون منهم لا يعلمون الكتاب إلا أماني، خصوصا اليهود فإنهم: (أشدّ النّاس عداوة للذين امنوا)(٢.(

)وقالوا لن تمسنا النار إلا أيّاما معدودة) وتلك خصلة اخرى من خصائلهم الرذيلة وأمانيّهم الباطلة ومعتقداتهم الكاذبة الملقاة إليهم من قبل أحبارهم.

---

(١)آلعمران، الآية: ١٩٩.

(٢)المائدة، الآية: ٨٢.

وعلى كل: قيل: إن الأيام المعدودة في نظر أولئك هي الأربعون خاصة على عدد أيام عبادتهم للعجل، وقيل: سبعة أيام خاصة لاعتقاد اليهود بأن عمر العالم إنما هو سبعة الاف سنة، وإنهم انما يؤاخذون عن كل الف سنة يوما واحدا فقط.

)قل أتخذتم عند الله عهدا) استفهام إنكاري ومعناه انكار وجود مثل هذا العهد من قبله عزّ وجلّ.

)فلن يخلف الله عهده) الفاء واقع في جواب شرط مقدر، أي إن كنتم قد اتخذتم على الله عهدا فالله لن يخلف عهده، ويحتمل أن تكون تفريعية بمعنى«كي وحتى»فيكون المعنى: إنكم هل اتخذتم عند الله عهدا كي لا يخلف الله عهده؟.

)أم تقولون على الله ما لا تعلمون) وليست أداة «أم» معادلة -كما توهمه بعض- كي يكون المعنى: أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون ما لا تعلمون، وإنما هي منقطعة بمعنى بل الأضرابية، وبذلك فيكون المعنى: إنكم لم تأخذوا عند الله عهدا بل تقولون عليه ما لا تعلمون.

ومن هنا يظهر أن مدخول «أم» في الآية الكريمة تأكيد محض، وإلا فهي نتيجة حتمية لإنكار الشق الأول، فإن كل من يدعي أمرا على الله من دون الله أنى يتخذ منه عهدا على ذلك، يقول عليه ما لا يعلم.

ومعنى قوله تعالى: (لا تعلمون) مع علم القوم بذلك ظاهرا، هو توبيخهم وتأنيبهم على قولهم أمرا لا يمكن تعلق العلم به إلا عن طريق الوحي وإخبار الرسل به، وحيث إن المفروض عدمه فقولهم جرأة وافتراء على الله عزّ وجلّ، وبذلك يكون وبحسب واقعة قولا بلا علم وأساس صحيح.

)بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون) الآية الكريمة جواب لما تقدم وابطال لما زعموه-كما هو شأن

مؤسسة الخوئي
Al-Khoei Institute

بلى-وعليه فيكون المعنى: أن الأمر ليس كما زعمتموه من عدم مسكم النار إلا أياما معدودة، فإن من كسب سيئة وغمرته خطيئته من كل جانب واستولت عليه فهو ممن يخلد في النار.

ثم إن كثيرا من المفسرين من الفريقين قالوا -تبعا لمجاهد- : بأن المراد بالسيئة الشرك بالله خاصة، لأنه الموجب لخلود صاحبه في النار، حتى نسبه الشيخ قدسّ سرّه إلى مذهبنا معللا ذلك بقوله: لأن ما عدا الشرك لا يستحق عندنا عليه الخلود في النار.

أقول: الظاهر أن المراد بالسيئة هو معناها العام، وتخصيصها بالشرك بلا موجب، وتعليلهم له بما عرفته من توهم اختصاص الخلود في النار به غريب منهم، كيف وقد ثبت الخلود في النار لقاتل المؤمن متعمدا بصريح الآية الكريمة، قال الله تعالى: - (ومن يقتل مؤمنا متعمّدا فجزآؤه جهنّم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما)(١.(

ودعوى: كون سبب الخلود في قتل المؤمن متعمدا هو كفر القاتل وشركه بالله لاختصاص الآية -الكريمة بقاتل المؤمن لإيمانه واعتقاده، فيكون كافرا لا محالة.

مدفوعة: مضافا إلى عدم الدليل على اختصاص الحكم بقاتل المؤمن لأجل إيمانه، منافاته لمقتضى المقابلة بين العمد والخطأ في الفعل، قال تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلاّ خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلاّ أن يصّدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلّمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لّم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله(

---

(١)النساء، الآية: ٩٣.

(عليما حكيما * و من يقتل مؤمنا مَتعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما)(١.(

فإن ظاهر المقابلة كون العقاب هذا -الخلود في النار- لتعمد الفعل في قبال ارتكابه خطأ ومن غير قصد إليه، والا لما كان وجه لمقابلة العمد بالخطأ، ومما يدلنا على ذلك -عدم اختصاص الخلود في النار لقاتل المؤمن لإيمانه- مضافا إلى جملة من النصوص المثبتة للخلود في النار لتاركي بعض الواجبات أو فاعلي بعض المحرمات، خصوص صحيحة أبي ولاّد عن الصادق عليه السّلام قال: سمعته عليه السّلام يقول: «من قتل نفسه متعمدا فهو في نار جهنم خالدا فيها»(٢.(

فإنها صريحة في إثبات الخلود في النار لغير المشرك، إذ لا مجال لحملها على قاتل نفسه لإيمانه.

وتوهم: منافاة ثبوت الخلود في النار لقتل المؤمن عمدا لقوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٣.(

حيث إنه تعالى وعد بالغفران في غير الشرك وهو لا ينسجم مع خلود القاتل في النار.

مردود: بأن العفو عن غير الشك تفضّل منه تعالى وليس بالزامي في حقه، كما يدل عليه قوله تعالى: (لمن يشاء) ومعه فلا يكون الخلود في النار في مورد منافيا للآية الكريمة.

بل ذهب بعض الأعلام إلى قبول الله عزّ وجلّ للتوبة من الشرك وعدم قبوله لها من قاتل المؤمن متعمدا.

إذن: فالصحيح هو الاحتفاظ على عموم اللفظ والبقاء على ظاهره،

---

(١)النساء، الآية: ٩٢-٩٣.

(٢)الوسائل ج ١٣ ب ٥٢ من أبواب أحكام الوصايا ح ١.

(٣)النساء، الآية: ٤٨ و١١٦.

والقول باستحقاق فاعل كل سيئة موجبة لإحاطة الخطيئة به واستيلائها عليه-إما لعظمها كالشرك وقتل المؤمن متعمدا، أو لإصرار العبد عليها إصرارا موجبا لموت قلبه والختم على سمعه وبصره والغشاوة على عينه-للنار خالدا فيها.

)والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون) وهو مما اقتضته الحكمة الالهية البالغة من ذكر الترغيب والترهيب معا زيادة في انبعاث العبد نحو الأعمال الخيّرة وانقلاعه عن الشر والمعاصي ولبيان حرية العبد في اختياره لما يشاء من الطريقين.

وكيف كان: فالآيتان متحدتان من حيث المعنى مع قوله تعالى: (إنّ الّذين ءامنوا والذين هادوا والنّصارى والصّابئين من ءامن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١.(

---

(١)البقرة، الآية: ٦٢.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثق بنى إسراءيل لا تعبدون إلاّ الله وبالولدين إحسانا وذى القربى واليتمى والمسكين وقولوا للنّاس حسنا وأقيموا الصّلوة وءاتوا الزّكوة ثمّ تولّيتم إلاّ قليلا مّنكم وأنتم مّعرضون(٨٣) وإذ أخذنا ميثقكم لا تسفكون دمآءكم ولا تخرجون أنفسكم مّن ديركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون(٨٤) ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا مّنكم مّن ديرهم تظهرون عليهم بلاإثم والعدون وإن يأتوكم أسرى تفدوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى فى الحيوة الدّنيا ويوم القيمة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغفل عمّا تعملون(٨٥) أولئك الّذين اشتروا الحيوة الدّنيا بالأخرة فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون(٨٦).((

اللغة

الإحسان: الانعام وفعل الأمر المرغوب فيه.

القربى: الدنو في النسب.

اليتم: المنقطع والمفرد، ويطلق على فاقد الأب دون فاقد الأم في الإنسان.

المسكين: هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير، وقيل: إنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

الاعراض: ترك الشيء والتولي عنه.

الديار: المنازل.

المظاهرة: المعاونة.

الإثم: كنية للاسماء المبطنة عن الثواب.

العدوان: الاعتداء ومجاوزة الحق.

الفدية: ما يقي به الإنسان نفسه من مال يبذله.

الخزي: الهون والذل.

الاعراب

وإذ: الواو عاطفة إذ اسم ظرفي في محل نصب مفعول به لفعل محذوف.

أخذنا: فعل ماض مبني على السكون ونا فاعل.

ميثاق: مفعول به منصوب وهو مضاف.

بني اسرائيل: مضاف اليه وبني مضاف واسرائيل مضاف اليه.

لا: نافية.

تعبدون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.

Al-Khoei Institute

الا: اداة حصر.

الله لفظ الجلالة مفعول به منصوب بالفتحة.

وبالوالدين: الواو عاطفة بالوالدين جار ومجرور.

احسانا: مفعول مطلق لفعل محذوف.

وذي: الواو عاطفة، ذي معطوفة على الوالدين مجرور بالياء وهو مضاف.

القربى: مضاف اليه مجرور.

واليتامى: الواو عاطفة اليتامى معطوف على الوالدين مجرور.

والمساكين: كما في واليتامى.

وقولوا: الواو عاطفة، قولوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل.

للناس: جار ومجرور.

حسنا: مفعول مطلق منصوب.

وأقيموا: الواو عاطفة وأقيموا فعل ماض والواو فاعل.

الصلاة: مفعول به منصوب.

ثم: حرف عطف.

توليتم: فعل ماض والتاء تاء الفاعل والميم للجماعة.

الا: أداة استثناء.

قليلا: منصوب بالاستثناء من ضمير الرفع في توليتم.

أنتم: ضمير في محل رفع مبتدأ.

معرضون: خبر مرفوع بالواو.

واذ اخذنا...الخ: تقدم اعراب نظائرها.

ثم: حرف عطف.

أنتم: ضمير مبني في محل رفع مبتدأ.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

هؤلاء: اسم اشارة مبني في محل رفع خبر.

إن: حرف شرط جازم.

يأتوكم: فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به، والفعل فعل الشرط.

أسارى: حال منصوب.

تفادوهم: جواب الشرط فعل مضارع مجزوم بحذف النون والواو فاعل والضمير مفعول به.

وهو: الواو حالية، هو ضمير الشأن مبتدأ.

محرم: مبتدأ ثان.

عليكم: جار ومجرور.

إخراجهم: نائب فاعل لمحرم سد مسد الخبر وهو مضاف والضمير مضاف اليه والجملة خبر لهم.

فما: الفاء استئنافية وما نافية.

جزاء: مبتدأ مرفوع مضاف.

من: اسم موصول مبني في محل جر مضاف اليه.

الا: اداة حصر.

خزي: خبر مرفوع.

ويوم: الواو عاطفة، يوم ظرف زمان منصوب وهو مضاف.

القيامة: مضاف اليه مجرور.

وما: الواو حالية، ما نافية عاملة عمل ليس.

الله: لفظ الجلالة اسم ما مرفوع.

بغافل: الباء حرف جر، غافل اسم مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما.

أولئك: اسم اشارة في محل رفع مبتدأ.

الذين: اسم موصول في محل رفع خبر.

فلا: الفاء عاطفة للربط السببي، لا نافية.

يخفف: فعل مضارع مبني للمجهول.

العذاب: نائب فاعل مرفوع.

ولا: الواو عاطفة، لا زائدة لتأكيد النفي.

هم: ضمير في محل رفع مبتدأ.

ينصرون: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل، والجملة في محل رفع خبر.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

التفسير

)وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل) الميثاق هو العهد الغليظ، وسياق الآية الكريمة يشهد أن الخطاب لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون نقل الحكاية هذه تذكيرا لهم بما وقع من أسلافهم من العناد وعدم الإيمان، وتوبيخا لهم على سوء صنيعة أبائهم، وفي نفس الوقت يكون درسا بليغا للمؤمنين ومحفزا لهم على الالتزام الدقيق بالأحكام جميعا كي لا ينتهي مصيرهم إلى ما انتهى إليه مصير أولئك، وكي يقطعوا الأمل عن إيمان اليهود والمعاصرين لهم.

)لا تعبدون إلا اياه) وقد بدأ بأعلى الحقوق وأهمها وأعظمها على الإطلاق، وبذلك قد أمر جميع خلقه وبريته قال تعالى: (وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ اياه)(١.(

وقال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رَسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت)(٢.(

واستعملت الجملة الخبرية في مقام الانشاء لتكون أبلغ دلالة على الطلب من صريح الأمر، حيث يفرض المطلوب فيها أمرا محققا وواقعا بالفعل في الخارج وكأنه شيء مفروغ عنه.

)وبالوالدين إحسانا) الإحسان غاية البر ونهاية العطف.

وقد قرن الله الإحسان إلى الوالدين واحترامهم بعبادته في غير مورد من القرآن الكريم، للدلالة على عظم أمره وعلو مقامه قال تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا)(٣.(

وقال تعالى: (قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئا(

---

(١)الاسراء، الآية: ٢٣.

(٢)النحل، الآية: ٣٦.

(٣)النساء، الآية: ٣٦.

(وبالوالدين إحسانا)(١)، وقال تعالى: (وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه وبالوالدين إحسانا)(٢).

وقال تعالى: (ووصّينا الإنسان بوالدين حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير)(٣).

بل وقد نهى الله تبارك وتعالى عن مقاطعتهما حتى ولو دعياه إلى الشرك به عزّ وجلّ، والحال أن الشرك جريمة ما وراءها جريمة حتى قال تعالى: (ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السّماء فتخطفه الطّير أو تهوي به الريح في مكان سحيق)(٤).

وقال تعالى: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٥).

نعم، مع هذا كله لم يسمح الله عز وجل بمقاطعتهما والإعراض عنهما عند دعوتهما له إليه، بل وعلى العكس من ذلك فقد أمر تعالى بلزوم معاملتهما بالمعروف ومخاطبتهما بالقول اللين قال تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا)(٦).

ولعل هذا الاهتمام بالوالدين ناشئ من دورهما الفعال في حياة الولد، فهما الموجدان له بعد الله تبارك وتعالى، وهما المشرفان على تربيته وتنظيم حياته حتى كبره، بما في ذلك من تحمل المشاق والصعوبات، وإلا فالطفل أعجز عن أن يدفع عن نفسه ذبابا، فهما محسنان إليه احسانا لا يساويه إحسان، فيجب عليه شكر إحسانهما ذاك بالإحسان إليهما عملا بقانون: (هل جزاء(

---

(١)الانعام، الآية: ١٥١.

(٢)الاسراء، الآية: ٢٣.

(٣)لقمان، الآية: ١٤.

(٤)الحج، الآية: ٣١.

(٥)النساء، الآية: ٤٨.

(٦)لقمان، الآية: ١٥.

(الإحسان إلاّ الإحسان)(١.(

ولعل إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة وقل رّب ارحمهما كما ربّياني صغيرا)(٢.(

)وذي القربى) فيجب الإحسان إليهم وصلتهم، إذ بدون ذلك لا يستقيم للاجتماع نظام وللمجتمع وحدة وترابط، فإن من لم يصل قرباه وهم أقرب الناس إلى لحمه ودمه ولا يعطف عليهم لا يعطف -وبحسب طبعه- على الغريب والأجنبي عنه.

)واليتامى) اليتيم هو الصغير الفاقد الأب من الإنسان، وقيل يطلق على فاقد الام أيضا إلا أنه شاذ.

ويرد لغة بمعنى المنفرد والمنقطع، ومنه الدرة اليتيمة.

واليتيم في عداد من تجب رعايته رعاية خاصة لسدّ الفراغ الحاصل لديه نتيجة فقده لأبيه ولتدارك ما فاته من عاطفته وحنانه ورعايته، قال: تعالى: (فأمّا اليتيم فلا تقهر)(٣.(

ثم إن جعل اليتيم قسيما للمسكين وفي قباله يشهد لعدم اعتبار المسكنة في ثبوت الحكم له، وإن الإحسان إليه ليس بلحاظ عوزه المادي ونقص مورده- وإن لم يكن ذلك نادر الوجود-وإنما هو بلحاظ شيء أسمى منه ألا هو العطف عليه والعنايد به عنايه صحيحة تجعله كغيره من ذوي الآباء من العناصر الجيدة في المجتمع، بحيث يحتل كغيره دوره الطبيعي فيه، ومن غير احساس بالنقص أو التخلف.

)والمساكين) وهم من اسكنتهم الحاجة، فيجب العطف عليهم والأخذ

---

(١)الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢)الأسراء، الآية: ٢٤.

(٣)الضحى، الآية: ٩.

بيدهم وأداء حقوقهم المفروضة ضمانا للمجتمع من التشتت والانحطاط.

وفي كون المسكين أسوأ حالا من الفقير أو العكس خلاف، فمنهم من يرى أن الفقير من لا يملك قوت سنته، والمسكين من لا يملك قوت يومه.

ومنهم من يرى العكس من ذلك، ومنهم من يراهما بمعنى واحد.

وقد ذكر بعضهم أن هذين العنوانين إذا اجتمعا تفرقا -كما هو الحال في آية الزكاة- فيكون المراد بكل منهما غير المراد من صاحبه، وإذا تفرقا -بأن ذكر أحدهما خاصة- اجتمعا وكان شاملا لصاحبه أيضا.

)وقولوا للناس حسنا) تبدّل في صيغة الخطاب للإلفات إلى أهمية الموضوع.

واستعمال المصدر -الحسن- في مقام الاسم للمبالغة في تأكيد الوصف كما يقال: زيد عدل وعمرو كرم، للدلالة على قوة الوصف فيهما.

وكيف كان: فهو من التعميم بعد ذكر الخاص، حيث إن قول الحسن للناس ومعاملتهم بالحسنى شامل للإحسان إلى الوالدين واليتامى والمساكين وغيرهم.

ثم إن الأمر في الآية الكريمة شامل لجميع الناس، وغير مختص ببني إسرائيل -وإن كان الخطاب في ظاهره متوجها إليهم- فقد قال تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)(١.(

عن الباقر عليه السّلام قال: «قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله عز وجل يبغض السباب اللعان الطعان على المؤمنين الفاحش المفحش السائل، ويحب الحيي الحليم العفيف المتعفف»(معاني الأخبار.(

وعنه عليه السّلام أيضا في قوله تعالى: وقولوا للناس حسنا: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم.

---

(١)يونس، الآية: ٢٦.

ثم إن المنسوب إلى ابن عباس دعوى نسخ قوله تعالى: (وقولوا للناس حسنا) بآية السيف وهي قوله تعالى: (قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمّون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الّذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)(١.(

وفيه: أن النسخ إنما يكون مع اتحاد مورد الأيتين الكريمتين، بحيث تكون احداهما ناظرة إلى الاخرى ورافعة لحكمها، فلا يمكن الالتزام بالنسخ مع اختلاف الموردين وتغاير الموضعين.

وحيث إن ما نحن فيه من قبيل الثاني لأن كلا من الآيتين ثابتة في موضع يغاير موضع ثبوت الاخرى، فإن القول الحسن للمؤمن والكافر ثابت في مقام معاشرة الناس ودعوتهم إلى الحق قولا وفعلا، في حين أن آية السيف ثابتة في مورد القتال والجهاد.

وبعبارة أخرى: إن هذه الأية الكريمة (وقولوا للناس حسنا) إنما تتضمن بيان حكم اخلاقي اجتماعي يستقل العقل به، وهو حسن المعاشرة مع الناس جميعا، مؤمنا كان أم كافرا، فهو كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن)(٢)، فلا ينافي الشدة في مقام القتال والمحاربة.

نعم، في الكافي وتفسير العياشي عن الصادق عليه السّلام أن الآية منسوخة بآية السيف، كما أن في تفسير علي بن ابراهيم القمي أنها منسوخة بقوله تعالى: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)(٣.(

ولا بد من حمله على إرادة المعنى العام للنسخ -دون المعنى المصطلح-

---

(١)التوبة، الآية: ٢٩.

(٢)النحل، الآية: ١٢٥.

(٣)التوبة، الآية: ٥.

وهو الشامل للتقييد والتخصيص.

ومن هنا يكون حال آية السيف بالقياس إلى ما نحن فيه حال قوله تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)(١.(

وسيجيء مزيد البحث والتوضيح لمعنى النسخ عند تفسير قولن تعالى:

)ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها)(٢.(

ودعوى: منافاة القول الحسن للنهي عن موادة الكفار وإظهار المحبة لهم، مدفوعة، بأن المراد من القول الحسن ليس هو ما يحبونه ويشتهونه من الباطل كي نكون قد نهينا عنه، وإنما المراد به هو الحسن في ذاته من المعاملة بالمعروف والصدق والقول اللين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك مما تقتضيه ضرورة الاجتماع وسلامة المجتمع ويكون فيه مسلكا لهدايتهم وطريقا لإرشاردهم.

)وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) المفروضتين عليهم بحدودها وشرائطها وكما أو جبها الله عليهم.

فإنهم كانوا مكلّفين بالصلاة والزكاة بل وبعض الواجبات الاخر، إذ ليس ذلك من مختصات المسلمين، كما يظهر ذلك من جملة من الآيات الكريمة، قال تعالى حكاية عن قول عيسى عليه السّلام: (وأوصاني بالصّلاة والزّكوة ما دمت حيّا)(٣.(

نعم، قد يكون الواجب عليهم مختلفا من حيث الشكل والشرائط واالضوابط مع الواجب علينا، إلا أن ذلك لا يمنع من كونهم مكلّفين بها.

ومن هنا: فلا مبرر لحمل الآية الكريمة على محامل لا شاهد لها من

---

(١)البقرة، الآية: ١٩٤.

(٢)البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣)مريم، الآية: ٣١.

الآيات والنصوص، كدعوى أن الزكاة المفروضة عليهم هي الطاعة والإخلاص لله، أو دعوى أنه كان قد فرض في أموالهم قربان تهبط النار إليه فتحمله، وكان ذلك دليل قبوله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان قربانه غير مقبول.

لكنهما ليسا بوجه ولا شاهد لهما بالمرة.

ومثلهما في البعد دعوى رجوع قوله تعالى: (وأقيموا الصّلاة وأتوا الزكوة) إلى خصوص اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كناية عن الدعوة إلى الإيمان به صلى الله عليه وسلم، مع تسليم رجوع سائر الفقرات إلى أسلافهم.

فإنها مخالفة للسياق وظاهر الآية الكريمة بلا قرينة تساعد عليه.

)ثمّ توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) ظاهر السياق كون الخطاب لأولئك الذين امروا بعبادة الله والإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتام والمساكين وإقامة الصلاة والزكاة.

فيكون المعنى: أن اولئك-إلا قليلا منهم ممن اهتدى وامتثل الأمر -قد تولوا ونكثوا العهد ونقضوا الميثاق المأخوذ منهم- على ما كان شأنهم وديدنهم في سائر المواثيق.-

لكن ذهب بعضهم إلى أن المراد هو اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلمعليه السّلام وإن كان المقصود بسائر الآية أسلافهم السابقين.

وبذلك فيكون المعنى: انكم -أي اليهود االمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم- قد توليتم ورفضتم العمل بما عاهدنا عليه أباؤكم ونقضتم ما أخذ منهم من الميثاق.

والأول أقرب لوحدة السياق.

وعلى كل: فالجملة خبرية تحمل في طياتها العتاب الشديد لأولئك الذين تركوا الحق ورفضوا الالتزام بالعهد، وهم أكثرية القوم.

نهم هناك القلة منهم واظبوا على ما عاهدوا الله عليه وا لتزموا به، إذ لا تخلو امة من المخلصين المحافظين على الحق، وإن كانوا هم الأقلية دائما.

قال تعالى: (وإنّ من أهل الكتاب لمن يومن بالله ومآ أنزل اليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بأيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إنّ الله سريع الحساب)(١.(

وقوله تعالى: (وأنتم معرضون) تأكيد لما طبعوا عليه، فيكون المعنى: أنكم توليتم وعادتكم الإعراض عن الحق والمعاندة فيه.

وقد اختار ابن عمر الشافعي الشهير بالجمل في كتابه الفتوحات الالهية، كون الخطاب في هذه الفقرة خاصة للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وكأنه قال: ثم تولى آباؤكم وتوليتم تبعا لهم، وبذلك يكون العطف لمغايرة، لأن المراد من خطاب «توليتم» هو الآباء، في حين أن المراد من خطاب (وأنتم معرضون) هو الأبناء.

)وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) وهي حكاية عهد آخر عاهدوا الله عليه ثم نقضوه.

فقد أخذ عليهم الميثاق والعهد أن لا يسفكوا دماؤهم، وأن لا يريقوا دم بعضهم بعضا - قاله قتادة وأبو العالية وغيرهما.-

فالنهي في الحقيقة عن مقاتلة القوم فيما بينهم وإراقة كل فرقة دم الفرقة الاخرى، وإنما أضيف القتل إلى أنفسهم باعتبار كونهم اخوة في الدين ولهم وحدة عقائدية تجمعهم جميعا وتربط بعضهم بعضا، بحيث تجعلهم كالرجل الواحد والنفس الواحدة.

ومثل هذه الإضافة يلحاظ ما ذكرناه أمر متعارف ومألوف قال الله تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم)(٢.(

وقال تعالى: (فإذا دخلتم بيوتا فسلّموا على أنفسكم)(٣.(

---

(١)آلعمران، الآية: ١٩٩.

(٢)الحجرات، الآية: ١١.

(٣)النور، الآية: ٦١.

وقيل: إن المراد به تسبيب الرجل في قتل نفسه بأن يقتل غيره، فيقاد به وبذلك يكون قاتلا لنفسه.

وقيل: المراد به النهي عن الانتحار ومباشرة قتل النفس حقيقة.

والأول: هو الأقرب بل الظاهر من الآية الكريمة، كما يشهد له عطف النهي عن إخراج أنفسهم من ديارهم عليه، إذ من الواضح أن إخراج الرجل نفسه من الديار إنما يتم بلحاظ المعنى الأول -أعني إخراج بعضهم بعضا- وإلا فمباشرة الرجل للخروج من داره يسمى خروجا لا إخراجا، كما أن حمل الإخراج على ما يكون بسبب فعل نفسه ونتيجة له بحيث يكون معنى الآية الكريمة النهي عن القيام بما يوجب إخراج نفسه من قبل غيره -ولو انتقاما- بعيد في نفسه ومخالف للظاهر، وإن لم يكن غلطا كسابقه.

ومما يدلّ على المختار بوضوح قوله تعالى -في مقام بيان نقضهم للعهد ومخالفتهم للميثاق- (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) فإنه واضح الدلالة على المعنى الأول -أعني إخراج بعضهم بعضا- بحيث جعل هذا الفعل نقضا للعهد المأخوذ منهم، فلاحظ وتأمل.

وإذا ثبت هذا المعنى في الإخراج ثبت في القتل أيضا لوحدة السياق.

طذن فالمتحصل من هذا الميثاق هو نهي أولئك عن القتال فيما بينهم الموجب -طبعا- لقتل بعضهم بعضا وإخراج الغالب للمغلوب من منزله وتشريده من وطنه، مع كونهم اخوة في الله وكالنفس الواحدة.

)ثمّ أقررتم) أي إظهرتم الالتزام وأبديتموه.

)وأنتم تشهدون) تأكيدا للإقرار فيقال: أقر فلان شاهدا على نفسه.

وعلى كل: فالخطاب في قوله تعالى: (أقررتم) يحتمل أن يكون أنصار موسى عليه السّلام فتكون الجملة من تمام أخذ الميثاق عليهم، وبذلك تكون جملة (وأنتم تشهدون) حالية تفيد التأكيد.

ويحتمل أن يكون المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، فيكون المعنى: أنكم اعترفتم بما أخذناه من الميثاق على أسلافكم شاهدين عليهم بذلك، فتكون جملة (وأنتم تشهدون) أيضا مؤكدة للإقرار.

ويحتمل الفصل بينهما، فيقال: إن فاعل الإقرار هم أنصار موسى عليه السّلام، في حين أن فاعل الشهادة المعاصرون للنبي عليه السّلام، فيكون المعنى: أن اولئك الأوائل قد أمروا على أنفسهم بالميثاق وأظهروا الالتزام به في حين شهد الاحقون- اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم-على ذلك الإقرار الصادر من أسلافهم.

وسياق الآية الكريمة يساعد على الأول إن لم نقل برجوع الخطاب في قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم...) إلى خصوص المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وإلا-كما يشهد له تكرار لفظ الميثاق في الآية الكريمة مع إمكان الاستغناء عنه بعطف تلك الامور على اللفظ -الميثاق- السابق، وإضافته إلى ضمير الجمع للمخاطبين بعد أن كان اللفظ الأول بني إسرائيل، وملاحظد متعلقات الميثاق واتفاق المفسرين على كون الآية الكريمة ذما لهم باعتبار انقسامهم إلى قسمين على ما ستعرف-فالمتعين هو ارجاع الخطاب في الآية الكريمة والتي تليه إلى المعاصرين له صلى الله عليه وسلم خاصة.

)ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) بيان لنقضهم العهد وعدم التزامهم بالميثاق والخطاب فيها للمعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان اليهود منقسمين على أنفسهم قسمين: قسم منهم -بني قينقاع- كانوا حلفاء الخزرج، وقسم -بني النضير وبني قريظة- حلفاء الأوس، وكانوا إذا وقعت الحرب بين الأوس والخزرج خرج كل قسم مع من حالفوه، يظاهرونهم في الحرب ويساندونهم على قتل اخوانهم وإخراجهم من ديارهم.

وقد عدّ هذا الفعل منهم نقضا للعهد ومخالفة لليمثاق، والحال أنه كان قد أخذ على أبائهم بلحاظ أن المفروض كونه نهجهم وسيرتهم ما داموا يدعون

الانتماء إلى نفس العقيدة التي كان الآباء يحملونها.

وبعبارة أخرى: أن العهد المأخوذ على الآباء لم يكن بلحاظ أشخاصهم وأفرادهم، وإنما هو شيء كتب عليهم بلحاظ عقيدتهم بحيث كان من دينهم واعتقادهم حرمة قتل النفس والإخراج من الديار.

ومن هنا فلابد لكل من يؤمن بتلك العقيدة الالتزام به والعمل على وفقه، وإلا فيكون مخالفا للميثاق.

ويحتمل كون الخطاب فيها لأنصار موسى عليه السّلام لو ثبت قيامهم بهذه المخالفات أيضا.

)تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان)، المظاهرة المعاونة وشد ظهر الغير وتقويته، والإثم ما يستحق عليه فاعله الذم واللوم، والعدوان هو التجاوز في الظلم.

وعليه فيكون المعنى: أنكم بمساعدتكم للمشركين في قتل بعضكم وإخراج فريق منكم من ديارهم إنما تعينون اولئك على التجاوز والظلم.

)وإن يأتوكم أسارى تفادوهم) المشهور أن الآية الكريمة وصف للقوم بما هو طاعة، لأنهم بعد مساعدتهم للمشركين في الحرب كانوا يقومون بفك أسراهم عند الطرف الآخر، عملا بما جاء في التوراة من الأمر باعتاق المماليك من بني إسرائيل.

فيكون المعنى: أن هؤلاء الذين تظاهرون على قتالهم إذا جاؤوكم اسارى عند حلفائكم - بعد وضع الحرب أوزارها- تدفعون الفدية عنهم لا عتاقهم وتخليصهم من نير العبودية عملا بما جاء في التوراة.

وقيل: إن التفادي عبارة عن فك الأسير بالأسير في قبال (تفدوهم) الذي هو فكه بالمال.

وذهب ابو مسلم إلى عدم تضمن الآية الكريمة لوصف القوم بما هو

طاعة ومعروف، بل وعلى العكس من ذلك تماما أنها متضمنة لتوبيخهم على أخذهم القدى كتوبيخهم على القتل والاخراج المحرمين.

وذرك أن المشهور إنما حملوا الآية الكريمة على وصف القوم بالمدح لمكان قوله تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) حيث اعتبروا التفادي إيمانا بالكتاب فيكون مدحا للقوم لا محالة، في قبال القتل والاخراج الذين اعتبرا كفرا عمليا بالكتاب، إلا أنه ضعيف لأن قوله تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب..) إلى ما تقدم من الآيات المتضمنة لإنكار القوم لصفات النبي صلى الله عليه وسلم التي وجدوها مكتوبة عندهم في التوراة وتحريفهم إياها.

وبذلك فيكون المعنى أنكم إذا أنكرتم صفاته صلى الله عليه وسلم الموجودة في التوراة وجحدتموها وأصررتم على البقاء على دينكم وعدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم فقد آمنتم ببعض كتابكم وكفرتم ببعضه الآخر.

إذن: فقوله تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب..) لا ارتباط له بالآية السابقة عليه، وبذلك يكون قوله تعالى: (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم) توبيخا للقوم حاله في ذلك حال ما سبقه الفقرات.

إلا أن هذا القول ضعيف -على ما سيأتي بيانه- والمذهب إليه المشهور هو الظاهر.

)وهو محرّم عليكم إخراجهم) «هو» مبهم و«إخراجهم» تفسير له، وقيل: إن «إخراجهم» بدل عنه.

فيكون المعنى: أنكم قمتم بقتل اخوانكم وإخراجهم من ديارهم وتظاهرتم عليهم في حيث أن ذلك محرم عليكم.

)أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) عرفت أن المشهور رجوع الآية الكريمة إلى ما قبلها مباشرة، وعدّ التفادي إيمانا بالكتاب، والقتل والإخراج كفرا، كما عرفت دعوى أبي مسلم برجوعها إلى ما تقدم من إنكار القوم لصفات النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما وجدوها في التوراة.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

وما ذهب إليه المشهور هو الظاهر، فإن ما ذكره أبو مسلم لا يتجاوز صرف الادعاء المخالف للظاهر، ولا شاهد عليه بالمرة.

)فما جزاء من يفعل ذلك منكم) قيل: المراد القتل والإخراج المحرمان، لكن الظاهر كون المراد هو التجزئة في الإيامن وقبول بعض الكتاب ورد بعضه الآخر.

)إلاّ خزي في الحيوة الدنيا) الخزي الذل والصغار، وقيل: الجزية، وقيل: إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم لهم من ديارهم لأول الحشر.

)ويوم القيمة يردوّن إلى أشد العذاب) التعبير بالرد دليل على اتحاد المبدأ والمنتهى من حيث العذاب، فهم ينقلون من عذاب إلى أشد العذاب.

والظاهر أن المراد بأشة العذاب أسوأه بحدّ ذاته لا بالقياس إلى العذاب الدنيوي خاصة.

)وما الله بغافل عمّا تعملون) فإنه تعالى بكل شيء محيط ولا يسهو أبدا.

)أولئك الّذين اشتروا الحيوة الدّنيا بالأخرة) استبدلوها بها فتركوا الآخرة الدائمة ليأخذوا في عوضها الحياة الدنيئة، وهي تجارة خاسرة ما بعدها خسران أبدا.

)فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) أي لا أحد ينجيهم من العذاب وينصرهم في التخلص من مأزقهم الذي وقعوا فيه.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

قوله تعالى: (ولقد ءاتينا موسى الكتب وقفّينا من بعده بالرّسل وءاتينا عيسى ابن مريم البيّنت وأيّدنه بروح القدس أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذّبتم وفريقا تقتلون(٨٧((

اللغة

قفينا: أتبعنا.

البينة: الحجة الواضحة.

التأييد: التقوية.

الهوى -مقصورا- : محبة الشيء الغالبة على قلب الإنسان.

الاعراب

ولقد: الواو استئنافية، لقد حرف تحقيق.

آتينا: فعل ماض مبني على السكون ونا فاعل.

موسى: مفعول به أول منصوب.

الكتاب: مفعول به ثان منصوب.

من بعده: جار ومجرور وهو مضاف والضمير مضاف اليه.

ابن: بدل من عيسى أو صفة له منصوب وهو مضاف.

مريم: مضاف اليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف.

البينات: مفعول به ثان لآتينا.

أفكلما: الهمزد للاستفهام الانكاري، الفاء استئنافية، كلما ظرفية حينيّة

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

متضمّنة معنى الشرط.

ففريقا: الفاء عاطفة، فريقا مفعول به مقدم منصوب.

كذبتم: فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل.

التفسير

)ولقد ءاتينا موسى الكتاب) وانزلنا عليه التوراة.

)وقفّينا من بعده بالرسل) التقفية مأخوذة من القفا، تقول: قفيت فلانا بفلان إذا جئت به من قبل قفاء، فهي عبارة عن متابعة شيء شيئا ومعناها فئ المقام بيان عدم الاكتفاء بالكتاب الذي انزل على موسى عليه السّلام في تبليغ القوم ودعوتهم نحو الهداية والرشاد، بل إرسال الرسل من بعده واحدا تلو الآخر داعين الناس إلى الصلاح والإيمان.

قال تعالى: (ثمّ أرسلنا رسلنا تترا)(١)، أي متتابعا واردفنا بعضهم ببعض.

)وءاتينا عيسى بن مريم البينات) البينة هي ما يستبين به الأمر ويوجب جلاءه ووضوحه، وحجج عيسى عليه السّلام وبراهينه الدالة على نبوته كثيرة قال تعالى: (ورسولا إلى بني إسرائيل أنّي قد جئتكم بئاية من رّبكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لأية لكم إن كنتم مؤمنين)(٢).(

ثم إن السر في ذكر عيسى عليه السّلام من بين الأنبياء الذين ارسلوا من بعد

---

(١)المؤمنون، الآية: ٤٤.

(٢)آلعمران، الآية: ٤٩.

موسى عليه السّلام لعله يكمن في كونه من اولي العزم دون من سبقه من بعد موسى عليه السّلام، أو كونه خاتم انبياء بني اسرائيل، أو لكونه أول من تصرف في شريعة موسى عليه السّلام وغيّرها، قال تعالى: (ولأحلّ لكم بعض الّذي حرّم عليكم)(١.(

أو لكونه المبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (ومبشّرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)(٢.(

)وأيّدناه بروح القدس) التأييد: التقوية والإعانة.

وفي روح القدس اختلاف بينهم، فالمشهور بين المفسرين من الفريقين أنه جبرئيل عليه السّلام لقوله تعالى: (قل نزّلة روح القدس من رّبك بالحق ليثبّت الّذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين)(٣)، وقال تعالى: (نزل به الرّوح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين)(٤.(

وقد ذكر في وجه التسمية أن القدس هوالله عزّ وجلّ، وأن الإضافة للتشريف.

وقيل: إنها الروح المقدسة التي نفخها الله تبارك وتعالى في عيسى عليه السّلام وميّزه بها عن غيره ممن خلق قال تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ إنّما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)(٥.(

وقيل: إنها الاسم الأعظم الذي كان عليه السّلام يحيى به الموتى.

وقيل: إنها الروح المقدسة الطاهرة.

---

(١)آلعمران، الآية: ٥٠.

(٢)الصف، الآية: ٦.

(٣)النحل، الآية: ١٠٢.

(٤)الشعراء، الآية: ١٩٣-١٩٤.

(٥)النساء، الآية: ١٧١.

وقيل: هي الانجيل، فقد قال ابن زيد: إن الله قد أيد عيسى عليه السّلام بالانجيل روحا كما جعل القرآن روحا، قال تعالى: (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا)(١.(

وقد ردّ هذا القول بأنه يتنافي مع قوله تعالى: (يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم النّاس في المهد وكهلا وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتّوراة والإنجيل)(٢.(

إذ لو كان المراد من روح القدس هو الإنجيل نفسه للزم التكرار من غير فائدة.

---

(١)الشورى، الآية: ٥٢.

(٢)المائدة، الآية: ١١٠.

معهد الخوئي
Al-Khoei Institute

الفهرس

المقدمة م٣
فاتحة الكتاب ٥
سورة الفاتحة آية ١ ..... ٨
سورة الفاتحة آية ٢-٣ ..... ٢٥
سورة الفاتحة آية ٤-٥ ..... ٢٩
سورة الفاتحة آية ٦-٧ ..... ٣٦
سورة البقرة ٤٥
سورة البقرة الآية ١ ..... ٤٥
سورة البقرة الآية ٢ ..... ٥٠
سورة البقرة الآية ٣ ..... ٥٣
سورة البقرة الآية ٤-٥ ..... ٥٨
سورة البقرة الآية ٦-٧ ..... ٦٣
سورة البقرة الآية ٨-١٠ ..... ٦٩
سورة البقرة الآية ١١-٢٠ ..... ٧٥
سورة البقرة الآية ٢١-٢٢ ..... ٨٤
سورة البقرة الآية ٢٣-٢٥ ..... ٩٠
سورة البقرة الآية ٢٦-٢٩ ..... ٩٧
سورة البقرة الآية ٣٠-٣٣ ..... ١٠٨
سورة البقرة الآية ٣٤-٣٩ ..... ١١٥
سورة البقرة الآية ٤٠-٤٦ ..... ١٣٣
سورة البقرة الآية ٤٧-٤٨ ..... ١٤٣
سورة البقرة الآية ٤٩-٥٣ ..... ١٥١
سورة البقرة الآية ٥٤-٥٧ ..... ١٥٨
سورة البقرة الآية ٥٨-٦٢ ..... ١٧٢
سورة البقرة الآية ٦٣-٦٦ ..... ٢٠٧
سورة البقرة الآية ٦٧-٧٤ ..... ٢١٧
سورة البقرد الآية ٧٥-٨٢ ..... ٢٣٦
سورة البقرة الآية ٨٣-٨٦ ..... ٢٥٥
سورة البقرة الآية ٨٧ ..... ٢٧٢

معهد الخوئي
Khoei Institute